الدكتور شوقي أبو خليل

الحوار دائماً

وحوار مع مستشرق

دار الفكر
دمشق - سورية

المعاصر
بيروت - لبنان


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار دائماً
وحوار مع مستشرق



الدكتور شوقي أبو خليل

الحوار دائماً

وحوار مع مستشرق

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرقم الاصطلاحي : 1003

الرقم الدولي : ISBN: 1-57547-014-4

الرقم الموضوعي: 210

الموضوع : دراسات إسلامية

العنوان : الحوار دائماً ، وحوار مع مستشرق

التأليف : الدكتور شوقي أبو خليل

الصف التصويري : دار الفكر بدمشق

التنفيذ الطباعي : المطبعة العلمية بدمشق

عدد الصفحات : 192

قياس الصفحة : 17 × 25 سم

عدد النسخ : 2000

الإصدار الثالث 1416 هـ / 1996 م

الطبعة الأولى 1994 ،

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

سورية - دمشق - ص.ب (962)

هاتف 2239717، 2211166

برقياً : فكر

فاكس 2239716

مُقَدِّمَةٌ

« إنَّ اختلاف المختلفين في الحقّ ، لا يوجب اختلافَ الحقّ في نفسه » .

ابن السِّيد البَطلَيوْسي

بسم الله القائل في محكم التَّنزيل : ﴿ قَد سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ ﴾ [المجادلة : ١/٥٨] .

وصلى الله على سيِّدنا محمد بن عبد الله ، الَّذي خاطبه الله بقوله الكريم : ﴿ فَبما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنَ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُم وَاسْتَغْفِر لَهُم وَشَاوِرْهُم في الأَمْرِ فَإذا عَزَمْتَ فَتَوكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُتَوَكِّلينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩/٣] ، صلَّى الله على نبيِّنا الكريم القائل في تفسير هَذه الآية : « مشاورة أهل الرَّأي ثمَّ اتِّباعهم » ، ورضي الله عن الحسن البصري الَّذي قال معلِّقاً على هذه الآية الكريمة : « قد علم الله أنْ ما برسوله حاجة إليهم ، ولكن أراد أن يقتدي به من بعده »[(١)] ، وبعد ...

منذ الشَّهر الثَّالث من عام ألف وتسع مئة واثنين وتسعين ، وأنا أُفكِّر بكتاب يضم بين دَفَّتيه موضوع : (الحوار أَوَّلاً .. والحوار دائماً) .

الحوار أوَّلاً ضمن الجماعة الإسلاميَّة الواحدة .

والحوار أوَّلاً بين الفئات الإسلاميَّة على مختلف مواردها وقنواتها .

---

(١) وقال قتادة : « أمر الله نبيَّه أن يشاور أصحابه في الأُمور وهو يأتيه وحي السَّماء ، لأنَّه أطيب لأنفس القوم » .

والحوار أوَّلاً بين المذاهب الإسلاميَّة سُنَّة وشيعة .
والحوار أولاً بين الإسلاميِّين وبين العلمانيِّين .
والحوار أوَّلاً بين المسلمين وبين أهل الكتاب .

والحوار دائماً للتَّواصل ، ولمواصلة الأُلفة ، والسَّعي الحثيث للوصول إلى الحقيقة ، بعيداً عن التَّعصُّب ، وتطبيقاً للقاعدة القائلة : استدل ثمَّ اعتقد ، لاأن تعتقد ثمَّ تلوي أعناقَ النُّصوص إلى ما يوافق اعتقادك .

الحوار أوَّلاً .. تنفيذاً لأمر الله تعالى :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢/٢٥٦] .
﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ ﴾ [النُّور : ٢٤/٥٤] .
﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرسَلْنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيظاً إِن عَلَيكَ إِلاَّ البَلاَغُ ﴾ [الشُّورى : ٤٢/٤٨] .

﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/٦٤] .

والحوار دائماً لتحقيق وحدة الصَّفِّ ، وإلاَّ فالطُّوفان قادم ، وسيجرف الجميع .

الحوار الَّذي هدفه الوصول إلى الحقيقة لاعتناقها ، والوصول إلى الطَّريق الأصوب لسلوكه ، والوصول إلى التَّواصل المثمر ، والبعد عن التَّجافي ، كي لا نصل إلى موقف : أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الثَّورُ الأبيض .

حوار لا تقف فيه وقفة الخَصْمَيْن المتضادَّيْن المتبايِنَيْن ، حيث موقف نصرة النَّفس ، وتفنيد مزاعم الآخر ، بأدلَّة من شأنها أن ترفع القَدْر ، وتحطُّ من مقام النَّاس ، بل تقف وقفة احترام للآخرين ، ونضع كلامهم وأُمورهم على أحسن الوجوه ،

ما وجدنا لها وجهاً حسناً ، مع مجانبة الحقد ، وعدم الاستخفاف بأحد ، مع الأُلفة الَّتي توجب الأُخوَّة ، والأُخوَّة الَّتي أوصت بحسن العِشْرة ، وحثَّت على كريم الصُّحبة .

الحوار الَّذي يفتح الأبواب الموصدة بين الإخوة أنفسهم ، وبينهم وبين الآخرين ، ويزيل ما توهَّم كلٌّ عن الآخر ، والَّذي من أهمّ سماته ألاَّ تشكيل لفكر ، ولا اتِّخاذ لموقفٍ إلاَّ عن قناعة ودليل وتوثيق ، وإن خالف الهوى ، ودون خوف من نقد مثر متبصِّر ، بعيداً عن نقد التَّقريع والتَّشهير ومصادرة الأفكار والرَّأي الآخر ، مع التَّأكيد على نقاط الالتقاء ، بعيداً - في أوَّل الخُطَى - عن نقاط الافتراق ، لأنَّ التَّركيز على نقاط الافتراق والخلاف ، يؤدِّي إلى بزوغ السُّلوك الحاقد ، كما أنّ التَّركيز على نقاط الالتقاء يوصل إلى بزوغ السُّلوك التَّعاوني المتَّسم بالحبِّ والوداد .

الحوار أوَّلاً .. بعيداً عن المواقف المتحجِّرة ، الَّتي توصل - وقد أوصلت - إلى ضيق الأفق ، والبعد عن الحقيقة ، وبعيداً عن تضييع الكُلِّ في سبيل الجزء ، فالإسلام كُلٌّ ، والمذهب جزء ، والعاقل لا يعيش في ظلِّ المذهب ، بل يعيش في ظلِّ الإسلام ، ويموت في كنفه .

حوار يعتمد على محاكاتنا المبنيَّة على أُصول الإسلام وأهدافه ، لا الحوار الَّذي يسير في ركاب من يفكِّر لنا ، أو في ظلِّ إرادة غيرنا ومشورته وأهوائه ، فالكلُّ خاضع للحوار والمناظرة ، ومطالب بالدليل من الكتاب والسُّنة ، ولقد قيل :

« اجتمع متناظران ، فقال أحدهما للآخر : هل لكَ في المناظرة ؟ قال : على شرائط : أن لا تغضب ، ولا تشغب ، ولا تعجب ، ولا تحكم ، وعلى أن لا تجعل الدَّعوى دليلك ، وأن لا تجوِّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلاَّ جوَّزت لي تأويل مثلها على مذهبي ، وعلى أن تؤثر التَّصادُق ، وتنقاد للتَّعارف ، وأن يبقى كلٌّ منا في مناظرته على أنَّ الحقَّ غايَته ، والرُّشد بغيَته » .

والحوار واجب وضرورة في هذا العقد الأخير من القرن العشرين ، حيث قيام النِّظام الدولي الجديد ، ينفِّذ عمليّاً : « لتذهب جميع الشُّعوب إلى الجحيم ، مادامت مصارف أُوربة وأمريكة تتربَّع على عرش المال[1] ، وتشعل بأيديها مواقد الحروب متى شاءت بقرار نظامي شرعي لمجلس الأمن ، يقع على عاتق أمريكة تفسيره وتنفيذه » ، وهذا النِّظام الدَّولي الجديد جعل ورقة حقوق الإنسان ورقة رابحة في يده ، يلوِّح بها في المكان الَّذي يريد ، والزَّمن الَّذي يُحَدِّد ، ويضعها على رفوف المحفوظات في المكان الَّذي يريد ، مع العلم أن حقَّ النَّقض (الفيتو) الَّذي تملكه يخالف أبسط قواعد حقوق الإنسان ، فأيُّ (ديموقراطيَّة) في الأُمم المتَّحدة مع حقِّ النقض الَّذي يتمتَّع به الأعضاء الخمسة الدَّائمون في مجلس الأمن ، حيث لكلِّ عضوٍ منهم الحقُّ في أن يكون بمفرده أقوى من كلِّ أعضاء الأُمم المتَّحدة مجتمعين ؟ علماً ألاَّ دَوْرَ في هذا المجلس لمليار ومئتي مليون مسلم ، ولاحظَّ فيه للقارة الإفريقيَّة ، ولا تمثيل فيه لأمريكة اللاَّتينيَّة .

حوار في زمنِ التَّبشير ميزانيَّته السَّنويَّة عشرات المليارات من الدُّولارات ، جاعلاً العالم الإسلامي في قبضة الجهل والمرض والفقر .

حوار في زمنٍ يتطلَّع النَّاس فيه إلى (آفاق المستقبل) ، وأين سيكون قلب العالم غداً ؟

حوار في عالم يتحدَّث عن الغد ، وشريحة عريضة من المسلمين محور حديثها ، وقطب انطلاقها ، خلافات سياسيَّة تاريخيَّة ، مضى عليها أربعة عشر قرناً ، أفما آن أن نترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي ، ونبني المستقبل في ضوء هذه الخبرات ووقائع الحاضر ؟ ولو حرص بعضهم على امتزاجٍ دون ذوبان ، أو اختلاط دون اقتران .

(١) ديون العالم الثَّالث تقدَّر بمئات المليارات من الدُّولارات ، فوائدها السَّنويَّة عشرات المليارات ، فديون الجزائر الخارجيَّة ـ مثلاً ـ ٢٧ مليار دولار ، تدفع الجزائر من دخلها القومي السَّنوي المقدَّر بـ ١٣ مليار دولار ، تدفع ٩ مليارات دولار ـ كلَّ عام ـ لا لسداد الدُّيون ، بل فوائد وعمولات ، وتبقى الدُّيون ثابتة = ٢٧ مليار دولار !؟!

الحوار في زمن وُصِفَ فيه الإسلام بالعنف ، وبرفضه الحوار ، مع مصادرة آراء الآخرين ، حتّى قالت (بربارا والترز) - وهي من أشهر مقدّمات البرامج في التلفاز الأمريكي - تصف أحد كبار السّياسيّين المسلمين ، إنها لم يكن في تصوّرها أن أحد المسلمين يحدّد وقته بدقّة ، بل ويحترم مواعيده ، ولم تكن تعرف بوجود مسلم يحترم المرأة ، ويصل إلى ما يريد بالعقل والحوار ، وليس بالخطف والإرهاب[1] .

العالَم يتحدّث عن عالم الغد ، وعن انهيار الولايات المتّحدة مع مطلع القرن الحادي والعشرين ، حيث يصبح لها وضع شبه ثانوي ، والبديل هو اليابان وأوربة المتوحّدة (البيت الأوربي المشترك)[2] .

ويتحدّث أيضاً عن الأشياء التي سيستهلكها النّاس عام ألْفَيْن ومابعده ، وبأيّ شكل ستتبدّل أنماط حياتهم وحاجاتهم وطموحاتهم وأحلامهم ؟ ومالّذي سيحققه : (التيليفاكس : Telefax) ، أي : الرّسالة المهتوفة ، الرّسالة الخارقة لكلّ أنظمة الرّقابة ، والّتي ينتشر الخبر من خلالها بسلسلة هندسيّة ، فما يُطْبع في أقاصي الدُّنيا يُنقل بعد سويعات إلى أدانيها ، وإلى كلّ أرجائها ، وما يصوّر في العواصم الأوربيّة خلسة ، ويهم الأمّة العربيّة ، والعالم الإسلامي ، ينقل (بالتيليفاكس) في اليوم ذاته إلى أرجاء الوطن العربي كله ، والعالم الإسلامي ، ليفضح أموراً ، ويكشف عن أخرى .

والخبر الممنوع ، والصُّور المحظورة ، تصل لمن يسعى إليها ، ولمن لا يسعى ، ولكن ... مع الحوار الصّادق الواضح الجلي ، لا خوف من (التيلفاكس) ، ولا من غيره مهما تقدّم العِلْمُ وتقدّمت وسائل اتّصاله ، لأنّ (الصّدق والوضوح) يزيلان العمليّة التّراكميّة من التّسليم والخداع ، والتّسليم دون قناعة ، وبعد ذلك تكون المفاجآت !

---

(١) العالم الإسلامي : ١٢٨٤ ، الإثنين : ٩ - ١٥ تشرين الثّاني (نوفمبر) ١٩٩٢ ، ص : ٥ .

(٢) آفاق المستقبل ، جاك أتالي (مستشار الرّئيس الفرنسي فرنسوا ميتران) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ = ١٩٩١ .

هـذا ، ومنـذ شهر آذار (مـارس) سنـة ١٩٩٢ م ، وأنـا أفكِّر في كتـاب يحث على الحوار ، حيث الحجَّة والعقل ، وحيث نبـذ العنف الَّـذي يـدل على التَّحجر ، وإيصـاد بـاب البحث عن الحلول العقلانيَّـة ، وحيث نهـايـة التَّـدابر ، وترك التَّخيُّـلات كلٌّ عن الآخر ، عكفت في رحلتي إلى بـاكـو ، عـاصمـة جمهـوريَّـة أذربيجـان ، من الثَّـالث والعشرين من الشَّهر الخامس ، وحتَّى السَّادس من الشَّهر السَّادس ١٩٩٢ م ، على تلاوة كتاب الله المجيد ، مستخرجـاً كلَّ آيـات الحوار ، فـإذا معظم سور القرآن الكريم لا تخلو من حوار ، أو حوارات ، ناهيك عن تحكيم العقل والتَّدبُّر والتَّفكُّر ، حوار شامل عـام ، مع كلِّ الفئات والشَّرائح المختلفة المتباينة عقائدياً ، ولو أردت إيرادها هنا لاحتجت إلى كتاب برأسه ، ولكن يكفينا القول : إنَّه قبل خَلْقِ الإنسان كان الحوار ، الحوار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّـكَ لِلْمَلائِكَـةِ إِنِّي جَـاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـةً قَـالُوا أَتَجْعَلُ فِيهـا مَنْ يُفْسِـدُ فِيهـا وَيَسْفِـكُ الـدِّمَـاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّـحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ قَـالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢/٣٠] .

وعدت إلى دمشق ، ورحت أبحث في مجالس الحوارات والمناظرات الَّتي كانت تعقد في العَهديْن الأُموي والعبَّاسي . فوجـدت الكثير الكثير ، كالحوارات الَّتي كانت تـدور في مجالس معاوية بن أَبي سفيان مع عدد من الصَّحـابـة ، وكحوار عمر بن عبـد العزيز مع الخوارج ، وتبقى مجالس المناظرات في عصر المهدي والرَّشيد شواهد على حرِّيَّـة الفكر في العصر الـذَّهبي لحضـارتنـا العربيَّـة الإسلاميَّـة ، مثل : المنـاقشـات الحـارَّة بين سيبويـه والكِسَائي (علي بن حمزة) في شأن مسـألـة لغويَّـة ، وبين الشُّعراء والأُدبـاء في تفضيل شاعر على آخر ، وبين أَهل السُّنَّة والجماعة وبين المعتزلة في أُمور فلسفيَّـة ، وبين المسلمين والمسيحيِّين ، والمسلمين وزعيم المانويَّـة (يزدانبخت) ، وهـذا يـدل دلالـة واضحـة على مـا كان للمنـاظرة في هـذا العصر الـذَّهبي من مكانـة ، حتَّى أصبحت من أَهمِّ مميزاتـه ، وكبريات آثاره .

وجاء في (جواهر الأدب)[1] مناظرات لطيفة ، مثل :

مناظرة بين السَّيف والقلم ، لزين الدِّين عمر بن الوردي ، المتوفَّى سنة ٧٤٩ هـ .

ومناظرة بين اللّيل والنّهار ، لمحمد المبارك الجزائري ، وله أيضاً مناظرة بين الأرض والسَّماء .

ومناظرة بين فصول العام ، لابن حبيب الحلبي ، المتوفَّى سنة ٧٧٩ هـ .

ومناظرة بين الجَمَل والحصان ، للمقدسي ، المتوفى سنة ٨٧٥ هـ .

ومناظرة البرِّ والبحر ، وأُخرى بين الهواء والماء ...

ومن المناظرات التَّاريخيَّة الهامَّة في العهد العبَّاسي : (الحَيْدة ، أو المناظرة الكبرى في محنة خَلْقِ القرآن[2]) ، والَّتي دارت بين الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني ، وبين بشر المريسي ، بحضرة المأمون[3] الَّذي قال لعبد العزيز : « إنَّه قد اتَّصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع ، وقولك إنَّ القرآن كلام الله ...إلخ ، بحضرة الخَلْق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم في حضرتي ، وفي مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعتُ المخالفين لكَ لتناظرهم بين يَدَيَّ ، وأكون أنا الحاكم بينكم ، فإن تتبيَّن الحجَّة لك عليهم ، والحقُّ معك اتَّبعناك ، وإن تكن الحجَّة لهم عليك ، والحقُّ معهم عاقبناك ، وإن استقلت أقلناك » ، ثمَّ أقبل المأمون على بشر المريسي ، وقال : يا بشر ، قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه .

---

(١) جواهر الأدب (المناظرات) : ٢٢٤/١ ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف ـ بيروت .

(٢) انظر طبعة : دار الفتح للطباعة والنَّشر ، بيروت ، ط ١ سنة ١٩٨٣ م .

(٣) المأمون العباسي : [١٧٠ ـ ٢١٨ هـ = ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م] عبد الله بن هارون الرَّشيد ، سابع الخلفاء من بني العباس في بغداد ، أطلق حرِّيَّة الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة ، لولا المحنة بخلق القرآن في السَّنة الأخيرة من حياته .

الحوار ضرورة ، لأنه من الطَّبيعي عند بني البشر ، والمسلمون بشر ، ولكن مادام لهم (ميزان) ، لا مانع من الخلاف ، بآدابه الإسلاميَّة ، ولا (للاختلاف) ، ولا لقتل حاضرنا ومستقبلنا باسم اختلافات مضت ، وأضحت تاريخاً .

ذكر ابن القيم أنَّ هنالك مئة مسألة خلاف بين عمر بن الخطاب ، وبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، وعلى الرَّغم من كلِّ ذلك ما نقص حبُّ أحدهما لصاحبه ، وما أضعف من تقدير ومودَّة أيٌّ منهما للآخر ، حتَّى جاء ابنَ مسعود اثنان ، أحدهما قرأ القرآن الكريم على عمر رضي الله عنه ، وآخر قرأه على صحابي آخر ، فيقول للَّذي قرأ على عمر : أقرأ فيها عمر بن الخطاب ؟ فيجهش ابن مسعود بالبكاء ، حتَّى يبل الحصى بدموعه ، ويقول : اقرأ كما أقرأكَ عمر ، فإنَّه كان للإسلام حصناً حصيناً ، يدخل النَّاس فيه ولا يخرجون منه .

والحوار الصَّحيح ، إن صدقت النِّيَّات ، لا يصل فيه أحد الطَّرفيْن إلى قواعد ، أو نتائج ، تشبه العبارات الآتية :

دائرة مربَّعة ، أو مثلَّث متوازي الأضلاع ، أو : النُّزول إلى الأعلى ، أو : الصُّعود إلى أسفل ، أو إن محيط نصف الدَّائرة يساوي نصف قطرها لاشتراكها بكلمة (نصف) .

فمن دعوات الجاحظ (عمرو بن بحر) لصديق يحبُّه : « جنَّبكَ الله الشُّبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينَك وبين المعرفة نسباً ، وبين الصِّدق سبباً ، وحبَّب إليك التَّثبُّت ، وزيَّن في عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التَّقوى ، وأشعر قلبك عزَّ الحقّ ، وأودعَ صدرك برد اليقين ، وطردَ عنك ذُلَّ اليأس ، وعرَّفك ما في الباطل من الذِّلَّة ، وما في الجهل من القِلَّة » .

وجعل العلماء آداباً للمتناظرين المتحاورين ، وهي :

١ - أن يتحرَّزا من إطالة الكلام ومن اختصاره .

٢ - وأن يتجنبَّا غرابة الألفاظ وإجمالها .

٣ - وأن يكون كلامهما ملائمًا للموضوع .

٤ - وألاَّ يسخر أحدهما من صاحبه .

٥ - وأن يقصد كلٌّ منهما ظهور الصَّواب ، ولو على يد صاحبه .

٦ - وألاَّ يتعرَّض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه .

٧ - وأن ينتظر كلٌّ منهما صاحبه حتَّى يَفْرُغَ من كلامه[1] .

وبعد ...

أرجو أن أضع النَّاس على اختلاف مشاربهم أمام الحوار أوَّلاً ، والحوار دائماً ، علَّنا جميعاً نتوصَّل إلى حلِّ مشكلاتنا عن طريق الحوار ، والعقل ، والحجَّة ، لا عن طريق العنف ، أو التَّسليم بلا دليل .

يقول الله تعالى في محكم التَّنزيل :

﴿ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمكُثُ في الأَرْضِ كذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمثالَ ﴾ [الرَّعد : ١٧/١٣] .

الدكتور شوقي أبو خليل

دمشق : ١ محرم الحرام ١٤١٥ هـ ،
١٠ حزيران (يونيو) ١٩٩٤ م .

---

(١) رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٧ سنة ١٩٥٨ ، المكتبة التِّجارية الكبرى - القاهرة .



الحِوَارُ دَائماً

ضِمْنَ الجماعَةِ الإسلاَميَّةِ الوَاحدةِ

﴿ كَانَ النَّـاسُ أُمَّـةً وَاحِـدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبيِّين مُبَشِّرِينَ وَمُنـذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِـالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّـاسِ فِيمَـا اخْتَلَفُـوا فِيهِ وَمَا اخْتلفَ فِيـهِ إلاَّ الَّـذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَات بَغْيـاً بَيْنَهُم فَهَـدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيـهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِـهِ واللهُ يَهْـدِي مَنْ يَشَـاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

[البقرة : ٢١٣/٢]

إنَّ مما يوصم به الإسلام من قبل أعدائه ، رفضه للحوار ، لإيمانه بـالعنف ، ولنبـذه مبـدأ حرِّيَّة المعتقـد . وصـواب مـاسبـق : ممـا يـوصم بـه بعض زعمـاء المسلمين وبعض مشـايخهم ، وغلاة المتصوِّفـة منهم خـاصَّـة ، رفضهم للحوار ، خوفـاً من النَّقـد أن يهـدم الهيبـة المصطنعـة ، والمصـالح الشَّخصيَّـة ، والمنـافع المكتسبـة ، فهم في منهجهم الصُّـوفي المغرق ، وفي تربيتهم وسلـوكهم يغتـالـون الحرِّيَّـة ، ويصـادرون العقـل ، ويعطِّلـون الفكر ، إنَّهم يمحون شخصيَّة المريد تماماً .

مع أنَّ الـدِّين الحقَّ لا يعـانق إلا العقل ، فمعـانٍ من مثل يعقلـون ، ويتفكَّرون ، وأُولو الألباب ، وأُولو النُّهى ، الَّذين يتدبَّرون ، لا نجدهـا في الأدب الجـاهلي ، فـالعقل غـذاؤه العلم والبحث ، وتحكيمـه في أُمور الحيـاة أمر فطري طبيعي ، وللحكمـاء قـاعـدة فلسفيَّة تقول : إنَّ القسر لا يدوم ، وإنَّ التيَّار غير الطَّبيعي لا يبقى ، والتَّيَّـار الفطري

هـو الأقـدر على البقـاء والثّبـات ، ومن مميزات الإسـلام أنّـه قـد اعترف بجميع الميـول الفطريّة في الإنسان ، ولم يرفضها ، ولم يمنح لإحداها سهماً ونصيباً أكثر مما تستحقه .

« والعَالِمُ الّذي يتقبّل الشّيءَ أو يرفضه دون دليل .. لا يمتلك الرّوح العلميّة ، إنّـه مجرّد مستودع فحسب لمجموعة من المعارف ، وآلـة تسجيل قـد سجلّت كلّ مـا تعلّمتـه[1] وعرفته ، ولكن لا يوجـد في روحـه ذلـك النّور والمقيـاس السّليم للقبول والإنكار ، إذن فليست روحه علميّة[2] » .

المخلصون يعلمون ، أنّـه من قبل خَلْق الإنسـان كان الحوار ، وسـور القرآن الكريم زاخرة بآيات الحوار ، لذلك .. فهم يحاورون ، ولا يضرُّهم الحوار ، بل يزيدهم رفعة وسلامة بالرّأي .

وغير المخلصين حينمـا يغلقون بـاب الحوار ، يفرّغون الإسـلام من جـوهره في تحكيم العقل ، ويجرّدون الإيمان من لبابه ومن ركائزه ، فإن قال رجل غيور في الجمـاعـة كلمـة الحقّ الموثّقة المخلصة ، ولم توافق أهواءهم أو مصالحهم الماديّة ،قالوا عن قائل كلمـة الحّق : لقد ارتدّ ، وإن استفسر آخر عن مسألـة أو قول أو فعل يخـالف الشّرع بجلاء ووضوح ، أو عن صلـة بجهة مشبوهة ، لها صلتها بالماسونيّة والصّهيونيّة العالميّة ، بل تلك الجهة هي الماسونيّة والصّهيونيّة العالمية[3] ، قالوا عنه : لقد نافق ، وهو سيئ الأدب مع شيخه ، وما أفلح من قال لشيخه : (لِمَ) .

وأحكامهم هذه أمر حتمي ، نتيجـة مسلكهم التّربوي ، لقـد جعلوا من شعـاراتهم : خطأ الشيخ خير من صواب المريد ، والمريد بين يدي الشيخ كالحنّط بين يدي الحنـّط ، وإن قال الشّيخ ، إن اللّبن أسود ، فيجب الاعتقـاد بـذلـك ، ولا يـدري المريـد الحكمـة الإلهيّة الّتي وراء قول الشيخ !

(١) والأصوب أن نقول : كل مالُقّنَهُ .

(٢) مقالات إسلاميّة ، مرتضى للطهّري ، ص : ٥٧ ، دار التّعارف للمطبوعات ـ بيروت .

(٣) ولا أعني هنا شيخاً أو جماعة بعينها ، أبداً ، إنما الحديث عمّن ينهج هذه التّربية الانطوائيّة التّسلّطيّة .

إنَّ الحوار يفسد عليهم سطوتهم ومنافعهم المادّيّة . ويحجّم هيبتهم الجوفاء ، الفارغة المضمون ، فويلٌ للمسلمين من ذلك الوحش الكاسر الَّذي لا يعرف قيماً إلاَّ الكسب والمادّة والزّعامة ، والتّعظيم الفارغ المحتوى ، والّذي لا يعرف إلاَّ الكذبَ مبرّرين ارتكابه بالمصلحة العامّة ، والنِّفاقَ معلّلين اقترافه بالحرص على سلامة الجماعة ، ناهيك عن التّدجيل والمراوغة والعصبيّة للآل والأقارب ، والمائلين المنتفعين ، الّذين يحبُّون من أحبَّ الشَّيخ ، ويبغضون من أبغض الشَّيخ ، دون فيصلٍ من عقل ، أو حكم من حوار .

إنهم يعيشون أجواء المحبة والرّابطة الجاهليّة ، ويتمرّغون في أكناف العصبيّة القبليّة ، لأنَّهم لُقِّنوا أن الشَّيخ أوحد دهره ، وفريد زمانه ، وكل (أولياء) الدُّنيا تحت جناحه ، فإن طالب منصف بالدَّليل وسأل عن البرهان ، جاء الجواب : « مَنْ يعرف يعرف ، ومن لا يعرف يقول كفُّ عدس » . ونتيجة طبيعيَّة لهذه المبادئ ، يُهاجم الآخرون وينتقدون دون معرفة علمهم وعملهم وإخلاصهم في مضمار الدَّعوة الإسلاميّة .

ومن يرفض حديثاً موضوعاً مكذوباً على رسول الله ﷺ ، مثل : « ما صُبَّ في صدري شيءٌ إلا وصببته في صدر أبي بكر » ، و « من أصلح جُوَّانيّه ، أصلح الله برَّانيّه » و : « مَنْ صلّى خلف عالمٍ ركعتَيْن ، وسمع منه كلمتَيْن ، ومشى معه خطوتَيْن ، أسكنه الله جنَّتَيْن ، بقدر الدُّنيا مرَّتَيْن » ..

من يرفض هذه الأحاديث الموضوعة ، توجّه إليه أصابع الاتّهام ، إنَّه يشكّك بمسيرة الجماعة ، ويهدم بعضاً من أركانها .

ومن لا يقبل أن يُحَمَّل معنى آية كريمة فوق ما يحتمل ، مرتدٌّ نكص على عقبيه .

ومن يرفض الرُّؤى والمنامات ، والقصص الرّمزيّة المتكرّرة الّتي توظَّف في غير محلّها ، خصوصاً إذا خالفت الشَّرع ، عدوٌّ ، مندسٌّ ينسّق مع أعداء الجماعة ، إنَّ حصوننا مهدَّدة من داخلها .

الاتهام سهل ويسير ومعدٌّ مسبقاً ، واختراع الافتراء أمر أسهل وأيسر .

أمّا مغمض العينَيْن ، فهو المُخْلِصُ في جماعته ، لذلك تراه من المقرَّبين .

ومن يرفض السَّطحيَّة والدَّجل ، فهو مرفوض خطر على الجماعة .

والمستسلم الَّذي نحَّى عقله ومحاكمته ، مؤمن منوَّر القلب ، خاشع ذاكر ، مُبَشَّر بالجنَّة .

« إنَّ القسر لا يدوم » ، قاعدة أثبت الواقع سلامتها ، وإنَّ التَّيَّار غير الطَّبيعي لا يبقى ، والتَّيَّار الفطري هو الأقدر على البقاء ، بل هو الباقي ، وتجارب الشَّباب مع معطِّلي العقل قاسية ومريرة ، تجارب تمثِّل مصادرة الفكر ، ورفض الحوار ، ومَنْ قال لشيخه : « لِمَ » لا يُفْلِح ، بَنَوا جماعتهم على التَّسليم ، والمريد بين يَدي الشَّيخ كالميِّت بين يدي مغسِّله .

جلست مع أحدهم ، وقلت له :

الحوار أوَّلاً ، والحوار دائماً ، وصحيح أنَّ اندمال الجرح أبطأ من حدوثه ، « وإنَّ اختلاف المختلفين في الحقِّ لا يوجب اختلافَ الحقِّ في نفسه » ، يهمني أمر الجماعة ، وسلامة مسيرتها ، والاستفسار والتَّصويب ، وإزالة الشَّك باليقين هو الهدف ، وأرفض تصفية الحسابات ، والإدانة للإدانة ذاتها ، والإصلاح ووحدة الجماعة هما الهدف المرجو ، إنَّكَ تعتقد أن الأُمور تجري بشكل سليم ، وتمرُّ على الوجه الأكمل ، مع أنَّ التَّساؤلات كثيرة عند عدد كبير من الشَّباب ، الَّذين لا يسمعون إلاَّ أحبُّوا الشَّيخ ، وبرُّوا الشَّيخ تدخلوا الجنَّة ، هذا هو المنهج ، وهذا هو التَّوجيه ، وهذا هو الفكر المطروح أوَّلاً وآخراً .

وتعتقد ، ويعتقد منتفعون من حولك ، أن الأغلبيَّة السَّاحقة ضمن الجماعة معكم ، تؤمن بما توجِّهون ، وتصادق على ما تصنعون ، والحقيقة والواقع غير هذا ، كثيرون

لا يتكلَّمون خشية منكم على رزقهم ، ولقمة عيشهم الَّتي طوَّقتم أعناقهم بها ، أمَّا قلوبهم فتعجُّ بالتَّساؤلات ، وبإنكار أعمالهم وصلاتكم ، تعالوا إلى الحوار ، مع تسجيله وتوثيقه ، وكلُّ إجابة مقنعة أو غير مقنعة تسجَّل ، والطَّرفان ـ أنا وأنتَ ـ ملزمان شرعاً على قبول الإجابة المقنعة ، والدَّليل الواضح ، والحُجَّة الموثَّقة ، والشَّرع هو الميزان : كتاباً كريماً ، وسُنَّة شريفة ، والعقل قاضٍ ، فلا نقبل تعطيل الشَّرع والعقل ، لنقبل أن الخرطوم عاصمة سيبريَّة ، وآيسلندة في الرَّبع الخالي ، والأب (صن مون)[1] في نيويورك مؤمن موِّحد ، وهو يدَّعي علناً أنَّه المسيح المنتظر ، والوحي يتنزَّل عليه ، وأهدافه صهيونيَّة باعتراف من زاره أكثر من مرَّة .

وبصدق واحترام ، سألته أسئلة كثيرة ، ومضت سنتان وأكثر ، ولم أتلقَّ جواباً واحداً .

---

(١) حركة صن مون (المونيَّة) حركة مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة ، بهدف إلغاء الفوارق الدينيَّة بين النَّاس لينصهروا جميعاً في بوتقة (صن مون) الكوري ، الَّذي ظهر بنبوَّة جديدة في هذا العصر الحديث .

ولد القس الثري (صن مون) في كورية سنة ١٩٢٠ م ، وادَّعى بأنَّه على اتِّصال بالمسيح منذ ١٩٣٦ م ، وفي سنة ١٩٧٣ م انتقل إلى الولايات المتحدة ، وهو رئيس المجلس العالمي للأديان ، وفي سنة ١٩٨٥ م أعلن (شابخ هوان كواك) الَّذي يشغل منصب مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان ، في مؤتمر انعقد بتركية عن نبوَّة (مون) وأنه يتلقَّى الوحي Revelution من السَّماء .

واليهودي (فرانك كوفمان) من أتباع (مون) ، ويعمل في مؤسَّسته ، ناشد علماء المسلمين في مؤتمر تركية أن يتفهموا موقف الأديان الأُخرى مثل اليهوديَّة والبوذيَّة والهندوكيَّة .

إنَّ اليهود يسعون دائماً ـ باعتبارهم أقلِّيَّة مفسدة ـ لبث دعاوى إذابة الفروق بين العقائد ، ممَّا يمهد الطَّريق لهم ليتغلغلوا في شعوب الأرض ، ويكونوا هم المستفيدين في النِّهاية على حساب الأديان الأُخرى جميعاً .

إنَّ هذه الحركة تدور ن فلك الحركات المسخَّرة لخدمة الصُّهيونيَّة العالميَّة ، وإنَّ الثَّراء الفاحش الذي يتحرَّك فوقه (صن مون) ليشير إلى الجهة الَّتي تموِّله وتقف وراءه لتستفيد من علمه ودعوته في تفتيت الأديان وتحطيم الأخلاق [الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ٤٩١] .

يئست من حوار كان من طرف واحد ، وتيقَّنت ألاَّ جواب ـ بعد سنتين ـ عنده ، على الرَّغم من متابعة الأمر من قبل شاهد حضر جلسات الحوار كلّها ، وأيقنت أن التربيَّة الصّوفيَّة المترمّتة لا تقبل حواراً ، ولا تسمح بالاستفسار عن أمر ، ناهيك عن النقد البناء ، حيث خير الجماعة وسلامة خطواتها إلى المستقبل .

وكانت خاتمة المطاف في تجربتي هذه ، كتابة وصيَّة إليه ، معذرة إلى الله ، كتبت فيها :

ومضة فكريَّة اقتنصها الخاطر في دقائق معدودات ، وصغتها بعد ذلك على رَويَّة ، فهي رأيي ، وقد تكون رأي كثيرين ممَّن يهمهم ما يدور في مسجدهم ، ويتساءلون بصمت : من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

فلسلامة المسيرة واستمراريتها معافاة ، ولكي تكون بين النَّاس نَدّاً ومسكاً وغاليَة ، أُوصيك بإنزال النَّاس منازلهم بقدر خدماتهم الفعليَّة للإسلام ، لا بقدر أقوالهم[1] ، أو أموالهم : ﴿ إنَّ أكرَمَكم عِنْدَ اللهِ أتقاكُم ﴾ [الحجرات :١٣/٤٩] ، لا أغناكم ، ولقد حذَّر ﷺ من تكريم الغنيِّ لغناه .

وتذكَّر أنَّه من أشدِّ أنواع البلاء شماتة الأعداء ، وأنَّ الشُّورى ـ مع النُّخبة ـ تبعدك عن الخطأ ، وتجنِّبك النَّدامة ، ولا تَعِد أحداً بشيءٍ قبل ضمان التَّنفيذ ، لقد قال العرب في أمثالهم : « لا مروءة لكذوب » .

واحذر المزاودين ، فمن يكثر ويكرِّر ولاءه ، ويبدي تمسكنه وتفانيه في الخدمة ، متَّهم في قرارة نفسه ، يحاول دفع ذلك بصورة كاذبة من التَّسليم المطلق ، وعليك بالفَعَّال قليل الأقوال ، والزم من صَدَقَك ، لا من صَدَّقك ..

(١) قال أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي (المتوفى ٥٩٤ هـ/١١٨٧ م) : « إذا رأيتم من يدَّعي حالاً مع الله تعالى وليس على ظاهره شاهد فاحذروه » .

...وإياك والتّعامل بوجهَيْن ، لأنَّ ذا الوجهَيْن لا يكون عند الله وجيهاً كما أخبر سيِّد المرسلين ، واعلم أنه « ما ائتزر رجل بإزار أهتك لعرضه ولا أثلم لدينه من البخل » قال ﷺ : « السَّخي قريب من الله تعالى ، قريب من النَّاس ، قريب من الجنَّة بعيد عن النَّار ، والبخيل بعيد عن الله ، بعيد من النَّاس ، بعيد عن الجنَّة ، قريب من النَّار » ، وبذلك يكون المسلم ، المقصِّر السَّخي الكريم ، أحب إلى الله ، وأقرب من المسلم العابد البخيل الشَّحيح .

وشجِّع على الأخذ بالعلوم الشرعيَّة كلِّها ، وبعمق ، لتدفع بكلِّ ما أُوتيت من قوة وَصْمَة ضحالة الفكر ، وندرة العِلْم عن الجماعة ، بسبب بعدها عن طلب العلم والمطالعة ، واكتفائها بالذِّكر ليس غير ، فهذا الطَّرح مضى زمانه وانتهى ، و « كفى بالعِلْم شرفاً أن يدَّعيه مَنْ لا يُحْسِنُه ، ويفرح به إذا نُسِبَ إليه ، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرَّأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نُسِبَ إليه[1] » .

ولا تجعل العِلْم سلعة تباع وتشترى !!

وافتح أبوابَ المودَّة للمسلمين كافة ، مع الصِّلة المدروسة ، وبُعْداً بُعْداً عن كلِّ مشبوه ، خصوصاً في الخارج ، واجعل خطوط المسيرة واضحة كالشَّمس في رابعة النَّهار ليس من دونها سحاب ... وشارك من تثق بعقلهم وإخلاصهم بمسؤولية القرار ، و « خطأ الشَّيخ خير من صواب المريد » مقولة مرفوضة في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، قال أرسطو : « أنا أُحبُّ أفلاطون كثيراً ، ولكنني أُحبُّ الحقَّ أكثر » ، ومثل هذا القول قاله ابن القيم بحقِّ أُستاذه الكبير ابن تيمية ...

.. لا تتكلم إلاَّ مع البيِّنة والدَّليل الموثَّق ، واسمح بالحوار ، فالرُّوح العلميَّة رائدها الحقُّ من أيِّ أُفقٍ ظهر ... وليكن الحوار اختلافاً لا خلافاً ، واختلافُ الرَّأي لا يُفْسِدُ للوُدِّ قضيَّة .

---

(١) وقد قيل : لابُدَّ من أن تُعطيَ العِلْمَ كُلَّك ، حتَّى يعطيك بعضه .

اقرأ كلّ يـوم سـاعـة أو سـاعتَيْن على الأقـل ، قراءة استيعـاب .. ودوّن الجـديـد الطّريف على بطاقة ، كي تسهل عليكَ العودة إليه عند الحاجة دون كبير عناء ..

لا تسمح لأحد ، مهما كان شأنه أن يذكر أخاه عندك بسوء ، ومن يذكر أخاه بسوء ابقه عندك ، واستدع الطّرف الآخر ، عندها لن تسمع إلاّ الحقيقة الّتي تُقـال بـالوجـه ، مدعّمة بالدّليل الملموس ، وستُنْهي بذلك تسعين بالمئة من مشكلات الغيبة ، والبهتان ، والإفك ، والقيل والقال ، وضياع الوقت ، فالوقت أثمن مانملك ، إنّه الحياة ...

ولا أُوصيك بالتّمسّك بشرع الله ، أو بالتّقوى ، فهذه وصيّة لكلّ مسلم ، أمّا أنت ، فأُوصيكَ بـالورع ، لأنّـك في مقـام القـدوة ، لقـد قـالوا عن أبي حنيفـة : كان يتحلّى بالورع في جميع شؤونه ويتحرّى الحلال في جميع أعماله .

سأل تميمُ بن عـدي اليربوعي عبـدَ الله بن عبّـاس قـائلاً : بمـاذا يتم عقل الرّجل ؟ فقال : إذا صنع المعروف مبتدئـاً بـه ، وجـاء بمـاهو محتـاج إليـه ، وتجـاوز عن الزّلـة ، وجازى على المكرمة ، وتجنّب مواطن الاعتذار ، فقد تمّ عقله .

فعظ المسيء بحسن أفعالك ، ودل على الجميل بجميل خِلاَلك .

واعلم أنّ الإسلام فيه غيب ، ولكن برهانـه من عَـالَم الشّهـادة ، فـاجعل من عـالَم شهادتك برهاناً على خفايا نفسك وحياتك .

أرجو الله أن يجعلـكَ ممّن طـال عمره ، وحَسُنَ عملُـه ، وجزاكَ خير الجزاء ، وجزاء الخير ..

☆ ☆ ☆

من ركائز الحوار ضمن الجماعة الواحدة :

الشورى :

قال الله تعالى : ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم وَلَو كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لاَنفَضُّوا مِن حَولِكَ فَاعْفُ عَنْهُم وَاسْتَغْفِر لَهُم وَشَاوِرْهُم في الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩/٣] .

الشورى ظاهرة سليمة تجعل الفرد إيجابيّاً وفعّالاً ومساهماً بدور بارز في الحياة .

احترام النّاس وإشعارهم بأقدارهم :

« فمن العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنَّه صغير ، ولكن العظيم بحقٍّ ، هو الّذي يشعر الجميع في حضرته بأنّهم عظماء » .

جاء في [عيون الأخبار : ٢٦٤/١] : « قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من السّراج ، فقال له رجاء بن حَيْوَة : ياأمير المؤمنين ، لِمَ لاأمرتني بذلك ؟ أو دعوتَ له من يصلحه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمر ، وعدتُ وأنا عمر » .

الالتزام بآداب الاختلاف :

فما قيل في هذا المجال : « قد أختلف معكَ في الرّأي ، لكنّي على استعدادٍ لأن أدفع حياتي ثمناً لحقّك في الدّفاع عن رأيك » .

« ومن لا يستطيع أن يفكّر فهو أبله ، أمّا من لا يجرؤ على التّفكير فهو عبد » .

مع التّسليم ألاّ وراثة في الأمور العلميّة ، والمناصب الدّينيّة ، خصوصاً إذا كان الوارث المرشّح ضحلاً لا قدرات علميّة عنده ، ولا مواهب لجمع الشّمل لديه ، ولا إمكانات لقيادة المركب ظاهرة بين يديه ، جاء في الفتاوى لابن تيمية ١١٨/٥ : « أكثر ما يفسد الدُّنيا نصفُ متكلّم ، ونصفُ متفقّه ، ونصفُ متطبّب ، ونصفُ نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللّسان » .

ومع الثَّناء الطَّيب ، والتَّقدير لجهود المخلصين المثمرة .
والشُّعور بما يعانيه الآخرون من مشكلات .
والصَّفح عن العثرات العفويَّة ، وترك التَّأنيب عليها .
ومجانبة الحقد على من قدَّم النَّصيحة .
وتشجيع المواهب ، وعدم الاستخفاف بأحد ، ندع جميع الزَّهرات تتفتَّح دون النَّظر إلى قرابة أو مصلحة خاصَّة أو ماديَّة .
ناهيك عن حسن الخُلق ، وبشاشة الوجه ، ولطف اللِّسان ، وسعة القلب .. والمتابعة ، قيل : الأثقال الخفيفة تصبح ثقيلة إذا كثرت .

☆ ☆ ☆

لماذا نُغيِّب الحوار ؟
ومن يحاور يثق بأفكاره .
ومن يحاور يعتقد أن عنده شيئاً ذا قيمة .
ولماذا ينقطع الحوار ؟
للاعتماد على التَّسليم دون محاكمة .
ومن لا يحاور على يقين أنَّه لا يملك الحقيقة .
لذلك .. سنستمر في الحفر حتى نصل إلى ينبوع صافٍ .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

الحِوَار دَائِماً

بين الجماعات الإسلاميّة على

مختلف مواردها وقنواتها

﴿ وَلْتَكُن مِنْكُم أُمَّــةٌ يَــدْعــونَ إلى الخَيْرِ وَيـأمُرُونَ بـالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ، وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وأولئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٤/٣ و١٠٥]

إنّي أرى أنّ نقطة الانطلاق في (الحوار دائماً) بين الجماعات الإسلاميّة على مختلف مواردها وقنواتها :

﴿ .. فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسولِ إِنْ كُنْتُم تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأوِيلاً ﴾ [النّساء : ٥٩/٤] .

ومعنى الرّدّ إلى الله سبحانه وتعالى ، الرّدُّ إلى كتابه المجيد .

ومعنى الرّدّ إلى رسول الله ﷺ ، الرّدُّ إلى سنّته بعد وفاته .

وهذا ممّا لا خلاف فيه بين جميع المسلمين ، فإذا قال مجتهد من المجتهدين : هذا حلال ، وقال آخر : هذا حرام ، فليس أحدهما أولى بالحقّ من الآخر ، وإن كان أكثر منه علماً ، أو أكبر منه سنّاً ، أو أقدم منه عصراً ، لأنّ كلّ واحد منهما فرد من أفراد عباد

الله ، ومتعبّد بما في الشّريعة المطهّرة ممّا في كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ، ومطلوبٌ منه ماطلب الله من غيره من العباد ، وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد ، أو مجاوزته لها لا يُسقطُ عنه شيئاً من الشّرائع الّتي شرعها الله لعباده ، ولا يخرجه من جملة المكلّفين من العباد ، بل العالِم كلّما ازداد علماً ، كان تكليفه زائداً عن تكليف غيره ، ولو لم يكن من ذلك إلاّ ماأوجبه الله من البيان للنّاس ، وماكلّفه به من الصّدع بالحق ، وإيضاح ماشرعه الله لعباده : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧/٣] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِن بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩/٢] .

فلو لم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم إلاّ كونه مكلّفاً بالبيان للنّاس ، لكان كافياً فيما ذُكِرَ من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التّكليف ، بل يزيدون بما علموه تكليفاً ، وإذا أذنبوا كان ذنبهم أشدّ من ذنب الجاهل ، وأكثر عقاباً . كما قال تعالى عمّن عمل سوءاً بجهالة ، ومن عمله بعلم[1] ...

﴿ وَأَنَّ هَذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٦/ ١٥٣] .

فَلِمَ الفرقة ، ولِمَ اتّباع السُّبُل ، والصّراط مستقيم ؟

لذلك يُخْرَجُ المتعصّب عن زمرة العلماء ، لأنه يرفض الحوار الموصل إلى الحقيقة ، ويتعصّب لرأيه دون دليل يرجّحه ، أو برهان يثبته ، أو سند يقرّره ، فمن جعل التّعصّب لمذهب ديناً ، أو من قنع بمحض التّقليد وقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُهْتَدُون ﴾ [الزّخرف : ٤٣/ ٢٢] .

---

(١) مجموعة رسائل في علم التوحيد ، صححه وأشرف على طبعه القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإيرياني ، ص ٦٥ ، ط :١ ، سنة ١٩٨٣ ، الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة ، وزارة الإعلام والثّقافة .

« قال الإمام الشّافعي : أجمع المسلمون على أنّ من استبانت له سُنّةُ رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من النّاس .

قال أبو عمر وغيره من العلماء : أجمع النّاس على أنّ المقلّد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأنّ العلم معرفةُ الحقّ بدليله ، وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى : فإنّ النّاس لا يختلفون أنّ العِلْمَ هو المعرفة الحاصلة عن الدّليل ، وأمّا بدون الدّليل فإنّما هو تقليد .

فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصّب بالهوى ، والمقلّد الأعمى ، عن زمرة العلماء[1] » .

يقول ابن تيمية :

« وأنت تجد كثيراً من المتفقّهة إذا رأى المتصوّفة والمتعبّدة لا يراهم شيئاً ، ولا يعدّهم إلاّ جُهّالاً ضُلاّلاً ، ولا يعتقد في طريقهم من العِلْم والهدى شيئاً ، وترى كثيراً مِن المتصوّفة والمتفقّرة لا يرى الشّريعة والعلم شيئاً ، بل يرى أنّ المتمسّكَ بهما منقطع عن الله ، وأنّه ليس عند أهلها شيء ممّا ينفع عند الله ، والصّواب : أن ما جاء به الكتاب والسُّنّة من هذا وهذا حقّ ، وما خالف الكتاب والسُّنّة من هذا وهذا باطل »[2] .

ولقد ورد عن الإمام الشّافعي : « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي » .

ورفض مالك بن أنس اقتراحاً عرضه عليه هارون الرّشيد ، بأن يحمل النّاس على العمل بما حواه (الموطّأ) من الأحاديث .

---

(١) أعلام الموقّعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزيّة ، ص : ٧ ، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة - القاهرة ١٩٧٨ م .

(٢) اقتضاء الصّراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم ، ص : ١٠ ، مكتبة الرّياض الحديثة .

وباب الاجتهاد مفتوح للمسلم المؤهّل له ، وتكفير المسلمين لمخالفة في الرّأي مرفوض ، ماداموا يؤمنون بالله ربّاً ، وبمحمّد نبيّاً ، وحسابهم على الله تعالى ، فلا تكفير ولا رمي بالزّندقة ، ولا إفتاء بسفك دماء مسلمة محرّمة ، وبغير حقٍّ ، في معارك ظالمة لا يستفيد منها إلاّ العدو ، وقد يغذيها ويطرب لها .

والبديل (حوار) لجمع الشّمل ، ووحدة الكلمة ، تحت مظلة الكتاب المجيد ، والسُّنّة المطهّرة ، فلقد قال ﷺ : « إنّ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » [متّفق عليه] .

(الحوار) ضمن روح التّشريع المعلّل بالمصلحة ، قال الشّاطبي [الموافقات : ٣٠٥/١] : « إنّنا وجدنا الشّارع قاصداً لمصالح العباد فأحكام المعاملات تدور معه حيثما دار ، فترى الشّيءَ الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فإذا كان فيه مصلحة جاز » .

لذلك .. لم يجمد عمر رضي الله عنه مع حرفيّة النّص ، وإنّما دار مع عِلّته وروحه .

(حوار) بعيد عن الجدل والمراء ، قال مالك بن أنس : « أو كلّما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمّد ﷺ لجدل هؤلاء ؟ » .

ويتساءل المرء : هل الشّطحات المخالفة لشرع الله خاضعة للحوار ؟ كوحدة الوجود مثلاً !

ومن البدهي أن تأتي الإجابة : كلّ ما خالف شرع الله ينبذ حكماً ، وهو غير خاضع للحوار ، ويخضع للحوار ما فيه وجهات نظر ، فنحاور للوصول إلى وجهة النّظر الأسلم والأصلح ، على ضوء الدّليل والواقع ، وفي حال وجود الإخلاص والنّيّات الطّاهرة الطّيبة يأتي هدى الله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢١٣/٢] .

ومما يؤسف له أن تقرأ في بعض الكتب عبارات بعيدةً عن آداب الحوار ، وسماحة الإسلام ، عباراتٍ لا تزيد الصَّفَّ إلا تفرُّقاً وتشتُّتاً ، صحيح أنها وردت بعد عبارات من الشَّطحات التي لا يقرُّها الشَّرع من قريب ولا من بعيد ، مثل :

« خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله ، أسرجت وألجمت ، وطفت في أقطار البسيطة ثمَّ ناديت : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليَّ أحد .

لو تحرَّكت نملة سوداء فوق صخرة صماء في ليلة ظلماء في أقصي الصِّين ، لم أسمعها ، لقلت : إنِّي مخدوع ، واستدرك عليه آخر ، فقال : وكيف أقول : لم أسمعها وأنا مُحَرِّكها ؟

ما الجنَّة ؟ هل هي إلا لعبة صبيان !!
لأسيرنَّ غداً إلى النَّار وأقول : اجعلني فدى أهلها ، أو لأبلغنها ... » .
جاءت عبارات التَّعليق على ما سبق :
« نهيق هؤلاء المخذولين .
نهيق تتضرع منه رائحة الزَّندقة .
هذا نَفَسٌ خبيث ، لا يلتبس إلاَّ على بهيمة فتدبَّره .
اتباعُ كلِّ ناعق .

إنَّ من تمام إيمانِ العلماء الحكم عليهم بالكفر والزَّندقة ، والإفتاء بسفك دمائهم .. إنَّ رؤوسهم أئمة الكفر ، ويجب قتلهم ، ولا تقبل توبة أحد منهم إذا أُخذ قبل التَّوبة ، فإنَّه من أعظم الزَّنادقة ، ويجب عقوبة كلِّ من انتسب إليهم ، أو ذبَّ عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عظم كتبهم ، أو عُرِف بمساعدتهم ومعاونتهم ، أو كره الكلام فيهم ، بل تجب عقوبة كلِّ من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنَّهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والأمراء والملوك ..

وأمَّا من قال : لكلامهم تأويل يوافق الشَّريعة ، فإنَّه من رؤوسهم وأئمتهم ، فإنَّه إن كان يعرف كذب نفسه ، وإن كان معتقداً لهذا ظاهراً وباطناً ، فهو أكفر من النَّصارى » .

إنَّ من يقول أو يعتقد بمثل عبارات الشَّطحات الَّتي أوردنا نماذج منها : « خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله .. لو تحرَّكت نملة .. » ، لا شكَّ أنَّه مخالفة واضحة لشرع الله ، ولست في موقف الدِّفاع عنهم ، فأنا ممَّن يمقت الشَّطحات ، ويرفض العبارات الَّتي قيلت فخالفت شرع الله ، وخلقت انقساماً في الأُمة كنا بغنى عنه ، وكلُّ الَّذي أُريد قوله :

نرد بشكل علمي ، منطلقين من كتاب الله وسُنَّة النَّبيِّ الكريم ﷺ ، ونقدِّم الصَّواب الَّذي هو حكم الله في مثل هذه الأَقوال ، ولكن دون شتائم وسباب يقلل من مستوى ردِّنا العلمي ، ودون فتوى بسفك دماء ، فالفتوى بسفك الدِّماء أمر خطير جداً ، تعطي الطَّرف الضَّال الحقَّ بفتوى مماثلة ، عندها تجري سواقي الدِّماء ، ويتساءل العاقل : لمصلحة مَنْ تسفك هذه الدِّماء ؟ لنكتب النَّشرات والكتيِّبات المبسطة ، ولنقم النَّدوات والمحاضرات الَّتي تقدم العقيدة سليمة معافاة من كلِّ شائبة ، عندها : ﴿ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأَرْضِ .. ﴾ [الرَّعد : ١٣/١٧] .

ليس الهدف الدِّفاع عن طائفة من المسلمين ، وإن كان ذلك واجباً طمعاً بالإصلاح ووحدة الصَّفِّ ، ولكن ضِنّاً بإخواننا هؤلاء أن يكونوا داخلين في قوله ﷺ :

« إذا قال الرَّجُل لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما » [أخرجه البخاري والإمام أحمد][1] .

(١) مجموعة رسائل في علم التَّوحيد ، ص ٩٠ ومابعدها ، وانظر ص ١٤٦ بخاصَّة .

لا نركّز على نقاط الافتراق ، ونشيح بوجوهنا عن نقاط الالتقاء ، فالتركيز على نقاط الافتراق يؤدي إلى ظهور السُّلوك الحاقد ، وضياع الجهود وانحرافها عن طريقها السَّليم ، بينما التَّركيز على نقاط الالتقاء يؤدي إلى بزوغ السُّلوك التَّعاوني المتَّسم بالحب والولاء ، والحوار يوصل إلى القاعدة الذَّهبيَّة : « نلتقي فيما اتَّفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

إنَّ التَّواصل واجب ، ويجب أن يوصلنا إلى البنيان المرصوص ، والجسد الواحد ، وإلى التعاون في عمل دعوي مشترك ، ينبذ العنف ، ويرفض سفك الدِّماء ، ويؤمن بالحوار دائماً ، وهذا يعني التَّنسيق والانسجام بين الجميع ، مترسِّمين هدفاً ، أو أهدافاً ، يشترك الجميع في تحقيقه :

بقاؤنا في وحدتنا ، وضياعنا في خلافاتنا .
ولنتأمَّل قول أحد العلماء الأفاضل :
أعطني سلفيّاً كابن تيمية ، تجد روحانيَّة وتزكية الْجُنيد .
وأعطني مؤمناً بتزكية الرُّوح وصفائها كالْجُنَيد ، تجد سلفيَّة ابن تيمية .

لقد حذَّر الجنيد من فقهاء الصُّوفيَّة ، ولم يعترض على صوفية الفقهاء ، وهذا هو موقف ابن تيمية جليٌّ في الفتاوى (الجزء العاشر والحادي عشر) ، واستناداً لابن تيمية يمكن القول :

تربية الرُّوح ، مع تزكية القلب الَّذي يصدأ كا يصدأ الحديد ، والسَّلفيَّة الحقَّة حيث الكتاب والسُّنَّة ، وجهان لعملة ذهبيَّة واحدة .

قال الشَّيخ الإمام محمد عبده : « مازال علماء المسلمين يكفِّر بعضهم حتَّى لم يبقَ لمسلم مكان في الجنَّة ، إذا صدق أولئك العلماء » .

إن الفرقة ضياع ولظى ، والأماني تيه وأحلام ، وضيقِ الأفق تحجيم وظلمات ،

والجـدل مراء وخـداع ، والحوار دائمـاً هو البـديل ، حيث العقل والصَّواب ، وحيث قمم المجد البشري ، ديناً ودنيا .

يقول نبيِّنـا الكريم ﷺ : « يحمل هـذا العلم من كلِّ خلف عُـدُولـه ، ينفون عنـه تأويل الجاهلين ، وتحريف الضَّالين ، وانتحال المبطلين » .

دون تكفير ، بلا سفـك دمـاء ، فكيف ينفون عنـه تـأويـل الجـاهلين ، وتحريف الضَّالين ، وانتحال المبطلين ؟

إنهم يحملون العلم ، والعلم قادر وحده على إظهار الحق ، وإقامة الحجَّة .

لقد أمرنا الله أن تقول للنَّاس حُسْناً : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنـاً ﴾ [البقرة : ٨٣/٢] ، للنَّاس بشكل عام ، فمن باب أولى للأخ المسلم .

ونذكِّر قيادات الجماعـات الإسلاميَّـة أنَّـه لا ينبغي أن يُقـال هـذا حكم الله في هـذه المسألة ، أو هذه القضيَّة ، فإننا لا ندري أنصيب حكم الله أمْ لا ، ولكن يُقال هـذا فهمي واجتهادي ، ولا أُلزم الآخرين به ، إنَّه خاضع للحوار ، وإلاَّ إذا قال هذا برأيـه ، وقـال آخر برأيه ، ضاعت الحقيقة ، وضاعت الأُمَّة .

ولا نأخذ من السُّنَّة ما يوافق أقوالنا ، ونحتـال في ردِّ مـا خـالفهـا ، أو ردِّ دلالتـه ، ونقبل منها ضعيف السَّند إن وافق أقوالنا ، فلا حكم بما يخـالف النُّصوص : ﴿ وَمَـا كَـانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُـهُ أَمْراً أَن يَكُـونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِم وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَـه فَقَـد ضَلَّ ضَلالاً مُبينـاً ﴾ [الأحزاب : ٣٦/٣٣] ، ﴿ اتَّبِعُوا مَـاأُنْـزِلَ إِلَيكُم مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَولِياءَ قَليلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣/٧] .



الحِوَارُ دَائِماً
بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُم وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٤١/٢]

وأنا أُهيِّئ لهذا الكتاب ، وقع بين يدي كتاب أثلج صدري ، وقلت : إنَّ الوحدة الإسلاميَّة محقَّقة ، ولا شرخ كبيراً بين سُنَّة وشيعة ، ولا حاجة لهذا الفصل : (الحوار دائماً بين السُّنَّة والشِّيعة) ، فالإسلام في جوهره ولبابه جامعة للقلوب ، وقطب محبَّة وتآلف ، فمن الطَّبيعي أن يؤلِّف بين أتباعه اليوم وغداً .

وماهي إلاَّ أيَّام ، وتفاؤلي في أوجه ، إذ بصديق يحضر لي كُتَيِّباً فيه أدعية يقرؤها من زار مقام الحسين ، والعباس ، والسَّيِّدة زينب ، وفاطمة الزَّهراء ، رضوان الله عليهم جميعاً ، وفي نهاية الكُتَيِّب : (دعاء صنمي قريش) ، أي : أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتيقنت ضرورة كتابة هذا الفصل ، لضرورة التئام الشَّمل ، ووحدة الصَّف ، كما أمر الله تعالى .

سأستعرض أهم ماجاء في الكتاب الأوَّل ، وأتناسى كلَّ ماجاء في الكتاب الثَّاني ، ثم أدعو إلى حوار جامع موحِّد ، بصدق دون مواربة أو ظاهر طيب يخفي باطناً مُرّاً حاقداً .

وقبل استعراض الكتاب الأوَّل ، أقول :

حبُّ آل البيت جزء من إيمان كُلِّ مسلم مهما كان مذهبه ، هذه حقيقة ثابتة لا مرية فيها ، فكل مسلم في صلواته اليوميَّة يصلِّي ويبارك على محمَّد وآله .

وعلي رضي الله عنه بايع أبا بكر رضي الله عنه ، وأخلص في سرِّه وجهره ، ولم يأتمر به في حروب الرِّدَّة ، بل كال الإخلاص ، ويعلن عن تمام الوُدِّ ، فحينما خالف المسلمون رأي أبي بكر في المرتدِّين ومانعي الزَّكاة ، خرج وحده شاهراً سيفه إلى ذي القَصَّة ، فلحقه علي ، فأخذ بزمام راحلته ، وقال له : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ لا تفجعنا في نفسك ، فوالله لو أُصبْنَا بكَ لا يكون للإسلام نظام .

وقال علي رضي الله عنه : « لولا أنَّا رأينا أبا بكر لها أهلاً ما تركناه[1] » .

وقال أيضاً : « إنَّا لنرى أبا بكر أحق النَّاس بها ، إنَّه لصاحب الغار ، وإنَّا لنعرف له سِنَّهُ[2] ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاَّة بالنَّاس وهو حَيٌّ[3] » .

وجاء في كتاب (الشَّافي) ، قال عليٌّ : « إنَّ خير هذه الأُمَّة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر » .

لقد مات رسول الله ﷺ وجمهور من الصَّحابة في النَّواحي يُعَلِّمون النَّاسَ دين الله ، فما منهم أحدٌ أشار إلى عليٍّ بكلمة يذكر فيها أنَّ رسول الله ﷺ نَصَّ عليه ، ولا ادّعى ذلك قط ، لا في ذلك الوقت ولا بعده ، ولا ادَّعاه له أحدٌ في ذلك الوقت ولا بعده .

ولو كانت الإمامة نصّاً ، كيف يسكت عليٌّ رضي الله عنه مدَّة خمس وعشرين سنة ؟

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ١٣٠/١ات

(٢) كان عُمْرُ أبي بكر ٦١ سنة عند مبايعته بالخلافة ، وعُمْرُ عليٍّ ٣٥ سنة فقط .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ١٣٢/١ .

وكيف لا يوصي لابنه الأكبر الحسن رضى الله عنه من بعده بنصٍّ أيضاً ؟

ولو كان نصّاً إلهيّاً ، أيجوز للحسن أن يتنازل عنها لمعاوية بحجّة حقن الدّماء ؟

ولم يصرّح الحسين رضي الله عنه ، ولم يعلن ، وهو في طريقه إلى كربلاء أنّ الخلافة نصٌّ إلهي !!

ومع ذلك يستدل علي رضي الله عنه بصحّة إمامته بالتّالي : أرسل عليٌّ رسالة إلى معاوية يقول فيها : « إنّه بايعني القومُ الذينَ بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فَلَمْ يكن للشّاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يَرُدَّ ، وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رَجُلٍ وسَمّوْهُ إماماً كان ذلك للهِ رضىً ، فإنْ خرج عن أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو بدعةٍ ردُّوه إلى ما خَرَج منه ، فإن أبى قاتلوهُ على اتّباعه غيرَ سبيل المؤمنين ، وولاّهُ اللهُ ما تولّى[1] » .

وينقض ما يدّعيه بعض النّاس من عداء تخيّلوه بين عليٍّ والصّحابة الكرام ، وخصوصاً أبا بكر وعمر رضي الله عنهما :

زواج عمر بن الخطّاب من أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، والّتي أمُّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهذا ثابت عند كلِّ المذاهب الإسلاميّة[2] ، وله منها ولدان : زيد ، ورُقيّة .

ولعليٍّ رضي الله عنه ولد اسمه (أبو بكر) من زوجته ليلى بنت مسعود التّميميّة ، وله ولد اسمه (عمر) من أمِّ حبيب بنت ربيعة التّغلبيّة ، وله ولد اسمه (عثمان) من أمِّ البنين بنت حرام الكلابيّة[3] .

---

(١) (نهج البلاغة) ، ص : ٣٦٦ ، تحقيق المرحوم الدكتور صبحي الصّالح ، منشورات دار الهجرة ، بيروت ، لبنان .

(٢) أعيان الشّيعة ، للشّيخ العلاّمة السّيّد محسن الأمين : ٣٢٧/١ .

(٣) أعيان الشّيعة : ٣٢٦/١ ، وللحسن بن علي بن أبي طالب ولد اسمه (عمر) ، ولزين العابدين السّجاد بن الحسين بن علي ولد اسمه (عمر) أيضاً .

لقد انتقى عليٌّ رضي الله عنه وتخيَّر أحبَّ الأسماء إليه ، لذلك له ولد أيضاً باسم (محمد) ، وهو ابن الحنفيَّة ، وكانت من سبي حروب الرِّدّة .

وأين كان يصلِّي علي رضي الله عنه زمن أبي بكر وعمر وعثمان ؟

لقد صلَّى خلفهم ، ولو كانوا مغتصبين لحقِّه ، وظالمين له ، لما جازت الصَّلاة خلفهم ، فلا تجوز الصَّلاة إلاّ خلف عَدْلٍ منزَّهٍ عن كلِّ ذنب أو نقيصة أو مخالفة شرعيَّة وفق المذهب الجعفري .

وبعد فتنة الجَمَل ، الَّتي أشعلتها بين الطَّرفين يَدٌ خفيَّة ، صلَّى عليٌّ على القتلى مِنَ الطَّرفين .

وقبيل صِفِّين أوصى عليٌّ رضي الله عنه جنده : لا اتِّباع لفارٍّ ، ولا غنائم ، ولا إجهاز على جريح[1] .

ومن يقرأ (نهج البلاغة) فلن يجد فيه تكفيراً لأحد ، حتَّى (الخوارج) .

وليس في (نهج البلاغة) كلمة من عليٍّ رضي الله عنه تشير إلى نصٍّ بإمامته ، ولا ما يشير إلى وصيَّة ، ولا ذكر (لغدير خُم) مطلقاً .

هذا بعض سلوك عليٍّ مع الصَّحابة الكبار ، وهذا منهجه ، وهذه أخلاقه وتربيته ، وهذا هو السُّلوك الطَّبيعي ، فالجميع تخرَّجوا من مدرسة رسول الله ﷺ .

☆ ☆ ☆

---

(١) نهج البلاغة ، ص : ٣٧٣ .

الكتاب الأوّل :

واسمه : (حول الوحدة الإسلاميّة ، أفكار ودراسات)[1] :

جاء في مقدّمته : « الوحدة الحقيقية إطار ، تنتظم في داخله الرّؤى والتّصوّرات والأنشطة على الرّغم ممّا يتقسّمها من اختلاف ، خاصّة وأن الإطار بالنّسبة لأمّة المصطفى ﷺ متوافر موجود ، وذلك هو التّوحيد والنّبوّة والمعاد ، والعديد من الجزئيّات الّتي تتصّل بالنّظام والتّشريع ، حيث نشاهد الإتفاق في أكثر المسائل الفقهيّة بين مذهبين على الأقل من المذاهب الإسلاميّة[2] » .

« ونحن إذ نقدم على هذا المشروع كبداية لما هو أعظم ، فإنما نهدف أن تتاح الفرص الجادّة للمسلمين في التّعرّف بعضهم على بعضهم بالطّرق العلميّة والموضوعيّة البعيدة عن الظّنون الّتي لا تغني عن الحقّ شيئاً .. ونداء كلمتها ، وتجاوز بعض الأمور الهامشيّة والجزئيّة ، الّتي لا تمس صميم الهيكل الإسلامي ، وأن تتجنّب كلّ عوامل الفرقة والتّشتّت ، الّتي لا يستفيد منها إلاّ أعداء الله والإسلام ، الّذين يتربصون بالجميع - سنّة وشيعة - الدوائر ، من أجل الكيد لهم ، والقضاء عليهم ، كما أننا نناشد الغيارى من أبناء أمّتنا الرّشيدة للتّصدي الواعي لدعاة الخلاف والاختلاف[3] » .

ثمّ أورد الكتاب بعد هذا الكلام الجميل ، كلمات لكبار العلماء ، منها :

من توجيهات الإمام الخميني إلى ممثليه في موسم الحج سنة ١٣٩٩ : « على الإخوة الإيرانيين ، وجميع الشّيعة في العالم أن يتجنّبوا الأعمال الجاهلة الّتي تؤدّي إلى تفرّق صفوف المسلمين ، وعليهم أن يشتركوا في جماعات أهل السّنّة ، وأن يتجنّبوا عقد صلاة

---

(١) إعداد قسم العلاقات الدّولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ ، طهران .

(٢) الكتاب المذكور : ١٠/١ .

(٣) الكتاب المذكور : ١١/١ .

الجماعة في البيوت .. إن طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سُنّي وشيعي وحنبلي وإخباري لا معنى لها أساساً ، المجتمع الّذي يريد أفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام ينبغي ألاّ يثير هذه المسائل .

كلّنا إخوة ، وكلّنا نعيش قلباً واحداً ، غاية الأمر أن الحنفي يعمل بفتاوى علمائه ، وهكذا الشّافعي ، وثمّة مجموعة أُخرى هي الشّيعة ، تعمل بفتاوى الإمام الصّادق ، وهذا لا يبرّر وجود اختلاف .. كلّنا إخوة ، على الإخوة الشّيعة والسُّنّة اجتناب كلّ اختلاف ، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الّذين لا يؤمنون بالسُّنّة ولا بالشّيعة ، ولا بالمذهب الحنفي ، ولا بسائر الفرق الإسلاميّة .. عليكم جميعاً أن تنتبهوا جيداً أنّنا جميعاً مسلمون ، وأتباع القرآن ، وأهل التّوحيد[1] » .

ثم أورد الكتاب رسالة آية الله المنتظري إلى علماء أهل السُّنّة ، وممّا جاء فيها :

استطاع المسلمون الانتصار على الإمبراطوريتين ، روميّة وفارسيّة ، وأرجعَ (منتظري) الانتصار لسَبَبيْن :

١ ـ الإيمان بالله والاعتماد عليه .
٢ ـ وحدة الكلمة .

ثمّ قال : « تعالوا نَعُد إلى الإسلام بعد أربعة عشر قرناً . ونُلْقِ خلافاتنا الجزئيّة جانباً على أساس الإيمان بالله[2] » .

وجاء في الكتاب تحت عنوان (النّداء الأخير للشّهيد الصّدر) : « وإنّي منذ عرفتُ وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمّة ، بذلت هذا الوجود من أجل الشّيعي والسُّنّي على السّواء ، ومن أجل العربي والكردي على السّواء ، حيث دافعتُ عن الرّسالة الّتي

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢١ .
(٢) الكتاب المذكور ، ص : ٢٣ و ٢٤ .

توحّدهم جميعاً ، وعن العقيدة الّتي تضمّهم جميعاً ، ولم أعش بفكري وكيـاني إلاّ للإسلام : طريق الخلاص ، وهدف الجميع ..

فأنا معكَ ياأخي وولدي السُّنّي بقدر ماأنا معك ياأخي وولدي الشّيعي .

أنا معكما بقدر ماأنتما مع الإسلام .

إنّ الحكم السُّنّي الّذي مثّله الخلفاء الرّاشدون ، والّذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل ، حمل علي عليـه السّلام السّيف للدّفـاع عنـه ، إذ حـارب جنـديـاً في حروب الرّدّة ، تحت لواء الخليفة الأوّل ـ أبي بكر ـ وكلّنا نحارب عن رايـة الإسلام ، وتحت رايـة الإسلام ، مهما كان لونها المذهبي[١] » .

أمّا الشّيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فيقول كلاماً رائعاً ، نقتطف منه :

« هيهات أن يسعدوا مالم يتّحدوا[٢] » ، ثم يقول :

« وليس معنى الـوحـدة في الأُمّـة أن يهضم أحـد الفريقَيْن حقـوق الآخر فيصمت ، ويتغلّب عليه فيسكت ، ولا مِنَ العدل أن يقـال للمهضوم إذا طـالب بحقٍّ ، أو دعـا إلى عدل إنّك مفرّق أو مشـاغب ، بل ينظر الآخرون إلى طلبـه ، فـإن كان حقّـاً نصروه ، وإن كان حَيْفاً أرشـدوه وأقنعوه ، وإلاّ جـادلوه بـالّتي هي أحسن مجـادلـة الحميم لحميـه ، والشّقيق لشقيقه ، لا بالشّتائم والسّبـاب ، والمنـابزة بـالألقـاب ، فتحتـدم نـار البغضـاء بينهما ، حتّى يكونـا لهـا معـاً حطبـاً ، ويصبحـا معـاً للأجنبيّ لقمـة سـائغة ، وغنيمـة باردة[٣] » .

---

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) الكتاب المذكور ، ص : ١٦٠ .

(٣) الكتاب المذكور ، ص : ٣٧ .

« نعم أعظم فرق جوهري ، بل لعلّه الفارق الوحيد بين الطائفتَيْن : السُّنّة والشِّيعة ، هو قضيَّة الإمامة ، حيث وقفت الفرقتان منها على طرفَيْ الخطّ ، فالشِّيعة ترى أن الإمامة أصل من أُصول الّدين ، وهي رديفة التَّوحيد والنُّبوَّة ، بخلاف إخواننا من أهل السُّنَّة ، فهم متَّفقون على عدم كونها من أُصول الدِّين ، ومختلفون بين قائل بوجوب نصب الإمام على الرَّعيَّة بالإجماع ونحوه ، وبين قائل بأنها قضيَّة سياسيَّة ليست من الدِّين في شيء ، لا من أُصوله ولا من فروعه ، ولكن مع هذا التَّباعد الشَّاسع بين الفريقَيْن في هذه القضيَّة ، هل تجد الشِّيعة تقول إنَّ من لا يقول بالإمامة غير مسلم ، كلا ، معاذ الله ، أو تجد السُّنَّة تقول إنَّ القائل بالإمامة خارج عن الإسلام ، لا وكلا ، إذن فالقول بالإمامة وعدمه ، لا علاقة له بالجامعة الإسلاميَّة وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ، ووجوب أُخوَّته ، وحفظ حرمته ، وعدم جواز غيبته ، إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه[1] » .

أمّا الشَّيخ محمد جواد مغنية فيقول :

« هل يذكر السُّنّي ، وهو في هذه الرِّحلة الرُّوحيَّة [في الحجِّ] ، وأمام هذه المشاهد القدسيَّة أنَّه سُنّي ؟ وهل يذكر الشِّيعي أنَّه شيعي ؟ أمْ هم جميعاً قرآنيُّون ، بسُنَّة محمَّد عاملون ، وعلى محبَّة محمَّد وآله منطوون ؟

هل للسُّنَّة هناك بيت يطوفون به ، وللشِّيعة بيت ؟

هل لهؤلاء مسعى ، ولأُولئك مسعى ؟

هل تقف طائفة في هذه النَّاحية من عرفات ، وطائفة في تلك ؟

هل يعتقد السُّنّي وهو أمام القبر الطَّاهر أن هذا الرَّسُول بُعثَ إليه وحده من دون أخيه الشِّيعي ؟

---

(١) الكتاب المذكور ، ص : ١٠٢ .

أو هل يعتقد الشّيعي وهو أمام المزارات المعظّمه لآل رسول الله الأطهار وصحبه الأبرار ، أن هؤلاء الأبطال مُثله هو من دون أخيه السُّنّي ؟

كلا ، إنّهم جميعاً يُحْرِمُون إحراماً واحداً ، ويطوفون طوافاً واحداً ، ويقفون بعرفة ، وينزلون بمزدلفة ، ويرمون الجمار ، وينحرون ويذبحون ، ويقصدون مسجد الرّسول مشتاقين ، ويقفون أمام جدثه الطاهر خاشعين ، ويزورون آله وصحبه معتبرين .

رباه ! هل ظنّ المسلمون أنّكَ أردت لهم في هذه الوحدة مظهرها الرّائع حين يحجُّون ، ثمَّ أبحتَ لهم أن يتفرّقوا شذر مذر وهم إلى أهلهم راجعون[1] ؟ ﴿ سُبْحَانَكَ هَذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُم اللهُ أَن تعودُوا لِمِثْلِهِ أَبداً إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين ﴾ [النُّور : ١٦/٢٤ و١٧] .

وقدَّم الشَّيخ عبد المجيد سليم ، رئيس لجنة الفتوى في الأزهر ، ووكيل جماعة التّقريب ، بياناً للمسلمين ، جاء فيه :

إنَّ الدِّين الإسلامي قائم على نوعين من الأحكام :

أحدهما : أحكام ثابتة ، يجب الإيمان بها ، ولا يسوغ الاختلاف فيها ، وليس من شأنها أن تتغيَّر بتغيُّر الزّمان والمكان ، ولا أن تخضع لبحث الباحثين ، واجتهاد المجتهدين ..

والثّاني : أحكام اجتهاديّة نظريّة مرتبطة بالمصالح الّتي تختلف باختلاف ظروفها وأحوالها ، أو راجعة إلى الفهم والاستنباط اللّذين يختلفان باختلاف العقول والأفهام ، أو واردة بطريق لا يرقى إلى درجة العِلْم واليقين ، ولا يتجاوز الظَّنَّ والرُّجحان ..

---

(١) الكتاب المذكور ، ص : ١٥٩ و ١٦٢ .

والنَّوع الأَوَّل من الأَحكام ـ وهو القطعي في روايته ودلالته ـ وهو الأَساس الَّذي أوجب الله على المسلمين أن يبنوا عليه صرح وحدتهم غير متنازعين ، وربط به عزَّهم وقوَّتهم في أعين خصومهم والتربِّصين بهم ، والمسلمون كلُّهم مؤمنون به إيماناً ثابتاً لا يتزعزع ، لا فرق في ذلك بين طائفة منهم وطائفة ...

أمَّا النَّوع الثَّاني من الأحكام ، فإن الاختلاف فيه أمر طبيعي ، لأنَّ العقول تتفاوت ، والمصالح تختلف ، والرِّوايات تتعارض ، ولا يعقل ، في مثل هذا النَّوع ، أن يخلو مجتمع من الاختلاف ، ويكون جميع أفراده على رأي واحد في جميع شؤونه ، وهذا النَّوع من الاختلاف غير مذموم في الإسلام ، ومادام المختلفون مخلصين في بحثهم ، باذلين وسعهم في تعرُّف الحقّ واستبانته ، بل إنّه ليترتب عليه كثير من المصالح ، وتتَّسع به دائرة الفكر ، ويندفع به كثير من الحرج والعسر ، وليس من شأنه أن يفضي بالمسلمين إلى التَّنازع والتَّفرُّق ، ويدفع بهم إلى التَّقاطع والتَّنابز .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتَّابعون لهم بإحسان ، والأئمة عليهم الرِّضوان يختلفون ، ويدفع بعضهم حجَّة بعض ، ويجادلون عن آرائهم بالَّتي هي أحسن ، ويدعون إلى سبيل ربِّهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولم تسمع أنَّ أحداً منهم رمى غيره بسوء ، أو قذفه ببهتان ، ولا أنَّ هذا الاختلاف بينهم كان ذريعة للعداوة والبغضاء ، ولا أنَّ آراءهم فيما اختلفوا فيه ، قد اتخذت من قواعد الإيمان وأصول الشَّريعة الَّتي يعدُّ مخالفها كافراً أو عاصياً لله تعالى ، وقد كانوا يتحامَوْن الخوض في النَّظريات ، وفتح الآراء في العقائد وأصول الدِّين ، ويحتمون الاعتصام فيها بالمأثور ، سدّاً لذريعة الفتنة ، وحرصاً على وحدة الأُمّة ، وتفرغاً لما فيه عزُّهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم ، لذلك كانوا أقوياء ذوي عزَّة ومهابة[1] : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٤٨/٢٩] .

ويقول الشَّيخ محمد أبو زهرة رحمة الله تعالى عليه :

---

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٣٠ .

« وإنَّ هذا العصر الَّذي تتجمَّع فيه الدُّول ، ويحس كلُّ إقليم أنَّه مـأكول إن لم يكن في جماعة من الدُّول ، وأنَّه مغلوب على أمره إن لم يتَّجه مختاراً إلى تجمُّع دولي[1] .. » .

« الاجتماع بـاسم الإسلام اجتماع لا يقوم على المغـالبـة ، بل على الأُخـوة العـامَّـة ، والمودَّة الرَّاحمة ، الَّتي يحثُّ عليها ذلك الدِّين القويم[2] » .

أمَّا الشَّيخ محي الدِّين القليبي التُّونسي فيقول :

« لو رجعنـا إلى المكتبـة الإسلاميَّـة مثلاً أو أحصينـا الكتب الَّتي أُلِّفت في تغـذيـة الخلاف بين المسلمين إلى جـانب الكتب الَّتي تعمـل على إصـلاح ذات البَيْن لاتَّضـح لنـا كيف كانت عوامل الشَّرِّ أقوى وأعظم بكثير من عـوامـل الخير ، ولعلمنـا علم اليقين السِّرَّ في بقـاء الخلاف بين المسلمين على أشـده إلى اليوم ككائن حي ، ينمو ويقوى ، خصوصـاً إذا احتضنتـه أيـدي أعـداء الإسـلام رغم أنَّ المسلمين فقـدوا الـدَّولـة الَّتي اختلفـوا على نظـامهـا ، والسُّلطـان الَّـذي تنـازعوا عليـه ، وضعف الـدِّين الَّـذي تقلوا إليـه الخلاف وتفرَّقوا فيه ، وأخيراً فقدوا وجودهم وتخطَّفهم النَّاس ، فهم على كثرة عددهم غثـاء كغثـاء السَّيل ، لا يملك أحدهم حرِّيَّة إدارة بيته ، فضلاً عن بلاده وأُمَّته .

توحيد قلوب أهل التَّوحيد حول الأُصول العليا للإسلام ، وأن تكون الدَّعوة للحقِّ بالحقِّ ، وبما أدَّبنا به الحقُّ تعالى[3] » .

أبو القاسم آية الله الكاشاني : سأله بـدمشق أحـدهم عن رأيـه في الخلاف بين السُّنَّة والشِّيعة ، بحضور عدد كبير من الطَّائفتَيْن ، فأجـاب : أنـا مسلم ، لا أعرف إلاَّ الإسلام الَّذي جاء به محمد من عند ربِّه ، وهو الَّذي يجب أن يتَّحد عليه المسلمون ، أمَّـا مـاعـدا ذلك فلكلٍّ أن يحتفظ بما عنده لنفسه ، وإنَّ كلَّ المسلمين يجب أن يتَّحدوا اليوم لمقـاومـة

---

(١) الكتاب المذكور ، ص : ٤٣ .

(٢) الكتاب المذكور ، ص : ٤٥ .

(٣) الكتاب المذكور ، ص : ١٠٩ .

الاستعمار بقلب رجل واحد ، وأن يعتصموا بحبل الله كما أمرهم الله ، وألاّ يتفرّقوا ، فحال المسلمين أخطر مما نتصوّر ، ووجوب اتّحادهم للإنقاذ والخلاص هي أوكد من كلّ شيء الآن .

تلك هي آرائي الّتي اكتسبتها من مدرسة القرآن الكريم(1) .

ما سبق ، يثلج الصّدر ، ويَسُرُّ المخلص ، وتطرب له القلوب السّاعية لوحدة الصّفّ ، خصوصاً وأحاديث رسول الله ﷺ ، والّتي يعترف بها الطّرفان بصحّتها تقول : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومَنْ فرّج عن مسلم كربة ، فرّج الله بها عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومَنْ ستر مسلماً يستره الله يوم القيامة » [الحياة : ١٠٠/٥ ، عن مجمع البيان : ١٣٤/٩] .

وورد عن الإمام جعفر الصّادق رضي الله عنه : « يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التّواصل ، والتّعاون على التّعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض حتّى يكونوا كما أمرهم الله عزّ وجلّ ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، متراحمين ، مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم ، على ما مضى عليه معشرُ الأنصار على عهد رسول الله ﷺ » ، [الكافي : ١٧٥/٢] ، وورد عنه أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، وحقُّ المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ، ولا يَرْوى ويعطش أخوه ، ولا يكتسي ويَعْرى أخوه ، فما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم » [سفينة البحار : ١٣/١] .



(1) وجاء في وصيّة علي رضي الله عنه لابنيه الحسن والحسين ـ ولكل من حوله ـ « اللهَ اللهَ في أصحاب نبيّكم ، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى بهم » [البداية والنهاية : ٣٢٩/٧] .

إنَّ العصبيَّة تهدم بناء الوحدة .

وعزَّتنا في الوحدة لا في التَّفرُّق .

يقول عليٌّ رضي الله عنه : « ما حُفِظَت الأُخوَّة بمثل المؤاساة » [غرر الحكم : ٣٠٩] ، لقد كان رضي الله عنه إمام المنصفين في الخلاف وقدوة للمتسامحين في الدِّين ، حتَّى أنصف من قتله ، وراح يوصي بتطييب طعامه ، وإلانة فراشه ، ويوصي بعدم التَّمثيل به : « يا بني عبد المطَّلب ، لا أُلفينَّكُم تخوضون دماءَ المسلمين خوضاً ، تقولون : قُتِلَ أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلُنَّ بي إلاَّ قاتلي ، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه ، فاضربوهُ ضربةً بضربة ، ولا تمثِّلوا بالرَّجل ، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إيَّاكم والمُثلَة ولو بالكلب العقور » [نهج البلاغة : ٤٢٢] .

ونطق رضي الله عنه بصريح العبارة : « إنِّي أكره لكم أن تكونوا سَبَّابين .. اللَّهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذاتَ بيننا وبينهم ... » [نهج البلاغة : ٣٢٣] .

وبعد هذا كله .. أما آن تجاوز المتطرفين (الشَّتَّامين) لتلك المقامات المحترمة ، حيث إثارة الأحقاد ، واستعار الحفائظ ، خصوصاً والآيات القرآنية الكريمة صرَّحت بفضلهم ومكانتهم ؟

وأما آن أن نقبل قول الصَّحابة في الحديث ، وقد قبلنا القرآن الكريم الَّذي جمعوه ؟

يا أهل السُّنَّة والشِّيعة : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، وأنتم تحبُّونها منا ، وهي تسرُّنا منكم ، وهي أن نأخذ بآداب سيدنا علي وهديه ، ونقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، فإن خالفتموه في ذلك فقد بطلت دعوى العصمة ، وإن لم تتجاوزوا قوله ولا فعله فأهل السُّنَّة معكم ، وأنتم منهم ، وهم منكم ، وها هي ذي أقواله وأعماله رضي الله عنه تعرض عليكم :

لقد بايع الإمام علي للأئمة الثّلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده . وأصلح الله به بين فئتَيْن عظيمتَيْن من المسلمين طبقاً لما أخبره جدُّه الصّادق عليه وعلى آله الطّاهرين وصحبه الطّيبين أفضل الصّلاة والتّسليم .

سئل رضي الله عنه عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر فرُّوا ، قيل : أفمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلاَّ قليلاً ، ولا يأتون الصّلاة إلاَّ وهم كسالى ، قيل فما هم ؟ قال : قوم بغوا علينا ، فقاتلونا وقاتلناهم » .

(الحوار دائماً) ، الحوار الممتزج بخشية الله للوصول إلى الحقيقة ، ووحدة الكلمة .

مع رهبة عقابه عند المراوغة والفرقة والكيد .

وآن لنا أن نترك محاكمة التّاريخ ، ونفكر بحاضرنا ومستقبلنا ، ولا نقتل حاضرنا ومستقبلنا باسم الماضي .

وأن نُميت هذا الحقد المتوارث الّذي جعل الحلم الجميل ، حلم وحدة الصّفّ ، أُمنية بعيدة .

وننهي هذا الفصل بالّذي بدأناه به : حبُّ آل البيت جزء لا يتجزأ من إيمان كلِّ مسلم مهما كان مذهبه ، هذه حقيقة ثابتة لا مرية فيها .. فحبُّ آل البيت عامل رئيس في الحوار ، وعلى طريق الوحدة .

روى البخاري : صلّى أبو بكر العصر ثمّ خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعب مع الصّبيان ، فحمله على عاتقه ، وقال : بأبي ، شبيه بالنّبيِّ لا شبيه بعلي ، وعليٌّ يضحك [رواه البخاري ، كتاب المناقب] .

وكسا عمر رضي الله عنه أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يكن فيها ما يصلح للحسن والحسين ، فبعث إلى اليمن ، فأتىٰ لهما بكسوة ، فقال : الآن طابت نفسي ، كما ذكر ابن الجوزي في كتابه (عمر بن الخطاب) .

الحِوارُ دائماً

بَيْنَ المسلمينَ وَبَيْنَ العِلْمَانِيِّينَ

﴿ وَإِنَّـا أَو إيَّـاكُم لَعَلى هُـدىً أو في ضَـلالٍ مُبينٍ ﴾ .

[سبأ : ٣٤/٢٤]

الإسلام دين دعوة ، لا دين سيف .

إنَّـه دين حـوار وفكر ، لا دين دمـاء وقهر ، والتَّعسُّف ينـافي حرِّيَّـة المعتقـد ، ولذلك يرفضه الإسلام .

وجلسة فيها عشرات الرِّجـال ، تبقى في الأذهـان منهـا صور ، صور المتحـاورين باحترام ، وتبقى عباراتهم وأفكارهم ومناقشـاتهم وتحليلاتهم ، تذكر بـالتَّقـدير ، ويمقت العنف ، أو الكلمات اللاَّعقلانيَّة غير الموثَّقة .

والمثل الأعلى للحوار مع العلمانيِّين ، حوار إبراهيم عليه السَّلام مع أبيه :

﴿ وَاذكُرْ في الكِتَابِ إبراهيمَ إنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نبيّـاً ، إذْ قـالَ لأبيـهِ يـاأبَتِ لِمَ تَعْبُـدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ، يَاأَبتِ إنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يأتِـكَ فَـاتَّبِعنِي أَهْـدِكَ صِراطـاً سَوِيّـاً ، يَـاأَبَتِ لاَتَعْبُـدِ الشَّيْطَـانَ إنَّ الشَّيطَـانَ كانَ للرَّحْمنِ عَصِيّاً ، يَاأَبَتِ إنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّـاً ، قَـالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَن آلِهَتِي يَاإبراهيمُ لَئِن لَمْ تَنْتَه لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرني مَلِيّاً ، قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْـكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّـاً ، وَأَعتَزِلُكُم وَمَـا تَـدْعُونَ مِنَ دُونِ اللهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾ [مريم : ١٩/ ٤١ـ٤٨] .

رأى جعفر الصَّادق ابنَ العوجاء مرَّة بالحَرَم ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : عادة الجسد ، وسُنَّة البلد ، ولنبصر ما النَّاس فيه من الجنون والحَلْق ، ورمي الحجارة ، قال الصَّادق : أنت بعد على عتوِّك وضلالك ياعبد الكريم ؟ فذهب يتكلَّم ، فقال الإمام : لا جدال في الحجِّ ، ونفض رادءه من يده ، وقال : إن يكن الأمر كما تقول ، نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول ، نجونا وهلكت .

أيُّ صبر في حرِّيَّة الفكر كمثل هذا الصَّبر ، حيث تؤدَّى المناسك ؟!

واللَّباقة صيغة أساسيَّة يجب توافرها في (الحوار دائماً) ، لنضمن نجاحه ، ونصل ، أو تقترب من الحقيقة ، ونترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي ، ونعبر إلى المستقبل في ضوء خبرات الماضي ، ووقائع الحاضر .

ومما يلفت النظر هجوم العلمانيِّين على التراث ، وثناؤهم على المعتزلة .

قد لا يكون ولاء كثيرين للتراث مطلقاً ، ولكننا لن نسمح لأنفسنا ولا للآخرين بإعدام التُّراث كلِّه بحجَّة قراءته قراءة علميَّة ، لأنَّ الإنسان بلا جذور ، إنسان بلا مستقبل .

وأيُّ ثناء على المعتزلة ، وحرِّيَّة الفكر مصادرة ؟ حيث جبر النَّاس وقهرهم بالقول بأفكارهم ، كالقول (بخلق القرآن) مثلاً .

« إنَّ الخطأ الَّذي ارتكبه المعتزلة أنَّهم أرادوا فرض فكرتهم على النَّاس ، وعلى العلماء » ، ومع ذلك يمتدح العلمانيُّون المعتزلة ! ويتناسون (المناظرة الكبرى في محنة خَلْق القرآن)[1] ، الَّتي دارت بين الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي ، وبين بشر

---

(١) الحَيْدَة ، أو المناظرة الكبرى في محنة خَلْق القرآن ، للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكِّي ، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، نشر في (دار الفتح للطباعة والنشر) بيروت ـ لبنان ، ط١ سنة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .

المريسي[1] ، بحضور الخليفة العباسي (المأمون) ، وهذه المناظرة تلقي الأضواء على إمامٍ رزقه الله الفهم وحُسْن البيان ، والحوار بالّتي هي أحسن .

ولسنا هنا بصدد إيراد هذه المناظرة ، ونكتفي بقول الإمام عبد العزيز في ختامها : ياأمير المؤمنين ، إنَّ الله عزَّ وجل أخبرنا في كتابه بخلق الإنسان في ثمانية عشر موضعاً ، ما ذكره في موضع منها إلاَّ أخبر عن خلقه ، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق ، ثمَّ جمع بين القرآن والإنسان في آية من كتابه ، فأخبر عن الخلق للإنسان ، ونفى الخلق عن القرآن ، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ الرَّحمنُ عَلَّمَ القرآنَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ ، عَلَّمهُ البَيان ﴾ ، ففرّق بين القرآن والإنسان .. فقال المأمون : أحسنت ياعبد العزيز .

الإلزام والإكراه ، ممّا لا يجوز في الإسلام .
الحوار دائماً هو البديل أوّلاً وآخراً .

في فندق قصر الرِّياض ، وبتاريخ ١٥ شوّال ١٤١٣ هـ ، الموافق ٦ نيسان ١٩٩٣ م ، دار حوار بين الدكتور يوسف القرضاوي ، والأستاذ أحمد لطفي الخولي ، كنت حاضراً في هذا اللقاء بين هذين العَلَمَيْن الكبيرين ، وبما قالاه ، واتّفقا عليه دون اختلاف :

نفتّش عن نقاط اللّقاء ، لا نقاط الاختلاف .
العِلْم في كلّ مجالاته فرض ، فابن النَّفيس الطَّبيب . ترجم له السُّبكي في طبقات الشّافعيّة ، وابن رشد ، قاضٍ فقيه فيلسوف ..
العدو الصَّهيوني يزوّد أمريكة بالحاسوب ، ونحن اختلفنا في تسميته حتّى طُرِحَت كلمة (العَصْريت) اسماً له ، خلل لا شك يجب تجاوزه .

---

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي ، فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة ، يُرمى بالزّندقة ، وقبل كان أبوه يهودياً ، توفي عام ٢١٨ هـ/ ٨٣٣م .

إن وجدنا رافضين للدُّنيا ، فسنجد أيضاً الرَّافضين للدِّين ، والصَّواب : الإسلام دين الحياة ، كما هو دين الآخرة .

لا ... للعروبة العلمانيّة ، وكما أنه لا .. للإسلام الشُّعوبي .
المكوِّن الرَّئيس والأساس لهذه الأُمَّة ، هو الإسلام حضارة وفكراً .
والعروبة وعاء الإسلام .
الحوار مع الآخر أمر طبيعي ، ولكن دون أن نفقد هُويّتنا .
القرآن الكريم غير خاضع للنِّقاش ، والتَّفسير خاضع للنِّقاش .
نفكِّر بالحاضر والمستقبل .
التَّواشج الوثيق بين التُّراث والمعاصرة ضرورة لا بُدَّ منها .
إن لم يكن الإسلام مقدَّساً ، فما هو المقدَّس ؟
الحضارة : صلة وثيقة بين المادَّة والرُّوح .
ولا نحكم على النَّاس بالموت إن خالفونا بالرَّأي ، لا ... إنَّ الحوار هو البديل .

☆ ☆ ☆

وعقد مركز دراسات الوحدة العربيَّة ندوة في القاهرة ، من : ٢٥ إلى ٢٧ أيلول ١٩٧٩ ، جمعت المسلمين والقوميِّين العلمانيِّين ، لم يكن الحوار هدفها ، إنَّ النَّقد الذَّاتي كان الهدف ، وأبرزُ ما تبيَّن في هذا النَّقد أنَّ الطَّرفين لم يفهم كلٌّ منهما الآخر ، وأنَّ كليهما لا يتمتَّع بالديمقراطيَّة .

التيَّار الإسلامي ينتقد ذاته :

العجز عن فهم الواقع وإدراك سُنَنِه وقوانينه ، فغلبت النَّظرة الجزئيَّة على النَّظرة الكلِّيَّة وأسلوب الزَّعامة في التَّعامل مع القاعدة ، وانعدام الشُّورى .

والتّيّار القومي (العلماني) ينتقد ذاته :

عدم اطّلاع معظم المفكّرين القوميّين على التّراث الإسلامي اطلاع فهم وتعمّق ، وإهمال الحوار مع التّيّار الإسلامي .

وانعدام الديمقراطيّة تنظيميّاً وعقائديّاً داخل التّنظيمات القوميّة ، فهي تنادي بالديمقراطيّة ولكنها لا تمارسها .

☆ ☆ ☆

وننهي هذا الفصل بالتّالي :

ينوح بعضهم على الديمقراطيّة ، الّتي هي اليوم مطلب وهدف ، فإذا هي ديمقراطيّة التّهجمٌ على الإسلام والافتراء والدّسٌ عليه ، والسُّخرية من أتباعه ، دون التّمييز بين رأي فرد ، ورأي الإسلام .

ومع ذلك ، وتحت شعار الديمقراطيّة ، أين حقُّ الرّدّ ، أو الدّفاع عن النّفس ؟ وأين حقُّ التّوضيح ؟ وأين تقف هذه الآراء من الحقيقة ، والبحث الموضوعي ؟ وأيُّ فخر للعلمانيّين وهم يتكلّمون ، ويكتبون ، ويصولون ويجولون ، ولا مساحة للرّدّ في صحيفة أو مجلّة أو نشرة ؟!

القاعدة الصّواب تقول :

أدرسُ ، أبحثُ ، أستدلٌّ ثم أعتقد ، لا أعتقد ثم ألوي عنق النّصٌ إلى ما أعتقد وأهوى .

واللّباقة ـ من الطرفين ـ صيغة أساسيّة يجب توافرها في (الحوار دائماً) ، لنضمن نجاح الحوار ، أو التّقدّم على طريقه .

☆ ☆ ☆

الحِوارُ دائماً

بينَ المسلمينَ و بينَ أهلِ الكتابَ

﴿ لاَ يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الّذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُم في الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُم مِن دِيَارِكُمْ أن تَبَرُّوهُم وَتُقْسِطُوا إلَيْهم إنّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطينَ ﴾ .

[الممتحنة : ٨/٦٠]

لم يجبر الإسلام أحداً من أبناء الشّرائع الأُخرى على اعتناقه قهراً وعنوة ، لقد كان هدف الإسلام الأوّل والأخير في فتوحاته الحرّيّة الكاملة في قبوله وعدمه :

﴿ لاَ إكراهَ في الدّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .

﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنَ رَبِّكُم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فليكْفُر ﴾ [الكهف : ٢٩/١٨] .

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤمنينَ ﴾ [يونس : ٩٩/١٠] .

هذا ... مع أمْرِ الفاتحينَ المنتصرين عسكرياً بالبرِّ والإحسان :

﴿ لاَ يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الّذينَ لم يُقاتِلُوكُم في الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِن دِيارِكُم أن تَبَرُّوهُم وَتُقْسِطُوا إلَيْهِم إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطينَ ﴾ [الممتحنة : ٨/٦٠] .

ومع النّهيِّ عن الظُّلم والعدوان :

﴿ وَقَاتِلوا في سَبيلِ اللهِ الّذينَ يُقاتِلُونَكُم وَلاَ تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لاَ يُحبُّ المُعْتَدينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠/٢] .

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التّوبة : ٦/٩] .

ومع الحثّ على (الحوار) بالّتي هي أحسن :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ [البقرة : ٨٣/٢] .

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦/٢٩] .

وأمر طبيعي أن يقبل الإسلام (الحوار) ، وأن يدعو النّاس - كلّ النّاس - إليه ، لأنّه وحي الله المنزّل على قلب المصطفى المختار ﷺ ، بما لا يتناقض مع عقل ، أو يتعارض مع علم ، و (غير المعقول) ، أو ما يتعارض مع العلْم والفكر السّليم يرفض الحوار ، لأنّه لو أباح الحرّيّة الفكريّة ، والحوار الموضوعي لانْهار ، لذلك نراه هنا وهناك يغتال الرّأي الآخر ويرميه إفكاً وبهتاناً بما ليس فيه ، تشويهاً مقصوداً ، لإبعاد النّاس عن حقائق لو عرفوها اعتنقوها[1] .

---

(١) تقول الأُستاذة الدكتورة أنّا ماري شمل (عميدة الاستشراق في ألمانية) في مقدّمتها لكتاب : (الإسلام كبديل) للدكتور مراد هوفمان (سفير ألمانية في المغرب) : « الإسلام مثلّ غطيٌّ لتلك التّأويلات الظالمة المشوّهة .. إن الكثير من الأحكام الظّالمة الّتي نُلصقها بالإسلام ناشئةٌ عن سوء فهمنا وخطئنا في القياس المنطلق من معاييرنا الغربيّة ومُثلنا أو قيمنا .. إنّ من الحزن اليوم حقّاً أن لا يميّز كثيرون في الغرب بين الإسلام وبين ما يُلْصَقُ زوراً وبهتاناً بالإسلام ، أو يُقْتَرَفُ من جرائم باسم الإسلام ، فالإسلام بريءٌ من الإرهاب والإرهابيّين » ، وختمت مقدّمتها ببيتَيْن لجوته ، الّذي يشهد له بالبصر العميق في عالم الفكر الإسلامي : « إن يكُ الإسلام معناه القنوت ، فعلى الإسلام نحيا ونموت » [الإسلام كبديل ، الناشر : مجلة النور الكويتية ، ومؤسسة باڤاريا للنشر والإعلام والخدمات ، الطّبعة العربية الأُولى نيسان (إبريل) ١٩٩٣ م] .

(غير المعقول) هو الّذي يرفض الحوار ، ويسفّه العقل جهراً ، ويرغم أتباعه على قبوله هكذا كما هو ، دون محاكمة من فكر ، أو ترجيح من عقل ، أو مقارنه وقبول من عِلْم .

الحرِّيّة الكاملة في الاعتقاد ، الّتي تعطي حقّ الحوار للوصول إلى القناعات في القبول أو عدمه ، هي درب الإسلام بالأمس واليوم وغداً لقبول الأتباع الجُدُد ، لذلك لم يقف انتشاره ، ولم يتوقّف عن كسب المعتنقين بعد الضّعف والتّجزئة في العالم الإسلامي ، لقد تابع زحفه ، ويحقّق اليوم زحفه وانتشاره ، حتى لقد نشر مركز تتبّع انتشار العقائد في (برن - سويسرة) أن الإسلام اليوم هو الأقدر على كسب الأتباع بين عقائد العالم كلّها ، على الرّغم من إمكانات دعاته المتواضعة ، والجهود الفرديّة المبعثرة ، أمام إمكانات التّبشير الضّخمة من حيث مليارات الدولارات ، والتّنظيم ، والدّعم الغربي الإعلامي .

إنّ قِدَمَ الحوار مع أبناء الشّرائع الأُخرى (أهل الكتاب) قِدَمُ الدّعوة الإسلاميّة نفسها ، بعد أن ضمن حرّيّة العقيدة لكلّ النّاس ، مع تسامح أوجبته تعاليمه ، وهذا ما لم يكن أيام بيزنطة وهي تحكم قلب العالم ، بلاد الشام ومصر وقسماً كبيراً من الشمال الإفريقي ، حينما اختلف المذهب ضمن الدّين الواحد ، فحلّ الاضطهاد والظُّلم ، وفرضت الضّرائب المرهقة ، مع التّعسّف في جبايتها .

الإسلام دين عالمي إنساني ، يقبل الآخرين في مجتمعه ، ولا يرفض الآخر ، ولا يصادر رأيه أو عقيدته ، لذلك ، جعل أُسساً ثابتة من صلب العقيدة ، للتعامل مع الآخرين ، وآداباً للحوار معهم ، وتسامحاً في التّعامل معهم ، فالمواطن الشّريف له ما لنا وعليه ما علينا ، حتّى ورد عن تقي الدّين أحمد بن تيمية أنّه رفض ترك الأسرى من غير المسلمين عند التّتار ، وأنقذهم مع المسلمين الأسرى ، لأنّهم ذمّة في أعناقنا .



وثائق من الحوارات :

(الحوار) جهود علميّة منطقية عقلية في نشر التّعاليم ، وتقديم العقائد ، وعرض المبادئ ..

والمسلمون ينظرون ويرجون ممن يدخل في الإسلام اقتناعاً فكريّاً خالصاً .

ومن أدلّة (الحوار) منذ القرن الثّامن الميلادي ، ما كتبه (القدّيس) يوحنا الدّمشقي من الكتب الّتي ألّفها في (الجدل) لتمدنا بلمحات عن الحوار الّذي دار بين أتباع الشّرائع المختلفة ، وإنّ صياغة هذه الكتب ، أو الرسائل ، في قالب الحوار ، وكثرة التّكرار في مثل قوله : « إذا قال لك العربي .. فأجبه » ، تعطينا فكرة ـ ولو ضئيلة ـ عن الحوار الّذي اعتمده المسلمون في هذه الفترة في عرض تعاليم الإسلام ومبادئه .

وكذلك ما كتبه تلميذ يوحنا الدّمشقي ، الأُسقفُ تيودور أبو قرة ، فيه حوارات أيضاً[1] .

وكان البطريق النّسطوري طيماثاوس Timotheus يعقد مناظرات في المسائل الدّينيّة بحضرة الخليفة الهادي[2] ، وهارون الرّشيد[3] ، وجَمَع هذه المناظرات في كتاب ، ومع ذلك انتُخِبَ لكرسي البطركيّة على الرّغم من ذلك ، من قِبَلِ رجال الدّين في كنيسته .

ووصلتنا وثيقة تدل على صورة واضحة من صور الدّعوة إلى الإسلام بالحوار ، ترجع إلى عهد المأمون[4] ، وهي في صورة رسالة كتبها ابن عم الخليفة إلى عربي مسيحي

---

(١) الدّعوة إلى الإسلام ، السّير توماس آرنولد ، ص : ١٠٣ .

(٢) الهادي (موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور) الخليفة العباسي الرّابع : [١٤٤ ـ ١٧٠ هـ = ٧٦١ ـ ٧٨٦ م] .

(٣) هارون الرّشيد بن محمد المهدي ، الخليفة العباسي الخامس : [١٤٩ ـ ١٩٣ هـ = ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م] .

(٤) المأمون بن الرشيد : [١٩٨ ـ ٢١٨ هـ = ٨١٣ ـ ٨٣٣ م] .

كريم المحتد ، عظيم المنزلة في بلاط الخلافة ، وكان المأمون يحلُّه من نفسه محلّ الاحترام والتّقدير ، وفي هذه الرِّسالة يرجو لصديقه أن يدخل في الإسلام ، وكان رجاؤه في لهجة تنمُّ عن الوُدّ ، وفي لغة تصوّر بوضوح مسلك المسلمين السّمح تجاه الكنيسة المسيحيَّة في ذلك العصر ، وتحتل هذه الرِّسالة في تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة المبكّر مكاناً يكاد يكون فريداً في بابه[1] .

وقبل إيراد فِقْرات من هذه الرِّسالة (الوثيقة) ، نذكِّر بأمرين اثنين :

١ ـ بالمناظرات الّتي دارت أيّام المأمون ، حضرها زعماء جميع الطّوائف الدِّينيَّة في ذلك العصر ، وهي تثبت أنَّ الحوار ـ برعاية الخلافة العباسيَّة ـ كان سائداً ، فلا عنف ، بل حجَّة ، ناهيك عن الرَّسائل إلى ما وراء النَّهر وفرغانة ، وقدوم زعيم المانويَّة (يزدانبخت) إلى حاضرة الخلافة بغداد ، وعقد مناظرة مع المتكلّمين المسلمين ، وأُلزم الحجَّة فيها ، عندها حاول الخليفة المأمون أن يقنعه باعتناق الإسلام ، ولكن (يزدانبخت) أبى ذلك ، وقال : نصيحتك ياأمير المؤمنين مسموعة ، وقولك مقبول ، ولكنك ممّن لا يجبر النَّاس على ترك مذاهبهم ، فلم يبدِ الخليفة شيئاً من الاستياء لإخفاق محاولته ، ووكّل به حفظة ، خوفاً من إنسان قد يسيء إليه ، بعد مكابرته وقد قامت الحجَّة عليه .

٢ ـ وبأبي بكر محمد بن الطَّيب الباقلّاني : [٣٣٨ ـ ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ ـ ١٠١٣ م] ومناظرته في عاصمة الرُّوم البيزنطيين (القسطنطينية) مع علماء النَّصرانيَّة فيها ، وبين يدي ملكها .

---

(١) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ١٠٤ ، وص : ٤٧٠ .

رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ، يدعوه للإسلام :

« بسم الله الرحمن الرَّحيم ، أمَّا بعد ، فقد افتتحت كتابي إليك بالسَّلام عليك ، والرَّحمة ، تشبُّهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله ﷺ ، فإن ثقاتنا ذوي العدالة عندنا ، الصَّادقين النَّاطقين بالحقّ ، النَّاقلين إلينا أخبار نبينا عليه السَّلام ، قد رووا لنا عنه أنَّ هذه كانت عادته ، وأنَّه كان ﷺ إذا افتتح كلامه مع النَّاس يبادئهم بالسَّلام والرَّحمة في مخاطبته إياهم ، ولا يفرّق بين الذِّمي منهم والأُمّي ، ولا بين المؤمن والمشرك ، وكان يقول إنّي بعثت بحسن الخُلق إلى النَّاس كافة ، ولم أُبعث بالغلظة والفظاظة ، ويستشهد الله على ذلك ، إذ يقول ﴿ بالمؤمنينَ رَؤوفٌ رَحيم[1] ﴾ ، وكذلك رأيتُ من حضرته من أئمتنا الخلفاء الرَّاشدين رضي الله عنهم أجمعين ، أنَّهم كانوا لفضل أدبهم ، وشرف حسبهم ، ونبل همَّتهم ، وكرم أخلاقهم ، يتتبعون أثر نبيِّهم ﷺ ، ولا يفرّقون في ذلك[2] ولا يفضِّلون فيه أحداً[3] ، فسلكت ذلك المنهج ، واحتذيت تلك السُّبل ، وأخذت ذلك الأدب المحمود ، فابتدأتك في كتابي هذا بالسَّلام والرَّحمة ، لئلا ينكر عليَّ منكر يقع إليه كتابي هذا .

والذي حملني وحثّني على ذلك ؛ إذ كان سيدي ونبيي محمد ﷺ يقول محبَّة القريب ديانة وإيمان ، على أنّي كتبت إليك طاعة لرسول الله ﷺ ، ولما أوجبه لكَ عندنا حقُّ خدمتك لنا ، ونصحك إيانا ، وما أنت عليه من محبَّتنا ، وتظهره من مودَّتنا ، والميل إلينا ، وما أرى أيضاً من إكرام سيدي وابن عمّي أمير المؤمنين أيَّده الله لك ، وتقريبه إياك ، وثقته بك ، وحسن قوله فيك ، فرأيت أن أرضى لك ما قد رضيته لنفسي

(١) ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التَّوبة : ١٢٨/٩] .

(٢) كأنَّ هاهنا نقصاً .

(٣) وهاهنا أيضاً نقص .

وأهلي وولدي مخلصاً لك النَّصيحة وباذلها ، كاشفاً عمّا نحن عليه من ديانتنا هذه الَّتي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ، ووعدنا عليها حسن الثَّواب في المعاد ، والأمن من العقاب في المآب ، فرغبت لك فيما رغبت فيه لنفسي ، وشفقت[1] عليكَ لما ظهر لي من كثرة أدبك ، وبارع علمك ، وحسن تهذيبك ، وجميل مذهبك ، وشرف حسبك ، وتقدُّمك على الكثير من أهل ملَّتك ، أن تكون مقيماً على ما أنت عليه من ديانتك هذه ، فقلت : أكشف له عمَّا مَنَّ الله به علينا ، وأُعرِّفه ما نحن عليه بألين القول وأحسنه متَّبعاً في ذلك ما أذن الله به ، إذ يأمرني ويقول جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بالَّتي هي أَحْسَنُ[2] ﴾ ، فلست أُجادلك إلاَّ بالجميل من الكلام ، والحسن في القول ، واللِّين من اللَّفظ ، لعلك تنتهي وترجع إلى الحقّ ، وترغب فيما أتلوه عليك من كلام الله جلَّ جلاله ..

وأنت الرَّجل ـ عافاك الله من جهل الكفر ، وفتح قلبك لنور الإيمان ـ تعلم أنِّي رجل أتت عليَّ سنون كثيرة ، وقد تبحَّرت في عامَّة الأديان ، وامتحنتها ، وقرأت كثيراً من كتب أهلها ، وخاصَّة كتبكم معشر النَّصارى[3] ... فأنا الآن ـ مَتَّع الله بك ـ أدعوك بهذه المعرفة كلِّها منِّي بدينك الَّذي أنت عليه ، وبطول المحبَّة إلى هذا الدِّين الَّذي ارتضاه الله لي وأرتضيه لنفسي ، ضامناً لك به الجنَّة ضماناً صحيحاً ، والأمن من النَّار ، وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد الَّذي لم يلد ولم يولد ، ولم يتَّخذ له صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له كفواً أحد ...[4]

---

(١) هكذا هي في النَّص .

(٢) العنكبوت : ٢٩/٤٥ .

(٣) وهنا يعدِّد الأسفار الهامَّة من العهدين القديم والجديد ، وكيف درس الفِرَق المسيحيَّة المختلفة ، ولقياه جماعة من الرُّهبان ، وزياراته للأديرة ...

(٤) ثمَّ يعدِّد تعاليم الإسلام المختلفة وأركانه .

فقد نصحت لك ياهذا وأدّيْتُ إليكَ حقّ المودّة وخالص المحبّة .. ورجوت أن تكون بتوفيق الله إيّاك من المؤمنين ، الّذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، هم خير البريّة ، ورجوت أن تكون من هذه الأمّة الّتي هي خير أمّة أُخرجت للنّاس ، فإن أبيت إلاّ إلظاظاً ولجاجاً وجهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الّذي أنت فيه ، ورددت علينا قولنا ، ولم تقبل مابذلناه لك من نصيحتنا ، حيثُ لم نُرِد منك على ذلك جزاءً ولا شكراً ، فاكتب بما عندك من أمر دينك ، والّذي صحّ في يدك منه ، وما قامت به الحجّة عندك ، منا مطمئناً[1] ، غير مقصّر في حجّتك ، ولا مُكاتم لما أنت معتقده ، ولا فَرِق ولا وَجِل ، فليس عندي إلاّ الاستمتاع للحجّة منك ، والصّبر والإقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكر ، ولا جاحد ولا هائب ، حتّى تقيس ماتأتينا به وتتلوه علينا ، ونجمعه إلى ما في أيدينا ، ثمّ نخبرك بعد ذلك ، على أن تشرح لنا علّته ، وتدع الاعتلال علينا بقولك إن الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجّة ، واحتجت أن تقبض لسانك ، ولا تبسطه لنا ببيان الحجّة ، فقد أطلقناك وحجّتك ، لئلا تنسبنا إلى الكبرياء ، وتدّعي علينا الجور ، والحيف ، فإن ذلك غير شبيه بنا .

فاحتجّ عافاك الله بما شئت ، وتكلّم بما أحببت ، وانبسط في كلّ ما تظن أنّه يؤدّيك إلى من يوثق حجتك ، فإنكّ في أوسع الأمان ، ولنا عليك أصلحك الله ، إذ أطلقناك هذا الإطلاق ، وبسطنا لسانك هذا البسط ، أن تجعل بيننا وبينك حكماً عادلاً لا يجور ، ولا يحيف في حكمه وقضائه ، ولا يميل إلى غير الحقّ إذا ما تجنّب دولة الهوى ؛ وهو العقل الّذي يأخذ به الله عزّ جلّ ويعطي ، فإنّنا أنصفناك في القول وأوسعناك في الأمان ، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا إذ كان ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين ﴾ [البقرة : ٢٥٧/٢] ، وما دعوناك إلاّ طوعاً وترغيباً في ما عندنا ، وعرّفناك ما أنت عليه ، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته[2] » .

---

(١) خلل في النّصّ .

(٢) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ٤٧٠ .

ويعلّق السير توماس أرنولد على هذه الوثيقة قائلاً : « ويمكن أن يكون هنالك قليلٌ جداً من الشّك في أمر واحد فيا يتعلق بهذه الوثيقة ، وهو أنّها قد وصلت إلينا في حالة ناقصة ، وأنها لقيت على أيدي النُّسّاخ المسيحيّين تشويهاً وتحريفاً ، وإنّ ما نكاد نراه من عدم وجود ما يدحض تلك العقائد المسيحيّة الحاسمة دحضاً تاماً ، كعقيدة الثّالوث المقدّس ، وما نجده من الإشارات إلى أمثال تلك الهجات في ردّ الكندي على هذه الرّسالة ، ليدل بالتأكيد على إسقاط تلك العبارات الّتي قد تكون آلمت القرّاء المسيحيّين »[1] .

كما عقد في مدينة مرو مع مطلع القرن الثّالث الهجري الهجري (حوار أديان) ، من غير مجاملات أو مداهنات ، جمع هذا الحوار الجاثليق كبير النّصارى ، ورأس الجالوت زعيم اليهود ، والهربذ الأكبر ممثّل الزّرادشتيّة ، وعمران الصّابي قطب الصّابئة ، والفيلسوف قسطاس الرُّومي ، وجمع من المتكلّمين .

حاورهم علي بن موسى الرِّضا ، حواراً يعكس أجواء الحرِّيّة والتّسامح الّتي أمر بها الإسلام ، ويعلن المأمون افتتاح الحوار بقوله : ياجاثليق هذا ابن عمِّي علي بن موسى بن جعفر ، وهو من ولد فاطمة بنت نبيِّنا عليه السَّلام ، وابن علي بن أبي طالب ، فأُحبُّ أن تكلمه وتحاجه وتنصفه .

الجاثليق : ياأمير المؤمنين ، كيف أُحاج رجلاً يحتجُّ عليَّ بكتاب أنا أُنكره ، ونبيٌّ لاأُومن به ؟

فقال الرِّضا : يانصراني ، فإن احتججت عليك بإنجيلك ، أتقر به ؟

أجاب الجاثليق : وهل أقدر على دفع مانطق به الإنجيل ، نعم واللهِ أُقر به على الرَّغم من أنفي .

---

(١) الدّعوة إلى الإسلام ، ص : ٤٧٦ .

ودار الحوار شيّقاً ممتعاً ، وممّا قاله علي بن موسى الرِّضا للجاثليق : يا نصراني ، واللهِ إنّا لنؤمن بعيسى ، وما ننقم عليه شيئاً ، إلاّ ضعفه وقلّة صيامه وصلاته !

قال الجاثليق : أفسدتَ والله عملك ، وضعّفت أمرك ، وما كنت ظننت إلاّ أنّك أعلم أهل الإسلام .

الرِّضا : وكيف ذلك ؟

الجاثليق : من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصَّوم والصَّلاة ، وما أفطر عيسى يوماً ، وما نام بليل قط ، وما زال صائماً قائم اللَّيل .

الرِّضا : فلمن كان يصلّي ويصوم ؟

وانتبه الجاثليق إلى الاستدراج الَّذي وقع فيه ، والتَّناقض الَّذي حصل في كلامه ، فلم يحر جواباً ، ثمَّ استدل على ربوبيَّة عيسى بأنَّه أحيا الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فهو بذلك ربٌّ مستحق لأن يُعْبَد .

فأجابه الرِّضا : إنَّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى ، ومشى على الماء ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فلم تتّخذه أُمّة ربّاً ، ولم يعبده أحد من دون الله ، ولقد صنع حزقيل مثل ما صنع عيسى بن مريم ، فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل بعد موتهم .

ثمَّ دار حوار حول الإنجيل المُنْزَل ، إنجيل عيسى ، الإنجيل الواحد أين هو ؟

وسألَ الرِّضا رأسَ الجالوت : ما الحجَّة على أن موسى ثبتت نبوَّته ؟

رأس الجالوت : إنه جاء بما لم يجئ به أحد من الأنبياء قبله .

الرِّضا : مثل ماذا ؟

رأس الجالوت : مثل فلق البحر ، وقلبه العصا حيَّة تسعى ، وضربه الحجر فانفجر منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للنَّاظرين ، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها .

الرِّضا : صدقت في أنّها كانت حجّة على نبوّته ، وأنّه جاء بما لا يقدر الخلق على

مثلـه ، أفليس كلُّ مـا ادَّعى أنَّـه نبيٌّ وجـاء بمـا لا يقـدر الخَلْـق على مثلـه وجب عليكم تصديقه ؟

رأس الجـالوت : لا ، لأنَّ موسى لم يكن لـه نظير لمكانه من ربِّـه ، وقربـه منـه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوَّة من ادَّعاها ، حتَّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء .

الرِّضـا : فكيف أقررتم بـالأنبيـاء الَّـذين كانوا قبل مـوسى ولم يفلقـوا البحر ؟ ولم يفجرّوا من الحجر اثنتي عشرة عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ؟ ولم يقلبوا العصا حيَّة تسعى ؟

رأس الجالوت : قـد أخبرتـك أنَّـه متى جـاؤوا على نبوَّتهم من الآيـات بمـا لا يقـدر الخلق على مثله ، ولو جاؤوا بمثل مالم يجىء بـه موسى ، أو كانوا على مـا جـاء بـه موسى وجب تصديقهم .

الرِّضـا : يـا رأس الجـالوت ، فمـا يمنعـك من الإقرار بعيسى ابن مريم ، وكان يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمة والأبرص ، ويخلق من الطِّين كهيئـة الطَّير ، ثمَّ ينفخ فيـه فيكون طائراً بإذن الله ؟!

رأس الجالوت : إنَّه فعل ذلك ، ولم نشَهدْه .

الرِّضا : أرأيت ماجاء به موسى من الآيات أو شاهدته ؟ أليس إنَّما جاءت الأخبار عن ثِقَاتِ أصحاب موسى أنَّه فعل ذلك ؟

رأس الجالوت : بلى .

الرِّضـا : كـذلـك أيضاً أتتكم الأخبـار المتواترة بمـا فعـل عيسى ابن مريم ، فكيف صدَّقتم بموسى ، ولم تصدِّقوا بعيسى ، وكذلك أمر محمَّد وما جاء به ؟

وهكذا يستمر (الحوار) مع بقية زعماء الأديان والمعتقدات بكلِّ حرِّيَّة وموضوعيَّـة وانفتاح .

حِوَارٌ مَعَ مُسْتَشْرِقٍ

وليسَ كلُّ خلافٍ جاءَ معتبراً
إلاَّ خلافٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

أثناء العام الدّراسي الجامعي ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤ م ، زارني طالب من طلابي في السَّنة الثالثة (كلِّيَّة الشَّريعة ـ جامعة دمشق) ، وقال لي : يحضر في دروسك (التَّاريخ الإسلامي) عدد من المستشرقين الألمان ، ويسجِّلون محاضراتك ، واليوم حينما تكلمت عن (صلح الحديبية ، الفتح المبين) ، وعن حرص رسول الله ﷺ على وضع الحرب مع قريش ، ليتفرَّغ للدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، بعد أن جعل قريشاً على الحياد ، وألزمها ببنود صلح أملت نصَّها بعناد .

لقد وقف أحد هؤلاء المستشرقين الألمان ، وقال لي ولعدد من الطلاَّب بلغة عربيَّة فصيحة : ليس كل ما يقرِّره الدكتور شوقي في هذه القاعة صحيحاً سليماً ، فقلت للمستشرق مجيباً على الفور : لقد عوَّدنا الدكتور شوقي التَّوثيق ، وكلُّ معلوماته الَّتي يقدِّمها يذكر توثيقها دون طلب منا ، ومكتبه قريب جداً من هذه القاعة ، أفلا نذهب إليه نحاوره بما قال وقرَّر ، والحقيقة ، والتوثيق ، والعقل فيصل بيننا ؟

اعتذر المستشرق بلباقة ، وقال لي : سيكون ذلك ، ولكن بعد أسابيع ، بعد سماعي محاضرات أُخرى تشكِّل عندي فكرة أعمق وأشمل عن فكر الدكتور ومنهجه .

قلت لهذا الطَّالب : أحسنت ، فأنا مع الحقيقة ، والخبر الموثَّق ، نقف أمامه باحترام ، ملتزمين به دون هوى ، لا تقطع صلتك مع كلِّ المستشرقين بشكل عام ، ومع هذا المستشرق بشكل خاص ، وأُوصيك باللُّطف وسعة الصدر والاحترام .

وبعد أسابيع ، في شهر كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٩٣ م ، زارني هذا المستشرق في مكتبي ، وبدأ حوار بيننا كنت في بدايته عنيفاً عن قصد ، وبعد لأيٍ رحتُ أُلطف الجوّ شيئاً فشيئاً ، عندما لمست دماثة خلق هذا المستشرق ولطفه وتواضعه .

كنت عنيفاً عندما طلبت منه بعض التّصويبات ، فتردّد وراح يعلّل بعض مواقف الاستشراق من الإسلام والمسلمين .

قلت له : لقد وضع الاستشراق كلَّ بحوثه ودراساته في خدمة التّبشير ، ومن ثمَّ في خدمة الاستعمار ، وهذا لا يعني أنَّه ليس هناك عدد من المستشرقين المنصفين الإيجابيين ، ولكنني أسألك : ما نسبة الملتزمين بدينهم في بلدك أَلمانية بخاصّة وفي أُوربة بعامّة ؟

لم يتردّد المستشرق وقال : خمسة بالمئة فقط .

حينها قلت : بيوت إيمانكم خاوية ، وقلوبكم مبتعدة عن الإيمان ، وعوراتكم مكشوفة ، أليس من المفروض ، بدل إنفاق ملايين الدّولارات للتّبشير في العالم الإسلامي ، أن توجّهوا طاقاتكم لإعمار بيوتكم ، وستر عوراتكم بدل التّوجّه إلى العالم الإسلامي المؤمن بالله تعالى ؟

قال : صح ، ومعك حق .

وبعد هذا الاعتراف ، بدأت أُلطّف من لهجتي ، ثمَّ سألته من رسم لك صورة الإسلام في عقلك ؟ قال : الكنيسة ورجالها ، قلت : لماذا لا تتعرَّف على الإسلام من أهله ؟ قال : لا مانع أبداً ، ولكنني ملحد ، قلت له : أحترم رأيك إن كوّنته عن دراسة ، واستمرت لقاءات محدودة بيني وبين هذا المستشرق تركت أثراً طيِّباً في نفسه .

وفي الوقت ذاته ، اتّصل بي زميل لي ، وطلب موعداً في داري ، وقال : سيكون معي مستشرق أَلماني يعدُّ رسالته في دمشق ، وفي الموعد المحدّد ، زارني زميلي وبصحبته

عـدد من الزملاء والأصـدقـاء ومعهم المستشرق ، ومن توفيـق الله تعـالى ، أن اللقـاءات دامت وتكررت ، حتى صـارت لقـاءَيْن في كلّ أُسبـوع ، وسُجِّلت اللقـاءات كلُّهـا على أشرطة ، أحتفظ أنا بنسخة كاملة منها ، ويحتفظ المستشرق بنسخة كاملة أُخرى .

اللقاء الأوّل :

كان اللقــاء الأول يــوم الأربعــاء ١٩٩٤/١/١٢ م ، وبــدأت الجلســة بتقــديمي للمستشرق ، وتقديم المستشرق لي .

إسمه : روديغر براون ، يحضِّر رسالة بعنوان : (الحوار الإسلامي ـ المسيحي) ، بروتستنتي ، ملتزم بكنيسة (بورنكين) ، أي الولادة الجديدة .

قلت للسيـد روديغر : أولاً ، أرجو أن تمحو من فكرك كلّ مـا فيـه عن الإسـلام ، لتتعرف عليه من أهله كما يعتقدونه ، كما أرجو أن أسمع منكَ المسيحيَّة كما تعتقدها أنت .

ثانياً : نتعاهد أن نقـدّم الحقيقـة كما عرفنـاهـا من أهلهـا ، وخصوصـاً ونحن نسجِّل وسنسجِّل كلّ كلمة أقولها ، وكل كلمة تقولها أنت .

ثالثاً : لا حوار بيننـا وبينكم في رأيي ، لا حوار بين المسلمين والمسيحيين إلا بشروط ثلاثة :

١ ـ أن تعترفوا بنـا ، أن تعترفوا بـالإسلام دينـاً ، فـالمسلمون يعترفون بـالمسيحيين على أنَّهم من (أهل الكتاب) ، فلكي نجلس على مائدة حوار على قدم المسـاواة ، اعترفوا بنا كما نعترف بكم ، وهذه الخطوة بـدأهـا البـابـا بولس السَّـادس بعـد اطلاعـه على بعض مخطوطات البحر الميت ، المكتشفـة في مغـاور (قمران) شمالي البحر الميت ، ومن هـذه المخطوطات المكتشفة (سفر إشعيـا) الصَّحيح بكاملـه ، على حين أنَّ المنشور في التوراة هو جزء منه ، ولكنها خطوة واحدة ، كان يفترض أن تتبعها خطوات .

ففي سفر إشعيا المكتشف جاء حرفياً : « بعد المسيح يأتي نبيٌّ عربي من بلاد فاران - بلاد إسماعيل - [وفاران باللُّغة الآراميَّة هي بلاد الحجاز] ، وعلى اليهود أن يتَّبعوه ، وعلامته أنَّه إن نجا من القتل ، فإنَّه النَّبيُّ المنتظر ، لأنَّه يفلت من السَّيف المسلول على رقبته ، ويعود إليها بعد ذلك بعشرة آلاف قدِّيس » .

لقد أصدر البابا بولس السَّادس عام ١٩٦٥ م وثيقة هامة ، كانت بمثابة اعتراف رسمي مسيحي بالدِّين الإسلامي ، ولأوَّل مرَّة ، جاء فيها : « إنَّ كلَّ من آمن بعد اليوم بالله الخالق السَّموات والأرض ، وربِّ إبراهيم وموسى ، فهو ناج عند الله ، وداخل في سلامه ، وفي مقدِّمتهم : المسلمون » .

وبدعوة رسميَّة سافر وفد إسلامي إلى الفاتيكان ، واجتمع بالكاردينال (بيونوللي) وزير الدَّولة في حكومة الفاتيكان فيما يتعلَّق بالعلاقات ما بين الإسلام والمسيحيَّة ، وبدأ الحوار على الرغم من طلب السَّفير (الإسرائيلي) في روما وقف الحوار ، وبعد انتهاء اللِّقاءات المتعدِّدة بين عدد من العلماء المسلمين وكبار مسؤولي الفاتيكان ، وقف الكاردينال (بيونللي) مخاطباً العلماء : في هذا اليوم أُوقف التَّنصير الكاثوليكي في العالم الإسلامي ، ثم قرأ بشارة (سفر إشعيا) التي تنطبق تماماً على الواقع .

ولكن مع الأسف ، فإن هذا البابا لم يلبث أن توفي في ظروف لا ندريها ، كما توفي من بعده بقليل الكاردينال (بيونوللي) في ظروف غامضة ، وبوفاتها توقَّف الحوار بين الإسلام - والمسيحيَّة[1] .

---

(١) وقمت هنا وأحضرت له توثيق هذه المعلومات : الصفحة الخامسة من (العالم الإسلامي) ، العدد ١٢٢٩ ، الإثنين ١ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ م ، وعنوان الصفحة : (الدكتور محمد معروف الدواليبي - الذي كان عضواً في الحوار - يروي قصة الحوار بين الإسلام والمسيحيَّة ، كيف بدأ وعلاَمَ انتهى) ، فطلب السيد روديغر صورة عنها ، فقلت له : هي لك ، عندي منها صور عديدة .

فيا سيد روديغر ، لتعترف كنيستكم البروتستانتيّة بنا ، مع إحياء اعتراف الفاتيكان الّذي طوي بموت البابا بولس السّادس ، وبموت الكاردينال بيونولي ، حينئذ نجلس للحوار على قدم المساواة ، وحينذاك تظهر بوادر حسن النيّة ، وليوقف التّبشير أيضاً بالعالم الإسلامي كما أوقفه البابا بولس السّادس .

٢ ـ تحديد الهدف من الحوار ، لماذا الحوار ؟

٣ ـ وما المراجع الّتي نعتمدها لتكون الفيصل بيننا حين نختلف ؟

ثمّ قدّمت للسّيّد روديغر ذكريات الشّرق الإسلامي عن أفعال الأوربيين ـ باسم الكنيسة ومباركتها ـ في حروبهم الصّليبيّة ، وفي كشوفهم الجغرافية (الوحشيّة) ، وفي استعمارهم الذي خلف الفقر والجهل والمرض ، مع مقارنة بين آثار الفتح الإسلامي ونتائجه ، وبين آثار الكشوف الاستعماريّة ونتائجها .

ـ روديغر : على كلٍّ حال أنا موافق على كلامك مئة بالمئة ، أريد أن أشير فقط إلى نقطة هامّة حول الحوار ، يجب علينا أن نفصل في الحوار بين العالم الغربي ، والمجتمع الغربي ، وبين المسيحيّة بكتبها ومقدّساتها ، كثيراً ما نقع نحن في الغرب بخطأ ، عندما نأخذ الإسلام عن طريق عمل إرهابي ، أو أي ظاهرة سلبيّة تثير نفوسنا ، نأخذها من خلال (الصّورة المشوّهة) ، ولكن أنا معك مئة بالمئة ، لا بدّ أن نعالج هذه الظّاهرة سويّة بروح إنسانيّة ، وأعطيكَ مثلاً :

نحن نقول : الإسلام انتشر بالسّيف ، هذا بعيد عن الحقيقة ، وحينما نقارن بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحيّة ، نرى دماء غزيرة ، أكثر بكثير ، لا تقاس بانتشار الإسلام ، حقيقة ، فعلاً إن البلدان ، المجتمعات ، قَبلت الإسلام واعتنقته بلا إكراه . وأريد أن أشير إلى قضيّة هامّة ، لا يمكن مقارنة التّاريخ الإسلامي في فتوحاته في القرن السّابع الميلادي ، بالغزوات الّتي قام بها شارلمان ضد السكسون ، قتاله ، حربه ، فضائح سطرها بعد ثمان مئة سنة من بدء المسيحيّة .

إذا عالجنا المسيحيَّة لا يمكننا أن نخلط بين المجتمع المسيحي والمسيحيَّة ، الإسلام انطلاقاً من اجتماع الدَّولة والدِّين ، لا يفصل بينهما أبداً ، الإسلام ظاهرة شاملة لكلّ نواحي الحياة ، المسيحيَّة شيء آخر ، من يهتم بالمسيحيَّة ـ في الغرب ـ اليوم ؟ لا أحد ، الدِّين حسب سلَّم الأولويات في المرحلة السَّابعة أو الثَّامنة أو التَّاسعة .. فضائح .. كل دقيقة تغتصب فتاة في الغرب ، بل أكثر ، في كلّ دقيقة يغتصب عشر نساء ... لكن لا نستطيع القول إن هذه هي المسيحيَّة البحتة ، نزيل أوَّلاً هذه النَّواحي السَّيِّئة ، ثمَّ نتحدث عن الدِّين ، من خلال عدَّة قضايا : الثَّالوث الأقدس ، الصَّلب ، هل صُلِبَ السَّيِّد المسيح أم لا ؟

أنا أعرف كثيراً من الأصدقاء المسلمين المستعدِّين للحوار ، بعد أن نفصل بين الفضائح الَّتي ارتكبها المجتمع الغربي المسيحي ، وبين المسيحيَّة ، حوار على المستوى الدِّيني ، وكثيراً ما أشير إلى هذا ، مثلاً أحمد ديدات ، أشعر أنه يريد ويحب أن ينشر الإسلام ، إنَّه داعية قوي ، وهذا من حقِّه ، ولكن ، أظن ليس من حقِّه ، ولا يحق له أن يقول أشياء لا تتعلَّق بصميم المسيحيَّة ، هذه مشكلة ، والمشكلة الأكبر عندنا نحن حينما لا نعترف بحقيقة الإسلام ، ولا نصل إلى حقيقة الإسلام ، يجب أن نستدل بقول محمد [ﷺ] ، لا بقولٍ لأحد الحكام المتأخِّرين ، يجب علينا أن نقول وننطلق من الإسلام الأصيل ، من معينه ، وهكذا في الوقت ذاته في المسيحيَّة ننتقدها ، وأنا أفرح بمثل هذا الحوار وأُسَر .

قلت : لي تعليق ، إنَّكَ تقول : إذا أردنا أن نبدأ حواراً ، علينا أن نفصل بين اللاَّهوت وأعمال المسيحيين الأوربيِّين ، أي نحاور الكنيسة .

يا سيد روديغر ، الكنيسة في أوربة لا تريد الحوار ، ولا تؤمن به ، لأنَّ هذا الحوار ، إذا كان ميزانه العقل والعلم فلن يكون ـ بقناعتي ـ إلى جانبها ، أو لصالحها ، وأنت تعلم أن الكنيسة في أوربة تبيع الكثير من أماكن العبادة ، في الوقت الَّذي تنفق

فيه مليارات الدُّولارات لتنصير المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي ، وخصوصاً في إفريقية وجنوب شرقي آسية .

الدِّين في أُوربة اليوم في الدرجة التاسعة أو الثامنة ، ونسبة الَّذين يرتادون الكنيسة أيَّام الآحاد خمسة بالمئة فقط من الشَّعب كلِّه ، فإن كان هدف الكنيسة في تبشيرها إنقاذ الشُّعوب بتعريفها على الله ، فلتعرِّف شعبها الأُوربي أوَّلاً ، ولترمم بيتها الإيماني الخَرب وتستر عوراتها ثانياً .

وكما أنَّني لا أقبل أن يقال عن الإسلام ماليس فيه ، وماليس منه ، كذلك لا أقول عن تصرُّف فرنسة في الجزائر ، أو بريطانية في مصر والهند ، أو إسبانية والبرتغال في أمريكة الوسطى والجنوبيَّة ، إنَّه يأمر به يسوع ، ولكن أقول إنَّ الكنيسة الأُوربيَّة باركت ماجرى ، بل ارتكب باسمها ، والبابا له حقُّ التَّشريع والتَّغيير والتَّعديل .. وهذا غير موجود في الإسلام ، فلا يُقْبَل من مُفْتٍ فتواه إلا بدليل من الكتاب والسُّنَّة ، بينما البابا يشرِّع ويبرِّر لهؤلاء أعمالهم الوحشيَّة .

شيء آخر ، لو قرأتَ تاريخ أحمد ديدات لعذرته ، ولما لمته .

أحمد ديدات ، رجل هندي الأَصل ، يعيش في جنوبي إفريقية ، عَمل في الخياطة ، وليس في ذهنه ، ولا في حسابه الدَّعوة إلى الإسلام ، ولكن التَّبشير دقَّ بابه بإلحاح ، وطرح المبشِّرون عليه ـ على عادتهم ـ شبهات معروفة متكرِّرة عن الإسلام ، ونبيِّ الإسلام ، فراح ديدات يفتِّش عن إجابات عنها ، فوجد ضالته في كتاب (إظهار الحق) لرحمة[1] الله بن خليل الرحمن الكَيْرانوي العثماني الهندي ، ولتأليف هذا الكتاب قصة :

---

(١) غالباً ماتكتب : رحمت الله .

وُلِدَ رحمة الله في قرية كَيْرانة التَّابعة لمدينة دلهي في ٩ آذار (مارس) سنة ١٨١٨ م ، نشأ في كنف أُسرة واسعة الثراء والجاه ، وبدأ تعلمه في بلدته على يد والده وكبار أفراد أُسرته المشهورين بالعلم والفضل والدِّين ، وكان قد أتمَّ حِفْظ القرآن الكريم في الثَّانية عشرة من عمره ، وأتقن اللُّغات الثَّلاث (العربيَّة والفارسيَّة والأُرديَّة) ، ثمَّ ارتحل إلى دلهي لطلب التَّعليم العالي ، ثمَّ سافر إلى (لكناو) ودرس الطِّب والرِّياضيات والهندسة . ولما رجع إلى كَيْرانة تَصدَّر مجالس العلوم الشَّرعيَّة والإفتاء ، وأسَّس مدرسة شرعيَّة ، تخرَّج منها كبار المدرِّسين والمؤلِّفين ومؤسِّسي المدارس في أرجاء الهند .

تنبَّه الشيخ رحمة الله لأخطار التَّنصير المحدقة بمسلمي الهند ، ولضخامة الجهود الَّتي يبذلها المنصِّرون بمساعدة الاستعمار الإنكليزي ، ترك وظيفته في التَّدريس وتفرَّغ لمقارعة المنصِّرين والرَّدِّ عليهم بالقلم واللِّسان ، فدرس النَّصرانيَّة ، في مصادرها الأَصليَّة ، حتَّى فاق علماءَها المتخصِّصين فيها ، ثمَّ بدأ يؤلِّف كتبه للرَّدِّ على المنصِّرين ، ولذلك تركزَّت معظم مؤلَّفاته في هذا المجال ، ولما تمتاز به مؤلَّفاته من تحقيق علمي وتدقيق لم يُسبق إليه ، كان الشَّيخ رحمة الله في عصره أُستاذ الهند بلامنازع في علم مقارنة الأَديان والرَّدِّ على النَّصارى .

ومن مناظراته الكثيرة ، مناظرته في نيسان (إبريل) ١٨٥٤م مع القسِّيسَيْن فندر وفرنج في أكرا ، وكانت المناظرة في يومَيْن متتاليين في موضوعَيْ النَّسخ والتَّحريف ، ولقد اعترف فندر وفرنج بتحريف كتب أهل الكتاب في سبعة أو ثمانية مواضع أَصليَّة ، وبوجود ٤٠ ألف اختلاف عبارة .

واشترك الشيخ رحمة الله في الثَّورة على الاستعمار الإنكليزي في الهند سنة ١٨٥٧ م ، ولما فشلت الثَّورة ، وأخمدها الإنكليز بوحشيَّة بالغة نصبوا أعواد المشانق للعلماء ، وجعلوا مكافأة ألف روبيَّة لمن يدلهم على الشَّيخ رحمة الله ، وصادروا أملاكه وباعوها

بـ (١٤٢٠) روبيَّة ، وحظروا بيع كتبه أو طبعها ، فـاضطر للهجرة من الهنـد متخفِّيـاً حتّى وصل إلى مكَّة سنة ١٨٦٢ م .

وفي مكَّة المكَّرمة حصل على إجازة التّدريس في المسجد الحرام ، وسجِّل اسمه في السِّجل الرَّسمي لعلماء الحَرَم ، وأسَّس أوَّل مدرسة في مكة المكرَّمة والحجاز ، والَّتي سُمِّيت المدرسة الصولتيَّة ، نسبة إلى الإمرأة الهنديَّة المتبرِّعة ببنائها واسمها (صولت النِّسـاء) ، وبقي الشِّيخ مـديراً ومـدرِّسـاً فيهـا إلى وفـاتـه في ٢٢ رمضـان سنـة ١٣٠٨ هـ . الموافق ١٨٩١/٥/١ م .

بعـد هزيمـة فنـدر في المنـاظرة وتعريـة كتـابـاتـه ، واعترافـه العلني بوقوع النَّسخ والتَّحريف في كتب العهـدَيْن القـديم والجـديـد ، وهـذا يـوصـل إلى العجب أن يقـع التَّحريف في الكتاب ولا يقع نقص ما ، أغلق فندر بـاب المنـاظرة في مسـائل بـاقيـة ، فلامـه الإنكليز وعنَّفـوه ، ونظروا إليـه نظرتهم إلى مَنْ جَرَّ على الكنيسة خـزيـاً وعـاراً كبيراً ، فلم يستطـع البقـاء في الهنـد ، فسـافر إلى ألمـانيـة وسـويسرة وبريطـانيـة ، ثمَّ اختارته الإرسـاليَّـة الكنسيَّـة في لنـدن منصِّراً في مقرّ الخلافـة الإسلاميَّـة في إسطنبول ، فسافر إليها سنة ١٨٥٨ م .

واتّصل فندر بالسُّلطان عبد العزيز خان ، وزوّر أخبار المناظرة ، وزعم أنَّ الغلبة فيها كانت لـه ، ثمَّ دعـا مسلمي آسيـة الصُّغرى[1] إلى الاقتـداء بـإخوانهم مسلمي الهنـد ، حيث زعم أنَّهم تحوَّلوا إلى النَّصرانيَّة ، وأنَّ المساجد أصبحت كنـائس ، وأخـذ يتجوَّل في أرجاء آسية الصُّغرى يشيع أخبار هذه المنـاظرة بطريقتـه الخـاصَّـة معتمـداً على الكـذب وتزوير الحقائق ، لرفع مكانته وستر فضائحه .

ولكنَّ السُّلطان عبد العزيز خان أُصيب بغمٍّ شديد لسماعـه أخبـار فنـدر ، وخشي أن تؤثِّر هذه الإشاعات في أبناء المسلمين ، وقد علم من الحجَّـاج الأتراك أنَّ الشيخ رحمـة

(١) تركية حالياً .

الله موجود في مكّة المكّرمة ، فعجّل بالأمر إلى أمير مكّة الشّريف عبد الله بن عون إرسال الشّيخ رحمة الله إلى دار الخلافة ليناظر فندر في إسطنبول .

ولما حلّ الشّيخ ضيفاً رسميّاً في قصر الخلافة ، وسمع فندر بذلك ، فرّ هارباً من آسية الصّغرى ، ولم يتريّث لمقابلة الشّيخ رحمه الله ، وقد أوعز السّلطان العثماني بترحيل المنصّرين عن آسيّة الصّغرى ، وحظر نشاطهم ، ومصادرة كتبهم ومنع انتشارها .

وقد حاول القس بركة الله صاحب كتاب (لواء الصّليب) تزوير الحقائق ، فزعم أنّ السّلطان عبد العزيز خان طلب الشّيخ رحمة الله ليناظر فندر في إسطنبول ، لكن فندر توفي قبل وصول الشيخ إلى إسطنبول .

وردّ على هذا الزّعم إمداد صابري ، فبيّن أنّ وصول الشيخ رحمة الله إلى اسطنبول كان في أواخر كانون الأوّل لعام ١٨٦٣ م ، وأن فندر توفي في أوائل كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٦٥ م ، وهذا يدل على أنّه غادر إسطنبول حيّاً في كانون الثّاني (يناير) سنة ١٨٦٤ م بعد وصول الشّيخ إليها بقليل ، خوفاً من مقابلته وانكشاف كذبه وفضائحه ، وكانت وفاته بعد حوالي سنتين من فراره من إسطنبول .

وبعد وصول الشّيخ رحمة الله إلى إسطنبول استضافه السّلطان في القصر ، ودعا العلماء والوزراء وكبار رجال الدّولة ، وطلب من الشّيخ أن يقصّ خبر المناظرة ، فلما استبان للسّلطان طول باع الشّيخ في هذه الموضوعات وتمكنه منها ، طلب منه تأليف كتاب باللّغة العربيّة يضمّ مسائل المناظرة ، فعقد الشّيخ العزم على تأليف كتاب يكون سدّاً منيعاً في وجه المنصّرين وافتراءاتهم على الإسلام ورسوله ﷺ ، وليكون مرجعاً لطلاب العلم والباحثين عن الحقّ والمتخصّصين في هذا الفن .

بدأ الشّيخ وهو في إسطنبول تأليف هذا الكتاب (إظهار الحق) بتاريخ ١٦ رجب ١٢٨٠ هـ ، أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٣ م ، وانتهى منه أواخر ذي الحجة ١٢٨٠ هـ ، حزيران (يونيه) ١٨٦٤ م .

طبع إظهار الحق في عهد السُّلطان عبد العزيز خان في إسطنبول ، وذلك في أوائل المحرم سنة ١٢٨٤ هـ ، أيار (مايو) ١٨٦٧ م ، ثمَّ توالت الطَّبعات ، وأمر السُّلطان عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي ، وفعلاً تُرجم إلى تسع لغات أجنبيَّة ، منها : الألمانيَّة والفرنسيَّة والإنكليزيَّة ، وأصبحت لا تكاد تخلو مكتبة في الشَّرق والغرب من نسخة لهذا الكتاب .

ظهر كتاب (إظهار الحق) في وقت كانت الحاجة إليه ماسَّة ، حيث كان سلطان النَّصارى غالباً على معظم أنحاء العالم ، وكان المنصِّرون يؤلِّفون الكتب الَّتي يتهجَّمون فيها على الإسلام وكتابه ونبيِّه ﷺ ، ويشوِّهون جميع العقائد الإسلاميَّة والحقائق التاريخيَّة ، وكانت هذه الكتب تُطبع بجميع اللُّغات العالميَّة .

وكتاب (إظهار الحق) يُعَدُّ من خير ما أُلِّف للرَّدِّ على النَّصارى وكشف زيف مزاعم المنصِّرين ومطاعنهم ، مع خلوِّه من الشتائم واللَّغو ، وتقريره الحقائق الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة بأسهل الطرق وأقربها ، واعتماده في ذلك على ما في كتب العهدَيْن المسلَّمة عند فِرَق النَّصارى ، ولذلك لا عجب أن يُحدِث ظهور هذا الكتاب بعدَّة لغات أُوربيَّة صدى عجيباً في الأوساط النَّصرانيَّة والإسلاميَّة ، أمَّا النَّصارى فقد غاظهم صدور هذا الكتاب وترجمة الحكومة العثمانيَّة له ونشره ، فأخذوا يشترون هذا الكتاب من الأسواق بجميع ترجماته وطبعاته ، ويجمعونها ثمَّ يُتلفونها بالحرق قاصدين إعدام وجوده من الأسواق العالميَّة ، ومنع وصوله إلى أيدي القراء عامَّة والنَّصارى خاصَّة ، وقد علَّقت صحيفة التايمز اللندنيَّة على هذه العمليَّة الحاقدة بقولها : « لو دام النَّاس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدُّم المسيحيَّة في العالم » ، ولكن وقوف الحكومة العثمانيَّة آنذاك وراء ترجمة هذا الكتاب وطباعته ساعد على ظهوره وانتشاره على الرَّغم من الجهود المبذولة لطمسه .

وأمَّا في الأوساط الإسلاميَّة فقد أخذ الطُّلاب والعلماء الباحثون عن الحقِّ يتلقَّفون

طبعات هذا الكتاب للدراسة والاستفادة منه ، وأقبل النَّاس على شراء طبعاته وترجماته المختلفة إقبالاً منقطع النَّظير ، وقد أثنى عليه عدد كبير من العلماء ونقلوا منه ، وعدُّوه من المراجع الهامَّة في علم مقارنة الأديان ، وأوصوا باقتنائه وإعادة طباعته[1] .

روديغر : هذا الكتاب موجود ؟

ـ نعم وتطبعه عدد من دور النَّشر ، وأحمد ديدات هضم هذا الكتاب ، فأحياه من جديد حينما أعطاه شيئاً من روحه ، فكلُّ ماقدَّمه ديدات في مناظراته ومحاضراته مقتبس من (إظهار الحق) .

لقد دفع المبشِّرون ديدات إلى موقفه اليوم ، طرقوا عليه الباب بالأمس ، وهو يطرق عليهم الأبواب اليوم ، فلاتستغرب أن يقف هذا الموقف ، بعد أن تحدّوه في عقيدته بافتراءات وشبهات باطلة .

ـ روديغر : أعرف المناظرة بينه وبين سويغارت .

هذه المناظرة من عشرات المناظرات ، وسويغارت رجل غير أخلاقي ، فضائحه الجنسيَّة ، ملأت صحف أمريكة ، هنالك مناظرات أقوى وأجود ، سويغارت ممثِّل ، الوثائق الَّتي نُشِرَت عن فضائحه الجنسيَّة أبكته على شاشة التِّلفاز .

الحوار المحدَّد الأهداف ، مع آداب المناظرة ، ننطلق منها ضمن أُسس ، ومن قاعدة متينة سليمة ، ما المصدر الَّذي تقترحه للعودة إليه عند الاختلاف في مسألة ما ؟ ولتكن الحقيقة هي الهدف ، ونحن نلتزم بها .

ـ روديغر : ما رأيك بمؤلفات متداولة بين أيدي المسيحيين ، ككتب الأب حداد ؟

---

(١) رويت للسيد روديغر القصَّة السَّابقة بخطوطها الرَّئيسيَّة ، وهنا أُخذت للتوثيق من طبعة : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرِّياض= ١٤١٠ هـ/١٩٨٩ م ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي .

ـ كتب رخيصة سهل تقضها ، كتب الأب حداد ، وكتب سلسلة (الحقيقة الصَّعبة) التي كتب على غلافها تأليف أبو موسى الحريري ، والمؤلِّف الحقيقي هو الأب ج. قزّي ، نحن نعلم من أين يستقيها ، وكتابه (قس ونبي) أسألك سؤالاً واحداً فينهار مضمونه كلُّه ، القس هو ورقة بن نوفل ، وأين ورقة من الأحداث الَّتي تمَّت بعد الهجرة النَّبويَّة الشَّريفة ؟ كان ميتاً ، فأين هو من بدر وأُحد والخندق والحديبية وفتح مكَّة وتبوك ؟..

وهنا انتهت الجلسة الأُولى ، وختمها السيد روديغر بشكري على ماقدَّمت من معلومات ، وخصوصاً تصويب رأيه حول ديدات ، ثم سألني عشرة أسئلة هي :

١ ـ أرجو معرفة أسماء عدد من أعلام الحوار في الوقت الحاضر ، مسلمين ومسيحيين ؟

٢ ـ مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين ؟

٣ ـ إلى أيِّ حدٍّ تؤثِّر الحملات الصَّليبيَّة على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

٤ ـ أسماء بعض المستشرقين الَّذين قدَّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي ؟

٥ ـ ما الكتب الَّتي تخدم المسلمين في الاطِّلاع على المسيحيَّة ؟

٦ ـ الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيين ؟

٧ ـ ظاهرة التَّبشير المسيحي الغربي وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

٨ ـ نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي ـ المسيحي ؟

٩ ـ مستقبل المسيحيَّة في المنطقة ؟

١٠ ـ الهُويَّة الإسلاميَّة ضمن العروبة ؟

وسألتُ السيد روديغر ثمانية أسئلة هي :

١ ـ ماذا عن التَّثليث ؟ وكيف تفسّر وجوده في العقائد القديمة الوثنيَّة السَّابقة للمسيحيَّة ؟

٢ ـ وماذا عن الصَّلب ؟ وكيف تفسَّر وجود الصَّلب في العقائد الوثنيَّة السَّابقة للمسيحيَّة ؟

٣ ـ وماذا عن الفداء وغفران خطايا البشر ؟

٤ ـ موثوقيَّة الأَناجيل ، عددها ، متى كُتِبت ، التَّناقض والاختلافات بينها ؟

٥ ـ دور بولس (شاؤل) في العقيدة المسيحيَّة ؟

٦ ـ دور العقل ، ودور العلم والتَّسليم دون حوار في بعض أُسس العقيدة المسيحيَّة ؟

٧ ـ ما موقفك من المكتشفات الأخيرة : لفائف مغاور قمران عند البحر الميت ؟ وأَناجيل (قِنَا) في صعيد مصر ؟

٨ ـ دور الكنيسة في التبشير في العالم الإسلامي ، وترك أُوربة ملحدة في خواء روحي ؟

☆ ☆ ☆

اللِّقاء الثاني :

حضر هذا اللِّقاء عدد من الزُّملاء الجُدد ، تعرَّفوا على السيد روديغر براون لأَوَّل مرة ، فبدأت اللِّقاء بحديث عن لقائنا الأَول ، ومادار بيني وبينه من حديث هام في السَّيَّارة ، فقلت[١] :

زارني المستشرق روديغر براون ، وعلمت منه أَن رسالته[٢] الحوار بين المسلمين والمسيحيِّين ، وفهمت منه أَنَّه يبحث عن الحقيقة لتصويب المفاهيم الَّتي بثَّتها الكنيسة في أُوربة حول الإسلام ، وقلت له : يطرح الاستشراق على رأس كلِّ جيل ، من خلال وسائل إعلام واسعة الانتشار شبهاتٍ عن الإسلام ، وقلت له أَيضاً : ولم يأتِ الاستشراق بجديد منذ عشرات السِّنين ، إِنَّه يكرِّر ذاته .

(١) وهذا بداية شريط التَّسجيل الثَّاني .

(٢) كان السيد روديغر منشغلاً في إِعداد رسالة لنيل درجة علميَّة في جامعة أَلمانيَّة .

وأعجبني من السيد روديغر موقفه الإنساني والموضوعي بشأن البوسنة والهرسك ، وقال : موقف الغرب موقف ظالم لا إنسانيّة فيه ، وفي ألمانية توقّع العرائض من قِبَل كبار العلماء والأساتذة والوجهاء ، تطالب الحكومة الألمانيّة بالتّدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في البوسنة والهرسك .

وسرّتني صراحته ، عندما قال ، الدّين في أوربة في سُلّم الأولويّات في الدّرجة السّابعة أو الثّامنة... فقلت له : على الرّغم من ذلك ، ينفق الغرب مئات مئات الملايين للتّبشير في العالم الإسلامي ، مع أنّها تبيع عدداً من كنائسها لخوائها من المصلّين ، كما هي الحال في بريطانية ، وهنا تبسّم مسلم بريطاني اسمه مجتبى غياث ميرزا وأومأ برأسه مؤيّداً لي ، ثمّ تابعت قائلاً : فمن باب أوْلى أن تهتم الكنيسة بداخلها قبل الانطلاق للتّبشير في شعوب مؤمنة بالله خالقاً بارئاً رحيماً قيّوم السّموات والأرض .

إن الاستشراق والتّبشير والاستعمار حلقات في سلسلة واحدة ، وهذا الرّأي قابل للحوار ، ورأي الآخر إذا تشكّل عنده عن دراسة وقناعة وعِلْم ، وإن خالف رأينا نحترمه ، في الوقت الّذي لا نحترم فيه المقلّد ، حيث الضّحالة والجهل ، ولو كان على رأينا .

وسألني السيد روديغر عن رأيي في الحوار ، وأعلمته أن الحوار غير مُجْدٍ ، ولا يمكن أن يتم بشكل سليم ، إلاّ إذا انطلقنا من قاعدة سليمة ، حيث اعتراف الطّرف الآخر بنا ، فنحن نعترف عقيدة بالشّرائع الأُخرى ، بدليل بقائها في مجتمعاتنا الإسلاميّة ، وعلى الرّغم من الحرب الطّويلة بيننا وبين العدو الصّهيوني ، لم نهدم كنيساً ، ولم نمنع يهودياً من ممارسة شعائر دينه ، والمسيحي مكرّم منذ الفتح حتى يومنا هذا[1] ، ومازال حتى اليوم يصل إلى عمله الوظيفي السّاعة العاشرة يوم الأحد ، وفي الوقت نفسه

(١) للتوسع في هذا البحث ينظر أحكام أهل الذمة لابن القيم .

يستفيد من دوام شهر رمضان المبارك ، فيتأخر ساعة صباحاً ، فهو يكسب بتكريمه أيّام الآحاد طوال العام ، مع استفادته في رمضان المبارك .

الحوار المنتج ، كما بدأه البابا بولس السّادس ، بدأ بالاعتراف بالإسلام ، اعترف بالآخر ، حينها نجلس معاً للحوار ، أمّا إذا عددتني لا أملك ديناً سماوياً ، فأنا إن جلست معك ، لا أجلس بندّيّة ومساواة ، أنا أعترف بك ، فاعترف بي وأنتَ المنادي للحوار ، في عقيدتي أن كتابك حُرِّف وشُوِّه ، ولكن في عقيدتي أيضاً أن أعترف بك أنك من أهل الكتاب .

وأنا أقول : إنّ الحوار سيكون ضرورة في أواخر هذا القرن ، ومع مطلع القرن القادم ، لأنّ الحروب يجب أن تنتهي ، ويجب أن تصرف مئات المليارات من الدولارات على قوت الإنسان وصحّته ، بدل التّسليح الذي لم يجلب أمناً أو سعادة للبشريّة ، وأذكر هنا (صموئيل بيكت) ، صاحب مسرحيّة (في انتظار غودوت) ، الّتي نال عليها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٩ م ، قدّمها بعد انتهاء الحرب العالميّة الثّانية ١٩٤٥ م ، بعد أن عاش الدّمار ، وأشلاء ملايين القتلى ، مع ملايين الجرحى والمشوّهين ، وماذا يخبئ المستقبل ، وكانت مسرحيّة (في انتظار غودوت) حواراً بين اثنين يمثّلان التّشاؤم والقلق والضياع والخوف من المستقبل ، لقد فكّرا في الانتحار ، ولكنهما أقلعا عنه أملاً بمجيء (غودوت) ، المخلّص ، المنقذ ، إن قناعتي ـ ولا أُلزم الآخرين بها ـ أنه لا يمكن لأوربة الّتي تفتّش عن عقيدة فيها روح أن تجد عقيدة فيها هذه الرُّوح المتوازنة مع المادّة ، فضلاً عن التّسامح والإنسانيّة والأُخوّة والعقل ... هذه العقيدة الإنسانيّة المتوازنة لن يجدها الغرب إلاّ في الإسلام .

أنا قلت : هذه العقيدة الّتي تفتّش عنها أوربة ، إنسانيّة الأهداف والمرامي ، متوازنة ، لا تطغى فيها المادة على الرُّوح ، ولا تغفل الرُّوح المادّة .

هذه العقيدة تخاطب العقل ، وليس فيها رموزٌ أو أسرار ، وليس فيها أطِعْ وأنت

أعمى ، بل فيها الرِّضا كلَّ الرِّضا عن أُولي النُّهى ، وأُولي الألباب ، وأُولي العقول الَّذين يتدبَّرون ويتفكرون ، وأنا أعتقد أن أوربة لن تجد ضالتها إلاَّ في الإسلام .

وهناك بوادر :

رجا (روجيه) غارودي ، وكتابه : الإسلام دين المستقبل .
والدكتور مراد هوفمان سفير ألمانية في المغرب ، وكتابه : الإسلام كبديل .
والدكتور موريس بوكاي وكتابه : دراسات في الكتب المقدَّسة .
وجان دوانبورت وكتابه : اعتذار لمحمَّد والقرآن .
والكونت هنري دي كاستري وكتابه : الإسلام خواطر وسوانح ...

هذه الصيحات ، وهذه الدّراسات الجادَّة ليست عبثاً ، إنَّها من شريحة متعلِّمة (أكاديميَّة) ، لها باعها الطَّويل في علم الاجتماع ، وعلم النَّفْس ، وهذه العقول ليست عاديَّة ، مع احترامنا لكل النَّاس ، إنَّها تدل على منافذ الخلاص ، والإسلام السَّمح ، المُحاوِر ، الإنساني ، المعترف بالآخرين دون مصادرة لآرائهم .

قال السيد روديغر بالأمس : لقد أثار أحمد ديدات ردود فعل في أُوربة بما قدَّم من مناظرات ، فشرحت له موقف ديدات ، فكان من النِّقاط البارزة في حوارنا بالأمس ، أنَّه يعذر ديدات ، وذكر للحضور قناعته بأنَّ السَّيف لم يكن لفرض عقيدة ، وأن الدماء الَّتي سُفِكَت في أُوربة أغزر بكثير مما سُفِكَ في الفتح الإسلامي ، فقلت : السَّيف يعني الإكراه والدَّمار ، والفتح الإسلامي حضارة ، أينما وصل قُضِيَ على الجهل وانتشر العلم ، مع ﴿ لا إكراه في الدِّينِ ﴾ لم نكره أحداً على الإسلام كما أكرهت أُوربة شعوباً بأسرها ، والبديل عندنا الحوار ، فالمتمكن من عقيدته ، القانع بسلامتها ، لا يخاف الحوار حيث (المحك العلمي) ، فنحن ياسيد روديغر معك في بحثك ، ومع الحوار بشروطه ، والَّذي أُريد إضافته اليوم قبل الإجابة عن أسئلتك أقول لك ـ وهذا شيء

جديد بالنِّسبة لك ـ عندكم في البدء كانت الكلمة ، وعندنا في البدء كان الحوار ، قبل أن يخلق الله آدم ، كان الحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته .

ففي البدء كان الحوار ، وأُريد منك أن تأخذ الآيات الكثيرة الّتي فيها حوار مع أهل الكتاب ، حتّى مع الكافرين ، فالمسلم مأمور أن يحاور أخاه المسلم بطريقة حسنة ، ولكنه مأمور أن يجادل أهل الكتاب بالّتي هي أحسن ، لا بالحسن ، بل بالّتي هي أحسن .

وأنتَ وعدتني أن تكتب بموضوعيّة ، وتنشر هذه الحقائق ، بل انشر قناعاتك ، والشّعب الأُوربي كما نسمع يعشق الحقيقة ، وتقديم الحقيقة واجب إنساني علمي ، يُقَدَّم كما عرفته من أهله ، لا كما روَّجت له الكنيسة .

الحوار أوّلاً ودائماً ، وفي البدء كان الحوار ، واذكر حوارَ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السَّلام مع نفسه تعليماً لقومه ، ومع أبيه وأبناء قريته ، ومع سلطان البلد في عصره ، وحوار النَّبيِّ الكريم مع قومه ، دليل أن مرد القناعات للعقل ، والحجَّة هي الأساس ، ولا يمكن فرض العقيدة بالعنف .

وأُريد أن أسمع من السيد روديغر شيئاً عن آفاق الإسلام في أوربة ، وخصوصاً في بلده ألمانية ، بعد أن أثارت دار النشر (دير شبيكل) ضجّة حول كتاب (الإسلام كبديل) ، كما أُريد تعليقكَ على كلامي مصوَّباً ومصحَّحاً ، فأنا أقول : كلُّ ما يخالف الفطرة الإنسانيّة لابُدَّ أن ينهار ، وأقول : العقيدة التي لا تحتكم إلى العقل ، ولا تتشكَّل عن قناعة فكريَّة ستنهار مع مطلع القرن القادم ، والمعطيات حسب قناعتي بعضها ظاهر ، وبعضها لم يصلنا بعد ، فأُوربة إن رفضت الإسلام تعصُّباً وحقداً وصليبيَّة ، فإنها ستجد نفسها في أحضانه ضرورة وحاجة مُلِحَّة مع مطلع القرن القادم ، فالسُّويد عام ١٩٨٥ م جعل رئيس وزرائها (أولفا بالما) هذا العام للتّعريف بالإسلام عقيدةً

وحضارةً وإنسـانيَّـةً ، لقـد كانت السُّويـد تفتِّش في الإسلام عن الجـانب الرُّوحي ، عن الطمأنينة ، عن سلامة المجتمع بسلامة اللَّبنة الأُولى (الأُسرة) .

أُريد أن أسمع منك ...

روديغر : أوَّلاً تعليقاً على كلامك : أنا معجب جـدّاً ، بمنهجـك العظيم ، وأتمنى أن يكون كل المشتركين في الحوار بين الأديان وبين المجتمعات ينطلقون من القناعة نفسها ، ومن منطلق الدكتور شوقي أبو خليل نفسه ، وأنا ليس عنـدي أي نـقـد ، أو أي شيء ، أنا مئة بالمئة موافق على كلامك ومنهجك .

أمَّا بـالنِّسبـة لمستقبل الإسلام في أُوربـة ، فـأنـا أظنُّ حينـما ننظر إلى قضيَّـة مراد هوفمان نجد اتِّجاهين ، الأوَّل : متكوِّن بغير معرفـة ، يهـاجم الكُتُب الَّتي أُلِّفت من قبل مراد هوفمان ، والثَّاني : اتِّجاه يريد الحوار على الأُسس الَّتي ذكرتها الآن .

وعلى الصَّعيد العقلي ، أنا أظنُّ فيما يتعلَّق بمستقبل الإسلام ، أنَّه سيواجـه مع مرور الأيَّام أبواباً مفتوحة أكثر ، وهذا رأيي ، وكلَّما تقدَّمنا تاريخيَّاً تقدَّمنـا إلى التَّسـامح ، إلى الانفتـاح ، ولا أرى مستقبـلاً مشرقـاً لـلإسـلام ، ولكن الـدَّافـع إلى هـذا الاتجـاه ـ على ما أظنُّ ـ هو فتح أبواب للحوار .

المشكلة هي أنَّ المجتمع الغربي ليس لديـه القنـاعـة الثَّـابتـة المتينة مثل مـا نجـد في الإسـلام ، لهـذا السَّبب ، الشَّخصُ الَّـذي يـواجـه شيئـاً قـويّـاً بغير القـوَّة ، يبحث عن افتراءات ، ومزاعم باطلة ، ويريـد أن يبطل الشَّيء الآخر بكلِّ طـاقـاتـه ، يبحث عن طرقٍ ما ، حتَّى ولو كانت غير إنسانيَّة أبداً ، هذه الظاهرة الَّتي نجدها الآن في أُوربـة ، في ألمانية وإنكلترة ... الإسلام القـديم الَّـذي فُهِمَ من وجهـة نظر صليبيَّـة ، دون معرفـة عميقة عن الإسلام ، أو صحيحة ، وأنا أُضيف يجب علينا ، على المجتمع الغربي أن يتعرَّف على الإسلام كما هو ، وكما يفهمه أهلـه ، ولهـذا السَّبب أقول : طـالمـا يـدرس الإسلام من قِبَلِ المـدرِّسين الأسـاتـذة المسيحيِّين ، لا نستطيع أن نعرف الإسلام كما هو ، بل إسـلامـاً

مشوَّهاً ، وهذا لا يفيدنا ، ولا يفيد الشَّعب المسيحي ، الشَّعب الغربي ، كيف نبني الحوار على الأُسس الإنسانيَّة ؟ عندما نكافح عدوّاً لا وجود له في الواقع .

نحن نحارب الإسلام ، وهذا ربَّما يسبب الخجل ، لا بدَّ أن نواجه الإسلام كما هو ، لا بدَّ من مواجهة الحقيقة ، إذا كنَّا نودُّ حواراً صادقاً ، ولهذا السَّبب أظنُّ على الاستشراق في ألمانية عندما يدرس الإسلام - وهذا رأيي - توجد اتِّجاهات تدفع الاستشراق في ألمانية إلى هذه القضيَّة ، أي أن الإسلام يُدَرَّس من قبل المسلمين .

المشكلة الَّتي أراها ، مَنْ يدرِّس الإسلام ، السُّنَّة أم الشِّيعة ؟ وهذه قضيَّة ليست كبيرة جداً ، أنا أستطيع أن أتجاوز هذه الفروقات ، هذه الاختلافات دون مشكلة ، المهم أن نتَّفق على منهج قويٍّ وسليم .

هذه إحدى النِّقاط المهمة ، أن الإسلام لا يُدَرَّس من قِبَل المسيحيِّين ، مثلاً أنا عندما أُدرِّس الإسلام في ألمانية ، المهم أنَّني حينما أجلس لأُدرِّس الإسلام ، هل أعرف عن محمد رسول الله ، عن القرآن الكريم .. لا بُدَّ أن أضع أصدقائي المسلمين ، وأقول من فضلك أنقذني ، وصوِّب لي ، لأنَّه ما الفائدة من كلِّ هذه الخطبة الَّتي أُلقيها تجاه الآخرين السَّائلين ، وحينما أُقدِّم الصُّورة الَّتي لا توجد في الحقيقة ، أقول الإسلام باختصار من زاوية سلبيَّة ، وهذا هو الإسلام كما هو ، إنَّنا نحتاج إلى معرفة عميقة ، وأن نكون مستعدِّين لمواجهة الحقيقة ، لمواجهة الإسلام كما هو ، لا بُدَّ أن أقول حينما أؤمن بالله ، أقوم بهذه الخطوة وأُسلم ، ولا أُريد أن أقول شيئاً من تلقاء نفسي ، ولا أبحث عن وسائل لمهاجمة هذا العدو ، ولكن أنا أظن أن البذور موجودة ، والخلايا جيِّدة ، وموجودة للقيام بالحوار .

إذا كنَّا ننطلق من نقاط الانطلاق الَّتي ذكرها الدكتور شوقي أبو خليل ، وأظنُّ هذا رأيي ، أوَّلاً : يجب أن يعرف بعضنا بعضاً كما نحن فعلاً ، لا كما نريد أن نرى الآخر ، نريد أن نرى الآخر لا يعرف شيئاً ، بعض الأشخاص يظنُّون أنَّ العربيَّ يركب

الجَمَال ، كيف نبني حواراً عالميّاً حينما نتوهَّم توهمات باطلة ، إنَّ الخبرات الَّتي أخذتها من هنا في سوريَّة ، نتيجتها أنَّ المسلم أكثر استعداداً للحوار من المسيحي نوعاً ما ، ولهذا السَّبب على الكنيسة والمسيحيَّة في الغرب أن تراجع نفسها ، وتعيد حساباتها ، وتختار الطَّريق السَّليم ، كلُّ هذه الفضائح الَّتي ارتكبتها ، إذا راجعت هذه الفضائح ، وهذه الخطايا ، تقول : آن الأوان ، وقبل كلّ شيء تتوب ، وتقول : نحن نرمِّم بيتنا أوَّلاً ، ولا نفرض نفسنا على الآخرين ، عندها سنواجه إنسانية مقبولة .

وبعد أن انتهى السيد روديغر مما سبق ، قلت معلِّقاً :

المستشرقة التي قدَّمت لكتاب (الإسلام كبديل) ، وهي الأُستاذة الدكتورة أنَّا ماري شِمل ـ وهي على رأي الدكتور مراد هوفمان ـ ترى أن الإسلام الموجود في رؤوس الأُوربيِّين هو الإسلام الَّذي رسمته الكنيسة في عقولهم ، وليس الإسلام الصَّحيح ، وليس الإسلام كما هو ، الإسلام شيء ، وما وضعته الكنيسة الأُوربيَّة في عقول الغربيِّين شيء آخر ، وأنا أرى أن هذا خطوة جيِّدة ، لقد وضعنا أيدينا على الخطأ ، لننطلق إلى التَّصويب ، إنَّ هذا شيء رائع .

☆ ☆ ☆

اللِّقاءُ الثَّالِثُ :

بدأ اللِّقاء الثَّالث بإجابة السيد روديغر براون عن سؤال الثَّالوث الأَقدس ، فقال : الثَّالوث الأَقدس يقول : المسيح وُجِدَ في ناسوته .

فقلت : هل وُجِدَ السَّيِّد المسيح منذ الأَزل مع الله ؟

روديغر : المسَيح وُجِدَ مع الأَزل .

ـ المسيح المصلوب متَى وُجِد ؟ هل المسيح المولود من مريم أزلي ؟

روديغر : منذ ١٩٩٤ سنة ، كلمة ، كان فيه كلمة .

ـ الكلمة كُن فيكون ، أي بإرادة الله ، المسيح المصلوب عمره ١٩٩٤ سنة ، فكيف صار واحداً من ثلاثة ؟

روديغر : الله كان الكلمة ، كان دائماً ناطقاً ، الله كان أزليّاً ولكن في ذاته ، ثلاث ذاتيّات منذ الأزل ، أنا لا أتكلّم عن مادّيّات ، الجوهر كان دائماً واحداً ، لا نتحدَّث عن الجواهر المخلوقة ، الجوهر يعني غير قابل للعرض ، أراد اللهُ أن يُعْرَفَ[1] ، فأرسل شخصاً اسمه المسيح ، جعله المثال النّاطق ، الّذي يتكلّم ليس المذياع ، المتكلّم هو المسيح ، المسيح يسأل والمجيب هو الله .

ـ في الأناجيل الأربعة لا نجد فيها موطناً واحداً يقول فيه السّيّد المسيح : أنا الله .

روديغر : صحيح ، تلامذته قالوا .

ـ بل (شاؤل) هو الّذي غيّر وبدّل ، لقد بقي التّوحيد حتّى مجمع (نيقيّة) سنة ٣٢٥م ، في اللّاهوت المسيحي بحوث وافية كافية ، فيها آراء النّسطوريّة ، والأبنيونيّة ، والأريوسيّة .. هل كانت الأريوسيّة موحّدة ؟

روديغر : نعم موحّدة .

ـ مادام الأساس هو التّوحيد ، لماذا قضي عليه ، ووضعنا فلسفة خاصّة يصعب الاقتناع بها ؟ لماذا كلُّ هذه الشّروحات ، عُدْ إلى (قصة الحضارة) لول ديورانت مثلاً ، أو إلى نيتشه .. نيتشه غير ملحد ، إنّه ملحد بإله الكنيسة البشري فقط .

روديغر : كان مجنوناً .

ـ نيتشه مؤمن بالله ، وكافر بالمسيحيّة ، يقول نيتشه : « الله كما خلقه بولس ، هو إنكار لله ، وديانة كالمسيحيّة لا تمس الواقع في أيّة نقطة ، وتتفتّت حالما يدخل الواقع

(١) ويتساءل المرء هنا : هل كان الله غير معروفٍ منذ آدم وحتى سنة ٣٠م ؟ حيث تعميد السيد المسيح .

فيها من أيّ نقطة .. » ، ويستغرب ويسخر من القول : « الله على الصّليب !؟ » ، ويقول أيضاً : « حارب الصّليبيُّون شيئاً كان الأجدر بهم أن ينبطحوا بذلٍّ أمامه ، حضارة يمكن لقرننا التّاسع عشر أن يعتقد أنّه فقير جدّاً ، ومتأخّر جدّاً بالمقارنة معها »[1] .

روديغر : صحيح .

ـ أريد أن أغرس في ذهنك : لماذا بعد سنة ٣٢٥م تغيّرت المسيحيّة ؟ .

روديغر : هذا غير صحيح تماماً .

ـ لماذا عُقِدَت المجامع إذن ؟

روديغر : المجامع صحيحة .

ـ إنّها خالفت العقيدة في جوهرها ، في صلبها .

روديغر : بعد ثلاثة قرون بدأت هذه الهرطقة ، فكان لابُدَّ أن تقول الكنيسة كلمتها ، وأنا أسألك : ماذا كان يجري في القرون الأُولى في المسيحيّة ؟

ـ الجواب الفيصل عندي : كانت الوثنيّة تقحم بالمسيحيّة على يد (شاؤل) ، وإذا كان صدرك رحباً ، أُوضّح لك ذلك بالتّفصيل ، وهذا الموضوع أشرحه لكَ دون الرُّجوع إلى كتاب لمؤلّف عربي أو مسلم ، بل أشرحه لك من مصادر غربيّة ، ومع ذلك أُقدّم لك كتابيْن لن أعتمدهما في إجابتي عن سؤالك : (ينابيع المسيحيّة) لخوجة كمال الدين ، و (العقائد الوثنيّة في الديانة النّصرانيّة) لمحمد طاهر التّنير ، شريطة أن تقرأ باستيعاب ، وتناقش المضمون .

روديغر : أنا أتعلّم .

---

(١) أقوال نيتشه في كتابه (عدو المسيح) على التّوالي الفقرات : ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٠ .

ـ هذه اللِّقاءات في اعتقادي مفيدة لنا جميعاً ، من منطلق أن نتعرَّف على العقيدة من أَصحابها ، من الأَتباع أنفسهم ، ونحن من الَّذين يحاورون بهدوء ، لا لجعلك مسلماً ، فالمسلمون اليوم مليار وأكثر ، فأنا من أصحاب نظريَّة تقول : آن لنا أن نزن العقول ، ولا نَعُد الرُّؤوس ، لا يهمني العدد ، بل يهمني العقول الرَّاجحة ، الفاهمة ، الواقعيَّة ، يهمني النَّوعيَّة .

روديغر : إنَّ محمَّداً عَدَّ النَّصارى مؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَالَّذينَ هَادُوا وَالنَّصارى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً ..﴾ [البقرة : ٦٢/٢] .

ـ ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، أي من آمن من هذه الطَّوائف إيماناً صادقاً ، فصدَّق بالله ، لا بأُلوهيَّة عيسى عليه السلام .

روديغر : القرآن لم يحارب مرَّة واحدة في آياته الثَّالوث الأَقدس ، حارب التثليثات الخاطئة .

ـ بل حارب التثليث وعدَّه كفراً ، وهل تعلم أن التَّثليث موجود في العقائد الوثنية القديمة التي سبقت المسيحيَّة ؟

روديغر : طبعاً أعرف .

ـ والمسيحيَّة الَّتي نزلت على عيسى عليه السَّلام لا تثليث فيها ، والتَّثليث في المسيحيَّة مقتبس دخيل من العقائد الوثنيَّة القديمة .

روديغر : أنا أظنُّ ، أنَّنا نتسَّرع حينما نقول : إنَّ النَّبيَّ كان يحارب المسيحيَّة الَّتي نحن عليها .

ـ النَّبيُّ ﷺ لم يحارب المسيحيَّة ، بدليل وجود المسيحيِّين بيننا ، المسلمون لا يحاربون أحداً لفرض عقيدتهم عليه .

روديغر : الزَّواج مثلاً ، لماذا لا يمنع القرآن زواج المسلم من مسيحيَّة ؟ إنَّه يسمح بذلك .

ـ هذا له جواب .

روديغر : لأنَّها ليست مشركة .

ـ لا ، لأنَّها من أهل الكتاب .

روديغر : حاشا للنَّبيِّ أن يسمح للمؤمنين المسلمين الزَّواج بمشركة .

ـ لأنَّ عندها رادعاً مهما كانت عقيدتها مشوَّهة ، يبقى عندها رادع في نفسها ، فلا مانع من أن تكون زوجة ولو شابَ إيمانَها ماشابه .

يا سيِّد روديغر ، لقد كان من المفروض على الكنيسة ، بدل الافتراءات والشُّبهات ، أن تطبع القرآن الكريم مع الإنجيل ، طبعوا التَّوراة ولم تذكر السَّيِّد المسيح وأُمَّه الطَّاهرة البتول ولو مرَّة واحدة ، وأمَّا القرآن الكريم ففيه السُّور الطِّوال عن المسيح وأُمِّه .

قال رجا غارودي : « لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة ، حتَّى في الجامعات الغربيَّة ، وربَّما كان هذا مقصوداً مع الأسف » .

مع أن التَّسامح الدِّيني كان مطلقاً في دور ازدهار الحضارة الإسلاميَّة : ﴿ لآ إكراهَ في الدِّين قد تَبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغيِّ فمن يكْفُرْ بالطَّاغوتِ وَيؤمنْ باللهِ فَقَدِ استمسَكَ بالعروةِ الوُثقى لا انفِصامَ لَهَا وَاللهُ سَميعٌ عليمٌ ﴾ [البقرة : ٢/٢٥٦] .

وعلى الرَّغم من ذلك كلِّه ، تذكر إذاعة لندن صباح يَوم الأَربعاء ١٩٩٤/١/١٩م ، السَّاعة ٧,٤٠ بتوقيت دمشق ، كلاماً عن الدكتور كيلي ، يتحدَّث فيه عن حقوق الإنسان والتَّسامح بشأن السُّودان ، وكذلك يذيع تصريحاً للبارونة شوكر ، وذلك ضمن مناقشة الشُّؤون السُّودانيَّة في مجلس العموم البريطاني ، مع أنَّ البابا عندما زار الخرطوم في الشَّهر الأوَّل من العام الماضي (١٩٩٣م) لم يتحدَّث كلمة واحدة عن حقوق

الإنسان ، ولا عن التسامح ، لأنَّ حقوق الإنسان مصونة ، والتَّسامح متوافر في أبعد مدىً ، والمسيحيُّون لا يشكِّلون سوى ٧٪ في الجنوب ، ويريدون التَّحكُّم بسياسة الدَّولة ، وبمصير الأكثريَّة المسلمة ، أين الدِّيمقراطيَّة ؟ إذا عمَّنا أن كلَّ أقليَّة لم يعجبها أمر تطالب بالانفصال أو تنقاد الأكثريَّة لرأيهم ، شيء مخجل حقّاً .

أمَّا التَّسامح ، فعيب على أوربة أن تتحدَّث عنه ، لأنها لم تعرفه على مرِّ تاريخها في وقت من الأوقات .



اللِّقاء الرَّابع :

كان اللِّقاء الرَّابع يوم الأربعاء ١٩٩٤/١/٢٦م ، ولقد صادف هذا التاريخ ١٤ شعبان ١٤١٤هـ ، ليلة النِّصف من شهر شعبان ، فبدأتُ الجلسة بدعاء النِّصف من شعبان ثم قلت :

وعدت السَّيِّد روديغر في لقاء الأسبوع الماضي أن أعالج موضوعاً واحداً فقط : كيف طرأت الوثنيَّة على الديانة المسيحيَّة الموحِّدة ؟ وقلت في حينه : إنَّني لن أعود إلى مصدر إسلامي ، أو مرجع لمؤلِّف مسلم ، كي لا يُقال في مثل هذا الموقف المثل المعروف : كلُّ فتاة بأبيها معجبة ، فاجتناباً لأيِّ تحامل أو زيادة أو نقصان في مثل هذا الموضوع ، عدت إلى قصة الحضارة لول ديورانت ، الجزء الحادي عشر ، الصَّفحة ٢٠٢ ومابعدها ، الباب السَّادس والعشرين ، وعنوانه : عيسى أو يسوع [٤ ق.م - ٣٠م] ، أنا لم آتِ بشيء من عندي ، وإذا أردتُ شرحاً لَمَّحتُ ، وإذا أردتُ تعليقاً سأقول ، سأذكر ذلك للأمانة العلميَّة ، وللتَّوثيق .

يبدأ الفصل الأوَّل من الباب السَّادس والعشرين بالسُّؤال التَّالي : هل وُجد المسيح حقّاً ؟ أو أن قصَّة حياة مؤسِّس المسيحيَّة وثمرة أحزان البشريَّة ، وخيالها ، وآمالها أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا ، وأوزريس ، وأدونيس ، ومثراس ..؟

لقد كان (بولنجبرك) والملتفّون حوله ، وهم جماعة ارتاع لأفكارها (ڤلتير) نفسه ، يقولون في مجالسهم الخاصّة : إنّ المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق ، وجهر (ڤلني Volney) بهذا الشّك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطوريّة الّذي نشره في عام ١٧٩١م ، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨م (بڤيلاند Wieland) العالم الألماني ، لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السّياسة أو الحرب ، بل سأله هل يؤمن بتاريخيّة المسيح ؟

ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثراً ميدان النّقد الأعلى للكتاب المقدّس ، التّهجّم الشّديد على صحّته وصدق روايته ، تقابله جهود قويّة لإثبات صحة الأسس التّاريخيّة للدّين المسيحي .

(هرمان ريمارس) أُستاذ اللّغات الشّرقيّة في جامعة (همبرغ) ، ترك بعد وفاته عام ١٧٦٨م مخطوطاً عن حياة المسيح يشتمل على ١٤٠٠ صفحة ، نُشرَت فصول منه ، يقول : إنّ يسوع لا يمكن أن يُعَدَّ مؤسّس المسيحيّة .. كان يفكّر في تهيئة النّاس لاستقبال دمار العالم .

وفي عام ١٨٩٦م أشار (هردر) إلى ما بين مسيح متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التّوفيق بينها .

ثمّ جاء (داڤيد استروس) عام ١٨٣٦م ، وقدّم كتابه عن حياة المسيح ، وهو كتاب عظيم الأثر في التّاريخ ، فرفض التّوفيق بين المعجزات والعلل الطّبيعيّة ، وقال : إنّ ما في الأناجيل من خوارق الطّبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافيّة ، وإن حياة المسيح الحقيقيّة يجب أن تعاد كتابتها بعد أن تُحْذَف منها هذه العناصر أيّاً كانت صورها .

وفي عام ١٨٣٦م أيضاً هاجم (فردناند كرستيان بور) رسائل بولس ، وقال : إنها كلّها مدسوسة عليه ، عدا رسائله إلى أهل غلاطية ، وكورنثوس ، وروما .

وفي عام ١٨٤٠م بدأ (برونو بور) سلسلة من الكتب الجدليَّة الحماسيَّة يبغي بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أُسطورة من الأساطير .

وفي عام ١٨٦٣م أخرج (إيرنست رينان) كتاباً اسمه (حياة يسوع) ، جمع فيه نتائج النَّقد الألماني ، وعرض مشكلة الأناجيل على العالم المثقَّف كلِّه .

وبلغت المدرسة الفلسفيَّة صاحبة البحوث الدِّينيَّة ذروتها في أواخر القرن التَّاسع عشر على يد الأب (لوازي Loisy) الَّذي حلَّل نصوص العهد الجديد تحليلاً بلغ من الصَّرامة حدّاً اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكيَّة إلى إصدار قرار بحرمانه ، هو وغيره من (المحدثين) .

وفي المدرسة الهولنديَّة ، مدرسة (بيرسن) و (نابر) و (متثاس) ، وبعد بحوث مضنية ، أنكرت حقيقة المسيح التَّاريخيَّة ، وفي ألمانية عرض (آرثر دروز) هذه النتيجة السَّالبة عرضاً واضحاً محدَّداً عام ١٩٠٦م .

وفي إنكلترة أدلى (سمث) و (ربرتسن) بحجج من هذا النَّوع ، أنكر فيها وجود المسيح .

إنَّ أقدم إشارة غير مسيحيَّة إلى وجود المسيح هي الَّتي وردت في كتاب قدَّمه اليهود ليوسفوس عام ٩٣م ، والمسيحيُّون يشككون في هذا الكتاب - أو هذه الرسالة - لوجود ثناء عظيم على المسيح ، واليهود يناصبون المسيحيَّة العداء ، ممَّا بعث الرِّيبة بهذه الرِّسالة ، ولذلك يرفضها علماء المسيحيَّة .

وأقدم إشارات إلى المسيح في أدب الوثنيِّين ما ورد في خطاب كتبه (بلني الأصغر) حوالي عام ١١٠م ، يستشير فيه (تراجان) عمَّا يعامل به المسيحيِّين ، وبعد خمس سنين من ذلك الوقت وصف (ناستس) اضطهاد (نيرون) للمسيحيِّين في رومة .

هذا ما كان من أمر المسيح نفسه ، أمَّا الأناجيل فليس أمرها بهذه السُّهولة ، ذلك

أن أربعة الأناجيل الّتي وصلت إلينا ، هي البقيّة الباقية من عدد أكبر منها كثيراً ، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيّين في القرنَيْن الأول والثّاني ، واللّفظ الدّال على الإنجيل Godspel ، أي أخبار طيِّبة ، ترجمة للّفظ اليوناني Euangelion ، الّذي يبدأ به إنجيل مرقس ومعناه (أخبار سارّة) ، هي أن المسيح قد جاء ، وأن ملكوت الله قريب المنال ، وأناجيل متّى ومرقس ولوقا كتبت باللّغة اليونانيّة الدّارجة ، أكسبها حتّى في صورتها الأصليّة الفجّة جمالاً فذّاً ، زاده قوّة في العالم الإنكليزي التّرجمةُ العظيمة البعيدة كل البعد عن الدّقة ، والّتي وُضعَت للملك جيمس .

وترجع أقدم النُّسخ الّتي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث ، أمّا النُّسخ الأصليّة فيبدو أنّها كُتِبَت بين عامي ٦٠ و ١٢٠م ، ولعلها تعرَّضت بعد كتابتها على مدى قرنَيْن من الزّمان لأخطاء في النّقل ، ولعلها تعرَّضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التّوفيق بينها وبين الطّائفة الّتي ينتمي إليها النّاسخ أو أغراضها .

ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م إلاّ في كتابات (بيبياس Papias) الّذي كتب في عام ١٣٥م يقول : إنّ يوحنا الأكبر - وهو شخصيّة لم يستطع الاستدلال على صاحبها - قال : إنّ مرقس ألّفَ إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس .

والإنجيل حسب نص القديس لوقا ، وهو النّص الّذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأوّل ، يعلن أنّه يرغب في تنسيق الرّوايات السّابقة عن المسيح ، والتّوفيق بينها ، فهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس كما يقتبس من متّى .

ولا يدّعي الإنجيل الرّابع أنّه ترجمة ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النّظر اللّاهوتيّة بوصفه كلمة الله ، وخالق العالم ، ومنقذ البشريّة ، وهو يناقض الأناجيل الأُخرى في كثير من التّفاصيل ، وفي الصّورة العامّة الّتي يرسمها للمسيح ، وتنزع الدّراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الإنجيل الرّابع (يوحنا) بأواخر القرن الأوّل .

وملاك القول أنّ ثمّة تناقضاً كثيراً بين الأناجيل بعضها من بعض ، وأن فيها إشارات تاريخيّة مشكوكاً في صحّتها ، وكثيراً من القصص الباعثة على الرّيبة والشّبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيّين ، ويبدو أن ماتنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرّضت لما تتعرّض له ذاكرة الأمّيّين من ضعف وعيوب ، ولما يرتكبه النُّساخ من أخطاء ، أو (تصحيح) .

ويعمد المخترعون الملفّقون إلى إخفاء كثير من الحادثات :
كتنافس الرُّسل على المنازل العليا في ملكوت الله .
وفرارهم بعد القبض على يسوع .
وإنكار بطرس .
وعجز المسيح عن إتيان المعجزات في الجليل .
واعترافه بأنّه يجهل أمر المستقبل .
وما كان يمرّ به من لحظات يمتلئ قلبه فيها حقداً على أعدائه .
وصيحة اليأس التي رفع بها عقيرته وهو على الصّليب .

ويختتم وُل ديورانت هذا الفصل بقوله : « إنّ الخطوط الرّئيسيّة في سيرة المسيح ، وأخلاقه ، وتعاليمه ، لتبقى بعد قرنين من النّقد الشّديد واضحة معقولة ، لتكون أروع ظاهرة في تاريخ الغربيّين وأعظمها فتنة للألباب » ، [قصة الحضارة ٢١١/١١] .

نشأة عيسى : يحدد متّى ولوقا ميلاد المسيح في الأيّام الّتي كان فيها (هيرودس) ملكاً على فلسطين ، ولوقا يقول عن يسوع إنّه كان حوالي الثلاثين من عمره حين عمّده يوحنا في السّنة الخامسة عشرة من حكم (تيبيريوس) ، أي في عام ٢٨ ـ ٢٩م ، وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢ ـ ١ق.م .

واختُلف في تاريخ ولادته : ١٧ نيسان (إبريل) ، أم ١٠ أيار (مايو) ؟ أم ١٧ تشرين الثّاني (نوفمبر) ؟ أم ٦ كانون الثاني (يناير) ؟ وفي عام ٣٥٤م احتفلت

الكنائس الغربيَّة بمولده في ٢٥ تشرين الثَّاني (نوفمبر) ، ظنّاً منها أنَّه يوم الانقلاب الشَّتوي الّذي تبدأ الأيَّام بعده تطول - وهو عيد مثراس - أي مولد الشَّمس الّتي لا تقهر ، واستمسكت الكنائس الشَّرقيَّة بتاريخ ٦ كانون الثاني (يناير) ، واتَّهمت أخواتها الغربيَّة بالوثنيَّة ، وبعبادة الشَّمس ، وما اختُتِمَ القرن الرَّابع حتَّى اتُّخذ ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) عيداً للميلاد .

وَلِدَ المسيح - كما في متَّى ولوقا - في بيت لحم ، ثمَّ انتقلت أُسرته إلى النَّاصرة ، ولم يذكر لماذا هذا الانتقال .

وفي مرقس لا ذكر لبيت لحم ، ولا ذكر للمسيح إلاَّ باسم (يسوع النَّاصري) ، ويقول النَّاقدون إنَّ متَّى ولوقا قد اختارا بيت لحم ليقوّيا بذلك الادّعاء بأن يسوع هو المسيح ، وأنَّه من نسل داود كما تتطلَّب تلك النُّبوءة اليهوديَّة ، وذلك لأنَّ أُسرة داود كانت تقيم في بيت لحم ، ولكننا لا نجد ما يؤيِّد هذا الظَّن .

ولا يذكر بولس ويوحنا شيئاً عن مولده من عذراء ، وأمَّا متَّى ولوقا اللَّذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف ، بسلاسل أنساب متعارضة ، ويلوح أن الاعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخّر عن الاعتقاد بأنَّه من نسل داود .

ولا يذكر أصحاب الأناجيل شيئاً - إلا القليل خطأ - عن شباب المسيح .

[وتوضيحاً أقول هنا : بل لا نعرف شيئاً عن حياة المسيح وعمره ما بين ١٢ سنة إلى ٣٠ سنة ، فترة مجهولة تماماً ، لذلك يتكلَّم المفكرون في الغرب عن السِّنين الضَّائعة من حياة المسيح !؟!] .

عمَّد يوحنا المعمدان المسيح في نهر الأردن وعمره ٣٠ سنة ، ويروي مرقس ومتَّى بعدها قصة سالوم ابنة هورديا س الّتي فتنت هيرودس برقصها أمامه حتَّى عرض عليها

أن يقدّم لها أيَّة مكافأة تطلبها ، فطلبت رأس يوحنـا بتحريض من أُمِّهـا ، وإن الحـاكم أجابها لطلبها ، وليس في الأناجيل شيء عن حبٍّ سالوم ليوحنا .

الرِّسالة : ولما سُجِنَ يوحنا أخـذ عيسى يقوم بعمل المعمـدان ، ويخطب في النّـاس مبشِّراً بملكوت الله ، ولما عَرَفَ أنَّ يوحنا قـد قُتِل ، وأن أتبـاعـه كانوا يبحثون عن زعيم جديد ، تحمَّل يسوع العبء ، وما يستتبعه من خطر .

المعجزات : عزاها المسيح نفسه إلى (إيمان) من يشفيهم .

وابنة (بايروس) قال عنها المسيح بصراحة : إنَّ البنت لم تمت ، بل كانت نائمة .

وظلَّ المسيح زمنـاً طويلاً لا يرى في نفسـه إلاَّ أنّـه أحـد اليهـود ، ويـؤمن بـأفكار الأنبياء ، يرسل رسله إلى المدن اليهوديَّة فقط : « إلى طريق أُمم لا تمضوا ، وإلى مدينة السّـامرِّيين لا تـدخلـوا » ، « لم أُرسـل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيـل الضّـالـة » ، وقـال للأبرص الّذي شفاه من علّته : « اذهب وأرِ نفسـك للكاهن ، وقـدّم القربـان الّـذي أمر بـه موسى » ، « لا تظنوا أني جئت لأنقض النّـاموس أو الأنبيـاء ، مـا جئت لأنقض بل لأُكّمل » .

ثمَّ قبض (بيلاطس) على المسيح ، وبعـد الصّلب ـ كما يعتقـد المسيحيّون ـ : « أنَّ المسيـح ظهر في ذلـك اليـوم نفسـه إلى تلميـذَيْن من تـلاميـذه في الطَّريـق المـوصـل إلى عمواس ، وتحدث إليهم ، وأكل معهم ... وعرفاه ، ثمَّ اختفى عنهما .

[لـذلـك في الأنـاجيل المكتشفـة في قنـا (في صعيـد مصر) : كان شخص آخر هو الّذي شرب المرارة والخل ، لم أكن أنـا كان آخر ، (سيمون) هو الّـذي حمل الصّليب على كتفه ، كان آخر هو الّذي وضعوا تاج الشّوك على رأسه ، وكنت أنا في العلاء ، أضحـك لجهلهم .

إنَّ الّذي رأيته سعيداً يضحـك ، هو يسوع الحيُّ ، لكن من يُـدْخِلُون المسـامير في

يديه وقدميه .. فهو البديل ، فقد وضعوا العار على الشَّبيه ، انظر إليه وانظر إليَّ .
(مجلة المجلة العدد ٧١٢ ، تاريخ ١٩٩٣/١٠/٣) ، وقدَّمتْ صورةً عن التَّحقيق الَّذي تناول الأناجيل المكتشفة في قنا للسَّيد روديغر ، وفيه النَّصَّان السَّابقان .

الرُّسُل : [٣٠ ـ ٩٥م] :

بطرس : نشأت المسيحيَّة من الإيحاء الغامض العجيب بحلول الملكوت ، واستمدت دوافعها من شخصيَّة المسيح نفسه وتخيلاته ، كما استمدت قوَّتها من عقيدة البعث والحساب ، والوعد بحياة الخلود ، واتَّخذت صورة العقائد الثَّابتة في لاهوت بولس ، ثم نمت باستيعابها العقائد والطُّقوس الوثنيَّة

ولما كَثُر عدد المهتدين ، وكَثُر ما تحت أيدي الرُّسل من الأموال ، عيَّنوا سبعة من شمامسة الكنيسة للإشراف على شؤون هذه الجماعة ، وظلَّ رؤساء اليهود فترة من الزَّمن لا يعارضون قيام هذه الفئة لصغرها ، وانتفاء الأذى من وجودها ، فلما تضاعف عدد النَّصارى ، استولى الرُّعب على قلب الكهنة ، فقبض على بطرس وغيره للمحاكمة ، وكان شاؤل يساعد في الهجوم ، وانتقل من بيت إلى بيت في أورشليم ، يقبض على أتباع الكنيسة ، ويزجهم في السِّجن .

ورحَّب المسيحيُّون بتدمير الهيكل على يد (تيطس) ، واتَّقدت نار الحقد في قلوب أتباع كلا الدِّينَيْن ، وأخذتِ المسيحيَّة اليهوديَّة من ذلك الوقت يقل عدد أتباعها وتضعف قوتها ، وتترك الدِّين الجديد للعقليَّة اليونانيَّة تشكِّله وتصبغه بصبغتها .

وكانت المسيحيَّة حسب تعاليم المسيح وبطرس يهوديَّة ، ثمَّ أصبحت في تعاليم بولس نصف يونانيَّة ، وأصبحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانيَّة ، ثمَّ عاد إليها العنصر اليهودي والقوَّة اليهوديَّة حين دخلها المذهب البروتستنتي .

بولس : وُلِدَ واضع اللَّاهوت المسيحي في طَرَسُوس من أعمال كيليكيا ، حوالي السَّنة العاشرة من التَّاريخ الميلادي ، ومن حقِّنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدِّينيَّة

والأخلاقيَّة الرِّواقيَّة انتقلت من البيئة المدرسيَّـة في طَرَسُوس إلى مسيحيَّـة بولس ، وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانيَّة أتباع لعقائد كثيرة منها الخفي ، يعتقـدون أنَّ الله الَّذي يعبدونه قد مـات من أجلهم ، ثمَّ قـام من قبره ، هـذه العقـائـد الغـامضـة الخفيَّة هي الَّتي أعدَّت اليونان لاستقبال بولس ، وأعـدَّت بولس لـدعوة اليونـان ، بعـد أن اعتقد أنَّه ملهم يوحى إليه أنه قادر على فعل المعجزات ، وبدأ بمهاجمة المسيحيَّة دفاعاً عن اليهوديَّة ، وانتهى بنبـذ اليهوديَّـة دفـاعـاً عن المسيح ، لقـد تزعَّم الاضطهـاد الأَوَّل للمسيحيِّين في أُورشليم ، ولما سمع أَنَّ الدِّين الجديد أَصبح لـه في دمشق أَتبـاع كثيرون ، سار إليها ، فبغتةً أبرق حولـه نور من السَّماء ، فسقـط على الأَرض ، وسمع صوتـاً قـائلاً له : شاؤل ، شاؤل ، لماذا تضطهـدني ؟ فقـال : من أنت يـا سيِّـد ؟ فقـال الرَّبُّ (وفي الأَصل الإنكليزي : فقال الصَّوت) : أنا يسوع الَّـذي أَنت تضطهـده ، انقلاب مفـاجئ أساسي في طبيعة الرَّجل ، وسقطت قشور عن عينيه ، فـأَبصر وتنـاول الطَّعـام ، وبعـد بضعة أيَّام من ذلـك الوقت ، دخل مجـامع دمشق وقـال للمجتمعين فيهـا : إن عيسى ابن الله .

ولـما عـاد إلى أُورشليم عفـا عنـه بطرس ، ولكن كان معظم الرُّسل يرتـابون فيـه ، فأُرسل إلى طرسوس ، وظلَّ في مسقط رأسه ثماني سنين لا يعرف عنه التَّاريخ شيئاً .

والرَّاجـح أنَّ بـولس قـام برحلتـه التَّبشيريَّـة الثَّـانيـة في عـام ٥٠م ، وسـار إلى مقدونية . وسالونيك ، ثمَّ إلى أثينا ، ثمَّ إلى كورنثـه ، ثمَّ إلى أُورشليم عـام ٥٣م . ثمَّ بـدأ رحلته الثَّالثة إلى أنطاكية وآسية الصُّغرى ، ثمَّ إلى اليونان ، ومن هنـا كتب رسـالـة إلى أهل غلاطية ، وأَعلن فيها أنَّ النَّاس لا ينجون لاستمساكهم بشريعة موسى ، بل بإيمـانهم القوي بالمسيح المنقـذ ابن الله ، ثمَّ سـافر إلى أُورشليم عـام ٥٧م ، ثمَّ أُرسل إلى إيطـاليـة ليحاكَم أمام القيصر (نيرون) ، وسمح له نيرون بإقامة جبريَّة ، وسمح لمن شاء زيارته ، وكان المسيحيُّون في رومـة يفضِّلـون المسيحيَّـة التي جـاءت إليهم من أُورشليم ، فقـابلـوا بولس بفتور ، فكتب من رومـة رسـائـل طـويلـة إلى أتبـاعـه البعيـدين ، لم تلبث أن

دخلت في أخصّ خصائص اللاّهوت المسيحي ، ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح ، أهمها : إن كلّ ابن أُنثى يرث خطيئة آدم ، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلاّ موت ابن الله ليكفّر بموته عن خطيئته ، وهذه عادة يهوديّة كنعانيّة بابليّة وثنيّة ، أي التّضحيّة بطفل محبوب لاسترضاء السّماء الغضبي ، إنّها فكرة وثنيّة معروفة في مصر وآسية الصُّغرى وبلاد اليونان (أُوزريس ، وأتيس ، وديونيشس) ماتوا ليفتدوا بموتهم بني الإنسان ، ولقب (سوتر) بالمنقذ والمنجّي (اليوثريوس) تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ (كريوس Kyrios) أي (الرّب) الّذي سَمّى به بولس المسيح ، هو اللّفظ الّذي تطلقه الطّقوس اليونانيّة ـ السّوريّة على (ديونيشس) الميت المفتدي .

وأضاف بولس إلى هذا اللاّهوت أن المسيح هو (حكمة الله) ، و (ابن الله الأوّل) ، بِكْرُ كلّ خليقة ، هو (الكلمة) الّذي سينجي النّاس كلّهم بموته ، وكتب إلى أهل (فلبي) : « ننتظر مخلّصاً هو الرّب يسوع المسيح .. الرّب القريب » .

وقتل بطرس في رومة سنة ٦٧م .

ويتابع ديورانت قائلاً : إنّ المسيحيّة لم تقض على الوثنيّة ، ذلك أنّ العقل اليوناني المتنصّر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللّغة اليونانيّة الّتي ظلّت قروناً عدة صاحبة السّلطان على السّياسة أداة الآداب ، والطّقوس المسيحيّة ، وانتقلت الطّقوس اليونانيّة الخفيّة إلى طقوس القدّاس الخفيّة الرّهيبة ، وساعدت عدّة مظاهر أُخرى من الثّقافة اليونانيّة على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجاءت من مصر بآراء الثّالوث المقدّس ، ويوم الحساب ، وأبديّة الثّواب والعقاب ، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك ، ومنها جاءت عبادة أم الطّفل ، والاتّصال الصّوفي بالله ، ذلك الاتّصال الّذي أوجد الأفلاطونيّة الحديثة واللاّأدريّة ، وطمس معالم العقيدة المسيحيّة .

ومن فريجيا جاءت عبادة الأُم العظمى .

ومن سوريّة أُخذت تمثيليّة بعث أُوتيس .

وربما كانت تراقيا هي الّتي بعثت للمسيحيّة بطقوس (ديونيشس) ، وموت الإله ونجاته .

ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام ، وعصور الأرض واللّهيب الأخير الّذي سيحرقها ، وثنائيّة الشّيطان والله والظّلمة والنّور ، فمن عهد الإنجيل الرّابع يصبح المسيح نوراً « يضيء في الظّلمة والظّلمة لم تدركه » ، ولقد بلغ التّشابه بين الطّقوس (المثراسية) والقربان المقدّس في القدّاس حدّاً جعل الآباء المسيحيّين يتّهمون إبليس بأنّه هو الّذي ابتدعه ليضل به ضعاف العقول .

وقصارى القول إنّ المسيحيّة كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم .

قسطنطين والمسيحيّة : ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحيّة مخلصاً في عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينيّة ، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السّياسيّة ؟ أكبر الظّن أنّ الرّأي الأخير هو الصّواب .

احتال واستخدم مشاعر الإنسانيّة الدّينيّة لنيل أغراضه الدّنيويّة .

لقد كانت المسيحيّة عنده وسيلة لا غاية ، لذلك ظلّ يستخدم ألفاظاً توحيديّة يستطيع أن يقبلها كلّ وثني ، وقام في خلال السّنين الأولى من سلطانه المفرد في صبر وأناة بجميع المراسيم الّتي يتطلبها منه منصب الكاهن الأكبر ، والّتي تحتمها عليه الطّقوس التّقليديّة ، وحدّد بناء الهياكل الوثنيّة ، وأمر بممارسة أساليب العرافة ، واستخدم في تدشين القسطنطينيّة شعائر وثنيّة ومسيحيّة معاً ، واستعمل رُقى سحريّة وثنيّة لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض .

غير أن سحباً كـدَّرت صفو ذلـك اليوم الَّـذي لا سحـاب فيـه ، تلـك هي انشقـاق الأديرة :

ـ أتباع (دوناتس) الَّذين عارضوا أيَّ نقص في احترام الشُّهداء ، وتطالب بإعـادة تعميد من ينضمون إليها من أتباع الكنيسة الكاثوليكيَّة .

ـ وآريوس الإسكندري الَّذي أنكر ألوهيَّة المسيح ، « المسيح والأب ليسا من مـادة واحدة » ، ولا يمكن للابن أن يكون متَّفقاً مع وجود الأب في الزَّمن .

ونتيجـة هـذه المشكلات أضحى الـدِّين المسيحي مـوضـوع السُّخريـة الـدَّنسـة من الوثنيِّين .

ورأت الكنيسة أنَّه إذا لم يكن المسيح إلهاً ، فإنَّ كيان العقيدة المسيحيَّة كلِّها يبـدأ في التَّصدُّع ، وإذا ما سمحت باختلاف الرَّأي في هذا الموضوع ، فإنَّ فوضى العقـائـد قـد تقضي على وحدة الكنيسة وسلطانها ، ومن ثمَّ على مالها من قيمة بوصفها عوناً للـدَّولـة ، ولمـا انتشر الجـدل في هـذه المسـألـة ، واشتعلت نيران الخلاف في بلاد الشَّرق اليـونـاني ، اعتزم قسطنطين أن يقضي عليه بدعوة أوَّل مجلس عام للكنيسة ، ولهذا عقـد مجلسـاً من الأساقفة عام ٣٢٥م في نيقيـة ، حضره ٣١٨ يصحبهم رجـال دين دونهم درجـة ، وأرسل البابا سلفستر الأوَّل بعض القساوسة لأن المرض حال بينه وبين حضور الاجتماع بنفسه .

واجتمع المجلس في بهو أحد القصور الإمبراطوريَّة تحت رياسـة قسطنطين ، وافتتح هو المناقشات بـدعوة الأسـاقفـة جميعـاً أن يعيـدوا إلى الكنيسـة وحـدتهـا ، وشـارك في المنافسات ، وأكَّد (آريوس) من جديـد رأيـه القـائل بـأن المسيح مخلوق ، لا يرقى إلى منزلة الأب .

وأوضح (أثناسيوس) رئيس الشَّمامسة البليغ : إذا لم يكن المسيح والرُّوح القـدس كلاهما من مادَّة الأب ، فإنَّ الشِّرك لابُدَّ أن ينتصر ، وقـد سلَّم بمـا في تصوير أشخـاص

ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة ، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما فيه الثَّالوث من خفاء وغموض .

قرار المجمع : « نحن نؤمن بإله واحد ، وهو الأب القادر على كلِّ شيء ، خالق الأشياء كلّها ما ظهر منها وما بطن ، وبسيد واحد هو المسيح ابن الله ، المولود .. غير المخلوق من جوهر الأب نفسه ، وبأنَّه من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل نجاتنا نزل وتجسَّد وصار إنساناً ، وتعذَّب ، وقام مرَّة ثانية في اليوم الثالث ، وصعد إلى السَّماء ، وسيعود ليحاسب الأحياء والأموات » ، وحُكِمَ على من عارض وهم سبعة عشر أُسقفاً ، ثمَّ نزل الرَّقم إلى خمسة ، ثمَّ إلى اثنين مع آريوس باللَّعنة والحرمان ، ونفاهم الإمبراطور من البلاد ، وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بإحراق كتب آريوس جميعها ، ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام .

وبذلك استبدل قسطنطين المسيحيّة بالوثنيَّة ، وجعلها المظهر الدِّيني ، والعضد القوي للإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة ، وفي عام ٣٣٧م اشتد المرض على قسطنطين ، فاستدعى قسّاً ليجري له مراسم التَّعميد المقدَّس .

والمسيحيَّة هي الَّتي أدَّت إلى سقوط الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة « الحضارة العظيمة لا يُقضى عليها من الخارج إلاَّ بعد أن تقضي هي على نفسها من الدَّاخل ، وشاهد ذلك أنَّا نجد الأسباب الجوهريَّة لسقوط رومة في شعب رومة نفسه ..» ، [قصة الحضارة ١١/٤٠٤] .

المسيحيَّة قضت على رومة عام ٤٧٦م عندما ناصبت الثَّقافة القديمة العداء ، فحاربت العلم والفلسفة ، والأدب ، والفن ، وحوَّلت أفكار النَّاس عن واجبات هذا العالم ووجهتهم إلى الاستعداد لاستقبال كارثة عالميَّة ، وهو استعداد مضعف للعزيمة ، وأغرتهم بالجري وراء النَّجاة الفرديَّة عن طريق الزُّهد والصَّلاة ، بدل السَّعي للنَّجاة الجماعيَّة بالإخلاص للدَّولة والتَّفاني في الدِّفاع .

ولم يضع مجمع نيقية ٣٢٥م حدّاً للنّقاش الحادّ الّذي احتدم أواره بين أثناسيوس وآريوس ، بل ظلّ كثير من الأساقفة - كانوا هم الكثرة الغالبة في الشّرق - يناصرون آريوس سرّاً وجهراً ، ولم يستنكف قسطنطين نفسه ، بعد أن قبل قرار المجمع وطرد آريوس من البلاد ، أن يدعوه إلى اجتماع شخصي معه ٣٣١م ، وأوصى بأن تُرَدَّ إلى آريوس وأتباعه كنائسهم ، واحتج أثناسيوس على ذلك ، فاجتمع في (صور) مجلس من أساقفة الشّرق ، وقرّر خلعه من كرسي الإسكندريّة عام ٣٣٥م ، وظلّ عامَيْن طريداً في (غاله = فرنسة) ، أمّا آريوس فقد زار قسطنطين مرّة أخرى ، وأعلن قبوله للعقيدة الّتي قرّرها مجمع نيقية ، بعد أن أضاف إليها تحفُّظات دقيقة لا ينتظر من الإمبراطور أن يفهمها ، وآمن قسطنطين بأقواله ، وأمر الإسكندر بَطْرَق القسطنطينيّة أن يقبله في العشاء الرّبّاني .

وعني قنسطنطيوس بن قسطنطين بشؤون الدّين ، واعتنق مذهب آريوس ، وطرد أثناسيوس من كرسي الإسكندرية مرّة ثانية عام ٣٣٩م ، وكان قد عاد إليه بعد موت قسطنطين ، وأخرج الكهنة الّذين استمسكوا بعقائد مجمع نيقيةّ من كنائسهم ، وأتى على المسيحيّة نصف قرن من الزّمان لاح فيه أنّها ستؤمن بالتّوحيد وتتخلّى عن عقيدة ألوهيّة المسيح ، وظلّ أثناسيوس الّذي فرّ من كرسيه يهيم على وجهه في البلاد الأجنبية حتّى عام ٣٧٣م ، لم تلن له قناة بعد أن ضعف البابا (ليبريوس) واستسلم ، وإليه يرجع معظم الفضل في استمساك الكنيسة بعقيدة التّثليث ، وقامت فتنة في القسطنطينيّة ، سببها قنسطنطيوس حينما أمر أن يستبدل ببولس مقدونيوس الآريوسي ، فهب جماعة من مؤيدي بولس يقاومون جند الإمبراطور ، وقتل في الاضطرابات الّتي أعقبت هذه المقاومة ثلاثة آلاف شخص ، وأكبر الظّن أنّ الّذين قُتِلُوا من المسيحيّين بأيدي المسيحيّين في هذين العامَيْن (٣٤٢ و ٣٤٣م) ، يزيد عددهم على مَنْ قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيّين للمسيحيّين في تاريخ رومة كلّه .

وقنسطنطيوس هو الَّذي أمر بإغلاق جميع الهياكل الوثنيَّة في الدَّولة ، ومنع جميع الطُّقوس الوثنيَّة ، وأنذر من يعصي أمره بقتله ، ومصادرة أملاكه .

ولكن يوليان عام ٣٦١م أعلن إلى العالم اعتناقه للوثنيَّة ، وبعد موته - وهو في الثَّانية والثَّلاثين من عمرة - حوَّل خلفه جوفيان تأييده من الهياكل الوثنيَّة إلى الكنيسة المسيحيَّة .

ثمَّ مرَّت الكنيسة بفترة اضطراب ، عقائد وعقائد : اليونوميُّون ، الأنوميُّون ، الأبليناريُّون ، السبليُّون ، المساليُّون ، النوفاتيُّون ، البرسليانيُّون .. وفي شمالي إفريقية أنكر (دوناتوس) - أسقف قرطاجة - ما للعشاء الرَّبَّاني الَّذي يقدِّمه القساوسة من أثر في الخطيئة ، وانتشرت هذه العقيدة انتشاراً سريعاً في شمالي إفريقية ، فرافقها ثورة اجتماعيَّة ، وسرعان ما تألَّفت عصابات (مسيحيَّة - شيوعيَّة) في آن واحد ، وسُمِّيت باسم (الجوَّابين) ، وأخذت تندِّد بالفقر والاسترقاق .

وكان (بلاجيوس) في هذه الأثناء يثير قارات ثلاثاً بهجومه على عقيدة الخطيئة الأولى .

كما كان نسطوريوس يطلب الاستشهاد بما يجهر به من شكوك في أُمِّ المسيح ، وهو تلميذ (يثودور المبوستياني) الَّذي ابتدع النَّقد الأعلى للكتاب المقدَّس ، وقال : سفر أيُّوب إن هو إلاَّ قصيدة مأخوذة بتعديل من مصادر وثنيَّة ، وإنَّ نشيد الإنشاد إن هو إلاَّ إحدى أغاني الفُرْس ذات معنى شهواني صريح .. ووصل نسطوريوس إلى كرسي الأسقفيَّة في القسطنطينية .

وألقى (سيريل) كبير أساقفة الإسكندريَّة عام ٤٢٩م كلمة أعلن فيها أن مريم ليست أُم الله الحق ، بل هي أم كلمة الله ، المشتملة على طبيعتي المسيح الإلهية والبشريَّة معاً ، واستشاط البابا (سلستين الأوَّل) غضباً إثر رسالة تلقاها من (سيريل) ، فعقد مجلساً في رومة عام ٤٣٠م ، وطالب بأن يرجع نسطوريوس عن آرائه ، أو يعزل من

منصبه ، فلما رفض نسطوريوس ، عُزل وحُرم من الكنيسة المسيحيَّة ، ونُفي إلى أنطاكيَّة ، ومن ثمَّ إلى واحة في صحراء ليبيا ، ومات هناك حوالي عام ٤٥١ م ، وانتقل أتباعه من بعده إلى شرقي سوريَّة ، وشادوا لهم كنائس ، وأنشؤوا مدرسة لتعليم مذهبهم في الرُّها ، ثمَّ في نصيبين ، ومنهم جماعات في بلخ وسمرقند ، وفي الهند والصِّين .

وآخر الشِّيع الطَّائفة الَّتي أنشأها (أُوتيكيس) رئيس دير قريب من القسطنطينيَّة ، وكان يقول : إنَّ المسيح ليست له طبيعتان بشريَّة وإلهيَّة ، بل إنَّ له طبيعة واحدة هي الطَّبيعة الإلهيَّة ، فحُرِم ، ثمَّ بُرِّئ في مجمع (إفسوس) عام ٤٤٩م ، ثمَّ سخط عليه مجمع (خلقيدونية) عام ٤٥١ م .

وزاد الاضطراب وبلغ ذروته حين رفضت كثرة المسيحيِّين في سوريَّة ومصر عقيدة الطَّبيعتَيْن في شخص المسيح المفرد ، وظلَّ رهبان سوريَّة يعلِّمون النَّاس عقائد اليعقوبيِّين ، فاليعقوبيَّة من ذلك الحين الدِّين القومي لمصر وإثيوبية ، ولها الغلبة في غربي سوريَّة وأرمينية ، بينما انتشرت النَّسطوريَّة فيا بين النَّهرين وشرقي سوريَّة .

ويختم وُل دُيُورانت [١٥٢/١٢] بقوله :

وهكذا حلَّت عبادة القدِّيسين المخلصة الواثقة محلَّ شعائر الآلهة الوثنيَّة .

وبدل اسما تماثيل إيزيس وحورس ، باسمي مريم وعيسى .

وأصبح عيد اللوبركاليا وتطهير إيزيس عيد مولد المسيح .

واستبدلت بحفلات السَّاترناليا حفلات عيد الميلاد .

وبحفلات عيد الزُّهور حفلات عيد العنصرة .

وبعيد قديم للأموات عيد جميع القدِّيسين .

وببعث أُتيس ، بعث المسيح .

وأُعيد تكريس المذابح الوثنيَّة للأبطال المسيحيِّين .

وأُدخل في طقوس الكنيسة ما كان يغتبط به النَّاس في الشَّعائر القديمة من بخور ، وأنوار ، وأزهار ، ومواكب ، وملابس ، وترانيم ، وتسامت العادة القديمة ، عادة ذبح الضَّحية الحيَّة ، فكانت هي التَّضحية الرُّوحيَّة في العشاء الرَّباني .

وهكذا : « يتبيَّن الصُّبح لذي عينَيْن » ، وأُحبُّ أن أقول قبل أن أختم هذا المبحث : ما أوردته عن وُل ديورانت لا أتبناه كلَّه .

فالمسيح في عقيدتي لا أشك في وجوده تاريخيًّا أبداً ، فمن صلب عقيدة كلِّ مسلم أن المسيح وُجِد ، وأن أمَّه طاهرةٍ بتول ، حملت بكلمة الله (كن) فكان من غير واسطة أب ولقاء ، و (روح منه) أي ذو روح مبتدأةٍ من الله ، وهو أثر نفخة جبريل عليه السَّلام في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النَّفخة بعيسى .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ فَأَرسَلْنا إليها رُوحَنَا فَتَمثَّل لها بَشَراً سَوِيّاً ﴾ [مريم : ١٧/١٩] أي جبريل .

وجاء ﴿ فَنَفَخْنَا فيهِ مِنْ رُوحِنا .. ﴾ [التحريم : ١٢/٦٦] روحاً من خلقنا بلا وساطة أب .

وبحق آدم ﴿ فَإذَا سَوَّيتُهُ ونفختُ فيهِ من رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ ﴾ [الحجر : ٢٩/١٥] ، وجاء بحقِّه أيضاً : ﴿ فإذا سَوَّيتُهُ ونفختُ فيه من روحي .. ﴾ ، وهكذا ونحن أبناء آدم ، كلنا من روح الله تعالى .

واللِّقاء القادم سيكون عن معجزة الإسلام الخالدة ، القرآن الكريم .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

اللّقاء الخامس :

أبدأ بقولي تمهيداً للإعجاز في القرآن الكريم : أنا أُومن بإنجيل عيسى ، كما أُومن بتوراة موسى ، ولكن أين إنجيل عيسى ، أنا لا أُريد إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا .. ولا أُريد التّوراة الّتي كُتِبَت في السّبي البابلي وبعده حيث الاقتباس الجلي من آداب بلاد الرّافدين ، وبلاد الشّام .

كلمة الله الموحى بها لا تتغيّر ولا تتبدّل مع مرور الزّمن ، ولا يناقض بعضها بعضاً ، ومما يذكر ، لو أحرقنا كلّ توراة ، وكلّ إنجيل ، وكلّ قرآن في العالم كلّه ، ولم نبقِ على نسخة واحدة منها ، ثمّ قلنا لأتباع الشّرائع الثلاث : أعيدوا كتابة كتبكم ، القرآن الكريم هو الوحيد الّذي لن تختلف نسخه ، لأنّه يُتَلَّقى عن ظهر قلب - غيباً - من جيل إلى جيل ، إن القرآن الّذي يكتب في أندونيسية ، والّذي يكتب في المغرب ، واحد حيث التّطابق التّام .

أمّا الأناجيل ، والتّوراة ، فليس هناك من يحفظها عن ظهر قلب ، لذلك لن يكون هنالك تطابق أبداً .

القرآن محفوظ في الصّدور من جيل إلى جيل .

إنجيل متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، على ما فيها من اختلاف وتناقض هذه أناجيل هؤلاء ، أين إنجيل السّيّد المسيح عليه السّلام ؟

ونحن ، على الرّغم من افتراءات الكنيسة وأكاذيبها بحق الإسلام والمسلمين ، سنبقى على حبّنا وتقديرنا واحترامنا للسّيّد المسيح عليه السّلام ، إنّه في مكانة سامقة في أعماق النّفس ، لأنّ ذلك جزء من عقيدتنا .

واليوم قنوات الإعجاز خمس : لغويّة ، وعدديّة ، وعلميّة ، وغيبيّة ، وتشريعيّة .

أَبدأ بالإعجاز اللُّغوي ، وأَنت يا سيد روديغر أصبحت تتقن اللُّغة العربيَّة وتتذوقها بشكل جيِّد والحمد لله .

الإعجاز اللُّغوي :

يقول علماء العربيَّة :

القرآن الكريم في أَعلى درجات الفصاحة في آياته وسوره كلِّها ، وعلى اختلاف المعاني الَّتي جاءت في هذه السُّور والآيات ، وهو معلوم في تاريخ الأَدب العربي أن لكلِّ شاعر من شعراء العربيَّة ضرباً من المعاني هو عليه أَقدر ، وبيانه عنه أَعلى ، ولهم في هذا أَقوال في طائفة من الشُّعراء جرى بعضها مجرى الأَمثال ، وقالوا :

أَشعر النَّاس امرؤ القيس إذا رَكِب .
والنَّابغة إذا رَهِب .
والأَعشى إذا طَرب .
وزهير إذا رَغِب .

وهكذا أنت في كلِّ شاعر استغرقه ضرب من المعاني ، وامتازت عبارته عنه ضرباً من الامتياز ، إلا كتاب الله .

قال تعالى في الترغيب : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ماأُخفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السَّجدة : ١٧/٣٢] .

وفي التَّرهيب : ﴿ وَاستَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِن وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسيغُهُ وَيأتيهِ المَوْتُ مِن كُلِّ مكانٍ وَمَا هُوَ بمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥/١٤ ـ ١٧] .

البلاغة في التَّرغيب ، كالبلاغة في التَّرهيب .

ومثال آخر : ﴿ قَال لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقد قَدَّمتُ إِليكُم بالوعِيدِ ، مَا يُبَـدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بظَلاَّمٍ لِلعَبِيدِ ، يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَل امتلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيد ﴾ [قٓ : ٢٨/٥٠ - ٣٠] ، هذا ترهيب ، بعده مباشرة ترغيب ﴿ وَأُزلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غيرَ بَعِيـدٍ ، هـذا مـا تُوعَـدونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفيـظٍ ، مَن خَشِيَ الرَّحمنَ بـالغيبِ وَجَـاءَ بِقَلْبٍ مُنيبٍ ، ادخُلُوهـا بِسَـلامٍ ذلـكَ يَـومُ الخُلُـودِ ، لَهُم مـا يَشَاؤُونَ فيهـا وَلَـدينـا مَـزِيـد ﴾ [قٓ : ٣١/٥٠ - ٣٥] .

الأُسلوب البلاغي لم يتغيَّر ، والزَّجر والوعـظ أيضـاً ، بمستوى رفيع لا مثيـل لـه ، لأُمَّة تباهي ببلاغتها ، وتفخر بفصاحتها .

وللقرآن موسيقـاه الخـاصَّـة بـه ، ونغمتـه المتميِّـزة ، ووقعـه الخـاص ، مـع أُسلـوب غريب في المطالع والمقاطع والفواصل ، والعرب - أَصحاب اللُّغة - أَدرى به .

ويتراءى لقارئه من خلال آياته ذات إلهيَّة عـادلـة ، حكيمـة ، جبـارة ، خـالقـة ، بارئة ، مصوِّرة ، لا تضعف في مواطن الرَّحمة .

والقرآن ليس بنثر ، كما أَنَّه ليس بشعر ، إِنَّه قرآن .

ليس نثراً لأَنَّ له قيوده الخاصَّة ، ولا توجد بغيره .

وليس شعراً لأَنَّه غير مقيَّد بقيود الشِّعر وتفعيلاته .

لذلك سَلَّمت العرب ببلاغتـه وفصـاحتـه ، ويـذكر هنـا أَنَّـه بعـد انتهـاء حروب الرِّدَّة ، قدم وفد من بني حنيفة إلى المـدينـة المنوَّرة ، فقـال أَبو بكر الصِّـدِّيق رضي الله عنـه لأَفراد الـوفـد : أَسمعـونـا شيئـاً من قرآن مسيلمـة ، فقـالـوا : أَوَتعفينـا يـا خليفـة رسول الله ؟ فقال : لا بُدَّ من ذلك ، فقالوا : كان يقول : يـاضِفْـدعُ بنتَ ضِفـدعين ، لحسن مـا تنقنقين ، لا الشَّـارب تمنعين ، ولا المـاء تكـدِّرين ، امكثي في الأَرض حتَّى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين ، لنا نصف الأَرض ، ولقريش نصفهـا ، ولكن قريشـاً قوم

يعتدون ، [الاكتفا ١٦/٢ ، الكامل في التّاريخ ٢٤٤/٢ ، البداية والنّهاية ٣٢٦/٦ ، الطّبري ٢٨٤/٣] .

وكان يقول : والمبذّرات زَرْعاً ، والحاصدات حَصْداً ، والذّاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خُبزاً ، والثّاردات ثرداً ، واللّاقمات لقماً ، إهالة وسمناً ..

فاسترجع أبو بكر رضي الله عنه ، أي قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ثمّ قال : ويحكم ، أي كلام هذا .

لقد استرجع أبو بكر رضي الله عنه ، إذن هنالك وفاة ، فمن مات ؟ لقد مات ذوقهم الأدبي ، وماتت فصاحتهم ، لذلك قال : « ويحكم أيُّ كلام هذا ؟! » .

وبعد هذا كله ، أُقدّم لسيادتك لمحاتٍ من الإعجاز اللُّغوي :

١ ـ من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى أنَّه (غفور رحيم) ، وقد وردت هاتان الصّفتان في القرآن الكريم كثيراً على هذا التّرتيب ، بتقديم كلمة (غفور) على كلمة (رحيم) ، مثل :

﴿ فَمَن اضْطُرَّ غيرَ بَاغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليهِ إنَّ الله غفورٌ رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣/٢] .

﴿ فإنِ انْتَهَوْا فإنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحيم ﴾ [البقرة : ١٩٢/٢] .

﴿ نَبّئ عِبادي أنّي أنا الغفُورُ الرَّحيم ﴾ [الحجر : ٤٩/١٥] .

﴿ إلاَّ مَن تَاب وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولئكَ يُبَدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنات وَكانَ اللهُ غَفُوراً رحيماً ﴾ [الفرقان : ٧٠/٢٥] .

﴿ وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحصُوها إنَّ اللّهَ لغَفُورٌ رحيم ﴾ [النحل : ١٨/١٦] .

إلاَّ في سورة سبأ : ﴿ يَعْلَمُ ما يَلجُ في الأَرضِ وما يخرُجُ منها ومَا ينزلُ من السَّماءِ

ومَا يعرُجُ فيها وهو الرَّحيمُ الغَفُور ﴾ ، فتقدَّمت (الرَّحيم) على كلمة (الغفور) خلافاً للمألوف في جَميع السُّور الأخرى ، فما السِّرُّ والحكمة في ذلك ؟

بدأت الآية (بيعلم) ، وانتهت بقوله تعالى ﴿ وَهُو الرَّحيمُ الغَفُور ﴾ ، فتقدَّمت كلمة (الرَّحيم) على كلمة (الغفور) لتقترن الرَّحمة بالعلم ، انسجاماً مع ربط الرَّحمة بالعلم ، وإلاَّ انقلب (العلم) إلى وحشية وظلم وفساد وضياع : ﴿ رَبَّنا وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً ﴾ [غافر : ٤٠/٧] ، ﴿ ولقد جئناكم بكتابٍ فَصَّلناهُ على عِلْمٍ وهدى ورحَمة لقومٍ يؤمنون ﴾ [الأعراف : ٧/٥٢] ، وهكذا ربطت الآيات بين العلم والرَّحمة ، وإن لم يكن العلم رحمة قاد العلمُ العالَمَ للتَّدمير لا للتَّعمير ، العلم بلا رحمة قنابل ، دمار ، خراب ، قتل جماعي[1] .

لقد اقترنَ العلم في الإسلام بالرَّحمة .

٢ ـ كلمتا (الأموال) و (الأنفس) إذا اجتمعتا في آية واحدة ، تقدَّمت (الأموال) على كلمة (الأنفس) :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ في أَموالِكُم وَأَنْفسكُم ﴾ [آل عمران : ٣/١٨٦] .

﴿ وَتُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ بأَموالِكُم وَأَنفسِكُم ﴾ [الصَّف : ٦١/١١] .

﴿ فَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ بِأَمْوالِهم وَأَنفُسِهم عَلَى القَاعِدينَ دَرَجَةً ﴾ [النِّساء : ٤/٩٥] ، فالإنسان يقدِّم ماله ويبذله رخيصاً ليحمي نفسه ، فتقدَّمَ ذكر المال .

أما في سورة التَّوبة ، فقد ورد : ﴿ إنَّ اللهَ اشترى مِنَ المؤمنينَ أَنفُسَهُم وأَموالَهُم بأَنَّ لَهَمُ الجَنَّة ﴾ ، خلافاً للمألوف المعتاد في كتاب الله تعالى ، فما السِّرُّ ؟

إنَّ ثمرة الجهاد في الآخرة هي الجنَّة ، والنُّفوس هي الَّتي ستدخل الجنَّة وتتمتَّع بها لا الأموال ، لذا وردت كلمة الجنة هنا كعرض يقدَّم للمجاهدين بعد أن قدَّموا الأنفس

---

(١) للإعجاز اللُّغوي ، انظر : (قبس من الإعجاز) ، لفضيلة الأستاذ هشام عبد الرزاق الحمصي .

والأموال في سبيل الله ، ﴿ بأنَّ لهم الجنَّة ﴾ ، فناسب أن تتقدَّم كلمة (الأنفس) على كلمة (الأموال) ، لأنَّ الأنفس أغلى من الأموال ، وهي الَّتي ستنعم بالجنَّة الموعود بها في هذه الصَّفقة الرَّابحة بين الله وعباده ، الَّتي وردت بلفظ ﴿ اشترى ﴾ ، والإنسان في البيع والشِّراء يحرص على الأفضل والأغلى والأربح ، فإذا جاد الإنسان بنفسه ، ولم يضن بها في سبيل الله ، استحق أن يفوز بسلعة الله الغالية وهي الجنَّة .

٣ ـ (الفاء) تفيد التَّرتيب مع التَّعقيب : ﴿ وَجاءَ إخوةُ يُوسف فَدَخَلُوا عليهِ فعرفهم وهم له منكرون ﴾ [يوسف : ٥٨/١٢] ، (فالفاء) هنا تشعرنا أنَّه لا حارس ولا حاجب على باب يوسف ، فقد دخلوا عليه فور وصولهم ، وعرفهم فور دخولهم ، كلُّ ذلك من مجرَّد إيراد حرف (الفاء) .

(ثمَّ) تفيد التَّرتيب مع التَّراخي ، أي مع امتداد الزَّمن : ﴿ يا أيُّها النَّاس إن كنتم في ريبٍ مِنَ البعثِ فإنَّا خلقناكم من ترابٍ ثمَّ من نُطْفةٍ ثمَّ من عَلَقَةٍ ثمَّ من مُضْغَةٍ مُخَلَّقةٍ وغير مُخَلَّقة ﴾ [الحج : ٥/٢٢] ، فبين مرحلة النُّطفة والعلقة أربعون يوماً ، وبين مرحلة العلقة والمضغة أربعون يوماً ، (ثمَّ) دلَّت على هذا (الترتيب) مع هذا (التَّراخي) في الزَّمن .

٤ ـ ﴿ ولا تخاطبني في الَّذينَ ظَلَمُوا إنَّهم مُغْرَقون ﴾ [هود : ٣٧/١١ ، والمؤمنون : ٢٧/٢٣] .

قال الكوفيُّون : إن حرف الجر (في) تضمَّن معنى (الباء) ، والمراد لا تخاطبني بحديث الَّذين ظلموا لأنَّني قضيت فيهم بحكمي عليهم أن أهلكهم فأغرقهم جزاء لكفرهم وعنادهم .

وقال البصريون : إنَّ فعل تخاطبني قد تضمَّن معنى تراجعني ، وفعل راجع يتطلب حرف الجر (في) ، والمراد : ولا تراجعني في الَّذين ظلموا ، فتطلب منِّي العفو عنهم ، ولو كان ولدك منهم ، فقد حقَّ القول عليهم أن يغرقوا لإصرارهم على الكفر والطُّغيان .

٥ - ﴿ إنَّ الأبرارَ يشرَبُونَ من كَأْسٍ كَانَ مِزاجُهَا كافوُراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله يُفَجِّرونَها تَفْجِيراً ﴾ [الإنسان : ٧٦/٥] . وفي [المطفّفين : ٨٣/٢٨] : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبونَ ﴾ .

﴿ عَيْنا يَشْربُ بِهَا ﴾ ، فعل يشرب يتضمّن هنا يرتوي ويلتذ ، وهذه الأفعال تتطلّب حرف الجر (الباء) ، فأخذت ما يناسبها ، والمراد يشربون مرتوين وملتذّين بها ، فليس المقصود مجرَّد الشُّرب ، بل المقصود التَّلذُّذ والارتواء دون أذى أو إرهاق .

٦ - ﴿ يَهَبُ لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذُّكور ﴾ [الشُّورى : ٤٢/٤٩] .

كلمة إناث قبل كلمة الذُّكور جبراً لخاطر الإناث ، وليحبِّب الوالدين بهن .

وقدَّم الإناث على الذُّكور ، لأنَّ العرب كانوا يستاؤون من الإناث ، وجاء الإسلام لينقذ الأُنثى من هذا الموقف غير السَّليم ، فقدَّم الإناث على الذُّكور ، فلاتشاؤم بهن ، إنّهن هبة الله ، لقد قدَّم الإناث في مجتمع كان يكره الإناث .

٧ - ﴿ إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا تَتَنزَّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أَلاّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالَجنَّةِ الَّتِي كُنْتُم تُوعَدُون ﴾ [فصلت : ٤١/٣٠] .

(تَتَنَزَّلُ) لا تَنْزِل ، إن تشديد الزَّاي يدل على أنَّ الملائكة تنزل على المؤمنين مرّة بعد مرَّة .

وفي سورة [الحج : ٢٢/٢٩] : ﴿ وليوفوا نذورهم وليَطَّوَّفُوا بالبيتِ العتيق ﴾ ، وليَطَّوّفوا ، لا يَطُوفُوا ، فالتَّشديد في (وليطَّوَّفوا) يفيد أن المراد أكثر من شوط .

وفي سورة [المائدة : ٥/٦] : ﴿ وَإن كُنْتُم جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ﴾ ، والتَّشديد في (فاطَّهَّرُوا) دليل المبالغة في التَّطهُّر .

٨ - وفي سورة [التَّوبة : ٩/٤٧] ، بحقِّ المنافقين : ﴿ لو خَرَجُوا فيكم مازادوكُم إلاَّ

خبـالاً ﴾ ، لو خرجـوا فيكم ، لا خرجـوا معكم ، لأن (معكم) هنـا تفيـد التكـريم بهـذه المعيَّـة ، بينـا المراد هنـا أنهم منـدسُّون منـافقون ، فجـاء النَّصُّ ﴿ لو خرجوا فيكم ﴾ ، فأعطت (فيكم) المعنى المراد والمناسب للمنافقين .

٩ ـ ﴿ وَإن طائفتان مِنَ المؤمنين اقتَتَلُوا فأَصْلحُوا بينهما ﴾ [الحجرات : ٩/٤٩] .

طائفتان : مثنى ، اقتتلوا : جمع ، بينهما : مثنى ، فلم يرد (اقتتلتـا) لتبقى الآيـة كلُّها مثنى ، لماذا ؟

عنـد التحـام الطَّـائفتين تصبحـا (جمعـاً) من الأَفراد المتقـاتلين ، فجـاءت (اقتتلوا) ، فإذا مالوا إلى الصُّلح وكفُّوا أَيديهم ، عادوا طائفتَيْن (مثنى) .

١٠ ـ ﴿ ولا تَبْخَسُوا النَّـاسَ أَشْيـاءَهم ﴾ [الأعراف : ٨٥/٧ ، وهـود : ٨٥/١١ ، الشُّعراء : ١٨٣/٢٦] . (أَشيـاءهم) ، لا حقـوقهم ، لأَن حقـوقهم تشمـل النَّـاحيـة المـادِّيَّـة ، بينمـا (أَشياءهم) تشمل النَّاحيتَيْن المادِّيَّة والمعنويَّة معاً .

١١ ـ تقول قاعدة في اللُّغة العربيَّة : كلُّ صفة اختصَّت بها المرأة تـذكَّر ولا تؤنث ، لذلك تقول : هذه امرأة حامل ، مُرْضع ، حائض ، ثَيِّب ..

بينما في سورة [الحج : ٢/٢٢] : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّـا أَرضعت ﴾ ، لا كلُّ مرضع ، لم يُرد هنا الصِّفة ، إنَّما أَراد (الفعل) ، أَي المرأة التي ثـديهـا في فم طفلهـا التي تحنو عليه في حجرها ، هذه تذهل عن طفلها عند زلزلة السَّاعة .

١٢ ـ ﴿ ولا تـؤْتـوا السُّفهـاءَ أَمـوالَكُم الَّتي جَعَـلَ اللهُ لكم قيـامـاً وارزقُـوهُم فيهـا ، واكسُوهُم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ [النِّساء : ٥/٤] .

(فيها) ، لا (منها) ، لأَنَّ منها تعني تآكلها ونقصهـا ، وبـالتَّـالي نهـايتهـا ، أما (فيها) فتعني من تثميرها ، ومن ريعها وأرباحها .

الإعجاز اللُّغوي فيه الكثير الكثير ، نكتفي بمـا سبق ، لننتقل إلى إعجـاز من نوع

آخر ، ولكننا نذكّر بآيتين كريمتين : ﴿ أَمْ يَقُولونَ افتراهُ قُل فأتُوا بِسُورَةٍ مثلِهِ ﴾ [يونس : ١٠/٣٨] ، وفي [الطّور : ٥٢/٣٣ و ٣٤] : ﴿ أَمْ يقولونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَ يُؤمنُون ، فليأتُوا بحديثٍ مثلِهِ إنْ كانُوا صَادِقين ﴾ .

لقد سكت العرب عن المعارضة ، وقد صكّ التّحدي أسماعهم بإلحاح وشدّة .

إنّ القوم قد أدركوا مفارقة نظم القرآن الكريم لما أَلِفُوه من وجوه نظمهم في بلاغاتهم ، وأحسُّوا بعجزهم التّام عن الإتيان بمثله ، أو بسورة واحدة من مثله ، فسكتوا إيثاراً للسّلامة :

﴿ فَإن لم تفعَلُوا - وَلَن تَفْعلُوا - فاتّقوا النّارَ الّتي وقودها النّاسُ والحجارة ﴾ [البقرة : ٢/٢٤] .

الإعجاز العددي :

لقد نزل القرآن الكريم منجّماً ، آياتٌ تتلوها آيات على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فلم يكن بين يدي رسول الله ﷺ كاملاً مع بدء البعثة ، ليقوم - على أُمّيته - بترتيب بعض الكلمات ، لتكون إعجازاً عددياً في قادماتِ القرون .

من الإعجاز العددي :

كلمة الدُّنيا في القرآن الكريم وردت ١١٥ مرّة ، وبالرّقم ذاته وردت كلمة الآخرة ١١٥ مرّة أيضاً .

الملائكة ورد لفظها ٨٨ مرّة ، وكذلك لفظ شياطين ٨٨ مرّة .

الحياة ومشتقاتها ١٤٥ مرّة ، وكذلك الموت ومشتقاته ١٤٥ مرّة .

الجنّة وورد ذكرها ٧٧ مرّة ، والنّار ٧٧ مرّة .

الحرّ ٤ مرات ، والبرد ٤ مرات .

كلمة (يوم) مفردة : ٣٦٥ مرّة بعدد أيّام السّنة الشّمسيّة .

وكلمة (شهر) : ١٢ مرَّة بعدد أَشهر السَّنة .

ولفظ (يوم) مثنى ومجموع : ٣٠ مرَّة بعدد أَيام الشَّهر .

ولفظ (ساعة) مسبوقة بحرف : ٢٤ مرَّة بعدد ساعات اليوم .

كلمة (المرأة) مفردة ٢٤ مرَّة ، وكذلك (الرَّجل) مفردة ٢٤ مرَّة .

أَقم أو أَقيموا مقترنة بالصلاة ١٧ مرَّة ، وهي عدد الرَّكعات اليوميَّة المفروضة على كلِّ مسلم .

أُولوا العزم من الرُّسل خمسة هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وكلمة (عزم) وردت في كتاب الله المجيد خمس مرَّات ، بعدد الأنبياء أُولي العزم .

ومن الإعجاز العددي التَّناسق العددي في ذكر أَسماء أَعضاء الإنسان وحواسه :

للإنسان جبهة واحدة ، وردت (جباههم) مرَّة واحدة في القرآن الكريم ، [التوبة : ٩/٣٥] .

وللإنسان (فم) واحد ، وردت كلمة (فاه) مفردة واحدة فقط في [الرَّعد : ١٣/١٤] .

والنُّعاس ورد مرتين : [الأنفال : ٨/١١] ، و [آل عمران : ٣/١٥٤] ، بعدد العينَيْن ، و (عينان) مثنَّاة وردت مرتين فقط بعدد العينين ، وذلك في [الرحمن : ٥٥/٥٠] ، و [الرحمن : ٥٥/٦٦] ، وكذلك (الدَّمع) ورد مرتين فقط وذلك في [المائدة : ٥/٨٣] ، [التَّوبة : ٩/٢٩] ، بتطابق مع العينَيْن والنُّعاس .

الدِّماغ ورد مرَّة واحدة [الأنبياء : ٢١/١٨] : ﴿ بل نقذفُ بالحقِّ على الباطِلِ فيدمَغُه فإذا هو زاهق ﴾ .

اللحية ورد ذكرها مرَّة واحدة [طه : ٢٠/٩٤] : ﴿ قالَ يا ابن أُم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ .

البلع (البلعوم) ورد مرَّة واحدة [هود : ٤٤/١١] : ﴿ وَقِيلَ يـاأَرض ابلعي مـاءَكِ وَيا سَمَاءُ أَقلعي ﴾ .

(الشَّفتـان) ، وردت مرَّة واحـدة مثنـاه كما هي في الإنســان : ﴿ أَلم نجعـل لـه عينين ، ولساناً وشفتين ﴾ [البلد : ٩/٩٠] .

الجِيد (رقبة الإنسان) ، ورد ذكره مرَّة واحـدة [المسد : ٥/١١١] : ﴿ في جِيـدِهـا حَبْلٌ من مَسَدٍ ﴾ ، وللإنسان جيد (رقبة) واحدة .

وللإنسان (عَضُدان) ، وكلمة عضـد وردت مرَّتين [الكهف : ٥١/١٨] ، و [القصص : ٣٥/٢٨] .

و (كفَّاهُ) وردت مرتين مثنَّاه [الرعد : ١٤/١٣] ، و [الكهف : ٤٢/١٨] ، ﴿ كباسط كفيه ﴾ ، ﴿ يقلب كفيـه ﴾ ، وللإنسـان كفَّـان ليس غير ، تطـابق عجيب ، أن ترد (كفَّاه) مرتين ومثنَّاة .

وللإنسـان (قبضتـان) ، وكلمـة قبضـة وردت مرَّتين [طه : ٩٦/٢٠] ، و [الزُّمر : ٦٧/٣٩] .

ولـلإنسـان (بَـدَنٌ) واحـد ، وكلمـة بَـدَن وردت مرَّة واحـدة في القرآن الكريم : ﴿ فاليوم ننجيكَ ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ [يونس : ٩٢/١٠] .

ونوع آخر من الإعجاز العددي :

في مطلع سورة الرَّعد : ا ل م ر ، وبـإحصـاء هـذه الحروف في سورة الرعـد نجـد أن :

ا وردت ٦٢٥ مرَّة .
ثمَّ ل وردت ٤٧٩ مرَّة .
ثمَّ م وردت ٢٤٠ مرَّة .
ثمَّ ر وردت ١٣٥ مرَّة ، ترتيب تنازلي كما ورد في مطلع السُّورة الكريمة .

وفي سورة البقرة : ا ل م ، وبإحصاء هذه الحروف في السُّورة المذكورة نجد أيضاً أن :

ا وردت ٤٥٩٢ مرَّة ..

ثمَّ ل وردت ٣٢٠٤ مرَّة .

ثم م وردت ٢١٩٥ مرَّة ، ترتيب تنازلي ، ونجد هذا أيضاً في آل عمران ، والعنكبوت ، والرُّوم .

القرآن الكريم ، معجزة خالدة باقية ، تشهد بمصدره الإلهي ، لقد طلب العرب المعجزات الخارقة ، والآيات المخالفة لقوانين الطَّبيعة : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِن رَبِّه قُلْ إنما الآياتُ عِنْدَ اللهِ وَإنَّما أنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَوَ لَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أَنْزَلنَا عليكَ الكِتَابَ يُتلى عَلَيْهِم إنَّ في ذلكَ لَرَحْمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤْمِنُون ﴾ [العنكبوت : ٢٩/٥٠ و٥١] .

طلبوا المعجزات ، فكان ردُّ القرآن الكريم : ﴿ أَوَ لَمْ يكفِهِم أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيكَ الكِتَابَ يُتْلَى عليهم ﴾ .

☆ ☆ ☆

اللِّقاءُ السَّادِسُ :

سنتابع في لقائنا اليوم الحديث عن إعجاز القرآن الكريم . ونمهِّد بالتَّالي : ليس الهدف من الحوار الانتصار والفوز ، أو إدانة الآخر ، بل الهدف هو البحث عن الحقيقة ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، والتَّعرُّف على ماعند الآخر بموضوعيَّة ، دون تعصُّب ، وبلا مواقف مسبقة ، وخلفيَّة حاقدة .

إنَّ مصادرة رأي الآخرين مرفوضة في عقيدتنا ، وندع الزَّهرات كلَّها تتفتَّح ، وندع كلَّ الشَّرائع تطرح ماعندها ، ولكن بمنطق وعقل وعلم ، فلاعقيدة سليمة بغوامض وأسرار وخرافات ، ولا نهج صحيح بلا تحكيم عقل ، أو بخوف من الحوار .

وقبل البدء بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أذكر لسيادتك أن الشَّيخ أحمد

ديدات طلب من البابا عقد حوار بينهما في بث مباشر ، وبعد تكرار الطَّلب وافق البابا جون بول الثَّاني على جلسة سِرِّيَّة في مكتبه .

وسبب طلب هذا الحوار مع البابا ، ما نشرته صحيفة الغارديان يوم ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٣ م ومفادها أن الفاتيكان شكَّلت لجنة علميَّة دينيَّة برئاسة البابا لردّ اعتبار (غاليلو) ، وتصحيح موقف الكنيسة بشأن مضى عليه خمسمئة سنة ، واعتذرت الفاتيكان ، وصدر تقرير اللَّجنة يقول : (غاليلو) كان على صواب حينما قال : الأرض هي الَّتي تدور حول الشَّمس ، لا العكس ، والكنيسة كانت على خطأ عندما رفضت هذه الحقيقة العلميَّة ، وأجبرته على التَّراجع ، وإلا أعدمته .

وعلَّق ديدات على قرار اللَّجنة قائلاً : هذه حسنة ، ولكن هناك ما هو أكبر من هذا الأمر ، إن رجلاً اسمه محمد ، له أتباع تجاوزوا المليار مسلم ، لعلكم مخطئون في موقفكم منه ، تعالوا إلى حوار بيننا وبينكم لنتعرَّف على الحقيقة ، والسُّؤال الوحيد الَّذي سأطرحه : القرآن أم الإنجيل الَّذي بين أيدينا كتاب الله المُنْزَل ؟!

وسأُقدِّم لك يا سيِّد روديغر صورة عن هذا الخبر كما أوردته صحيفة (المسلمون) مدعَّماً بصور الوثائق المتبادلة بين البابا وديدات .

الإعجاز العلمي :

١ ـ في سورة [يس : ٣٦/٣٨] : ﴿ وَالشَّمسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لها ذلك تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ ، آية (علميَّة) ، ما فيها من صلب عقيدة المسلم ، يتعبَّد بها بصلواته ، وهي حقيقة علميَّة ، فالشمس تجري نحو نجم عملاق ، اسمه (ممسك الأعنَّة) بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثَّانية الواحدة ، مصحوبة بكواكبها ، وأقمار كواكبها .

٢ ـ وفي سورة [النُّور : ٢٤/٤٠] : ﴿ أو كظلماتٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِن فَوقِهِ مَوْجٌ من فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فوقَ بعضٍ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يراها ومن لم يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فما لَهُ من نور ﴾ .

إنّ المركبة الفضائيّة المشتركة (السّوفييتيّة ـ الأمريكيّة) اكتشفت أن أمواجاً هائلة في قاع المحيطات حيث الظّلام الدّامس ، وكانت أبحاث هذه المركبة وتقديم النّتائج برئاسة الدكتور فاروق الباز .

ظلمات في قاع بحر عميق تتردّد أمواجه ، من فوقه موج على السطح ، من فوقه سحاب ..

٣ ـ في سورة [الحج : ٢٧/٢٢] ﴿ وَأَذِّن في النَّاسِ في الحَجِّ يأتُوكَ رِجَالاً وَعَلى كُلِّ ضَامِرٍ يأتينَ من كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ ﴾ .

أوّلاً : كلمة (عميق) لم ترد في القرآن الكريم إلاّ مرّة واحدة ، في هذه الآية فقط .

ثانياً : كان من الممكن أن يكون بدلاً منها كلمة (بعيد) ، فلماذا اختيار كلمة (عميق) الّتي لم ترد في القرآن الكريم إلا هنا ؟

العُمْقُ والعَمق : البعد إلى أسفل ، كما في [اللّسان : عمق] فأينما اتّجه الإنسان في أسفاره على سطح الأرض ، رسم قوساً في مسيره ، هو انحناءة الكرة الأرضيّة ، لذلك كان اختيار كلمة (عميق) الّتي تفي بالحقيقة العلميّة ، ونعني بها كرويّة الأرض .

٤ ـ كلّما ورد لفظ (القمر) ذُكِرَ من بعده أنه (نور) ، أمّا إذا ذُكِرَت (الشّمس) ذُكِرَ من بعدها أنها (سراج) ، مثل : ﴿ وَجَعَلَ القمرَ فيهنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشّمسَ سِراجاً ﴾ [نوح : ١٦/٧١] ، وهذه حقيقة علميّة ، القمر عاكس لنور الشمس ، أمّا الشّمس فهي متوقّدة بذاتها ، كالسّراج ، ومعلوم أن هذا التّوقّد ترافقه حرارة ، دقّة علميّة : القمر نور ، والشّمس سراج .

٥ ـ وفي [الذّاريات : ٤٧/٥١] : ﴿ وَالسَّماءَ بَنَيْنَاها بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُون ﴾ ، وهذه حقيقة علمية أيضاً ، الكون يتمدّد ، ويتوسّع كما هو معلوم في علم الفَلَك .

٦ ـ وفي سورة [الأنبياء : ٣٠/٢١] : ﴿ أو لم يَرَ الَّذين كَفَرُوا أنَّ السَّموات والأَرضَ كانتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُمَا ﴾ . الرَّتْقُ في [اللِّسان] ضد الفَتْق ، الرَّتْقُ : إلحام والتآم ، والفتق : فَتَقَه يفتُقُه ويَفْتِقُه فتقاً : شقَّه .

إنَّ كواكب المجموعة الشَّمسيَّة كانت ملتحمة ملتئمة ، ثُمَّ انفتق بعضها من بعض ، ثمَّ تبرَّدت .

٧ ـ ﴿ يكوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ ويكوِّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ ﴾ [المزمل : ٥/٧٣] .
والتكوير لغة : لفُّ شيءٍ على آخر بشكل مستدير ، وهي استدارة الكرة الأرضيَّة .

٨ ـ ﴿ وَمِن كُلِّ شيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لعلَّكُم تذكَّرون ﴾ [الذاريات : ٤٩/٥١] .
﴿ من كُلِّ شيءٍ ﴾ : إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد أيضاً ، ففي ذرَّات كلِّ عنصر موجب وسالب ، مثل :

الهيليوم ٢ بروتون + (موجب) ، و ٢ بروتون − (سالب)
الكربون ٦ بروتون + ، و ٦ بروتون −
وأثقل المعادن اليورانيوم ٩٢ بروتون + ، و ٩٢ بروتون −
وفي قلب الذَّرة (نيوترونات) ، وفيها (نظير) النيوترون أيضاً .

٩ ـ وضرب القرآن الكريم مثالاً عن الوهن الَّذي هو الضّعف ببيت العنكبوت لا في خيطه ، لأَن خيط العنكبوت أقوى من خيط مثيل له من الحديد ، يماثله من حيث الطول والقُطر ، الضَّعف (الوهن) في بيت العنكبوت ، حيث لا تعيش الأُنثى مع الذكر ، وفي موسم التَّزاوج لو أدركته بعد التلقيح لقتلته وأكلته ، وبعد خروج الأَولاد من بيوضها ، لو لم يهربوا لقتلتهم .

إن الوهن في البيت ، لا في الخيط .

١٠ ـ وكما هو معروف أن النَّبيَّ عاش في بيئة صحراويَّة ، ولم يركب البحر مطلقاً ، وقومه (قريش) لم يتَّجروا في البحر ، لقد كانت تجارتهم برّاً إلى الشَّام وإلى اليمن .

وإن أثر البيئة في الإنسان ـ في كلامه ، في كتبه ـ لا يُنكر مطلقاً في عالم الأدب ، فشكسبير لم يصف البيئة العربيَّة : أطلال ، صحراء ، نجوم ، قمر .. ولبيد لم يصف البيئة البريطانية : ثلوج ، ضباب ، غابات ..

بعد هذا نقول : كلمة البحر (معرَّفة) وردت في القرآن الكريم ٣٢ مرَّة .

وكلمة البر (معرَّفة) وردت في القرآن الكريم ١٢ مرَّة يضاف إليها كلمة (يبساً) التي قابلت البحر في سورة طه ، ولم تتكرَّر (يبساً) في القرآن الكريم .

الأرض إما مياه ، وإما بر (يابسة) ولا ثالث لهما .

البحر ٣٢ + البر ١٣ = ٤٥ .

الـ ٤٥ هي ١٠٠٪ .

البحر ٣٢ ماذا يشكل من المجموع = $\frac{١٠٠ \times ٣٢}{٤٥}$ = ٧١,١١١٪ (بحار) .

الـ ٤٥ هي ١٠٠٪ .

البر ١٣ ماذا يشكل من المجموع = $\frac{١٠٠ \times ١٣}{٤٥}$ = ٢٨,٨٨٨٪ (البر = اليابسة) .

وهي النِّسبة الَّتي ندرسها لطلابنا في مدارسنا : ٧١,١١١٪ بحار ، و ٢٨,٨٨٨٪ يابسة .

إنَّه إعجاز علمي جغرافي .

١١ ـ في كلِّ سور القرآن الكريم ، قبل وبعد سورة يوسف ، إذا ذُكر حَاكم مصر ، يذكر (فرعون) ، إلاَّ في سورة يوسف ما ذُكِر (فرعون) ، مع أنَّ قصَّة يوسف عليه السَّلام جرت أحداثها في مصر ، ومع ذلك جاء في سورة يوسف حاكم مصر باسم (الملك) :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ [الآية ٤٩] .

﴿ وقال المَلِكُ ائتُونِي بِهِ ﴾ [الآية ٥٠] ، و ﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائتوني به أستَخْلِصْهُ لنفسي ﴾ [الآية ٥٤] ، ﴿ قالوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ ﴾ [الآية ٧٢] ، فَما السِّرُّ في هذا ؟

بقي هذا السِّرُّ المعجز حتَّى تمكَّن (شامبليون) سنة ١٨٢٢م من قراءة الكتابة الهيروغلوفيّة ، فاطَّلعنا على تاريخ مصر مفصلاً ، فعلمنا أن يوسف عليه السَّلام لم يكن في شمالي مصر (منطقة الدَّلتا) في كنف الفراعنة الَّذين انحسر حكمهم إلى الجنوب (منطقة الصَّعيد) ، بل كان في كنف (الملوك) الهيكسوس وخدمتهم ، فجاءت دقَّة العبارة معجزة تاريخية ، (ملك) لا (فرعون) .

١٢ ـ الإعجاز العلمي كثير كثير ، أختمه بهذه الآيات المباركات :

ـ ﴿ يَجْعَلْ صدرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ في السَّماءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥/٦] .

ـ ﴿ وَتَرى الجبالَ تَحْسَبُها جامدة وهي تَمُرُّ مرَّ السَّحاب ﴾ [النَّمل : ٨٨/٢٧] .

ـ ﴿ يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ يَطْلُبُه حَثيثاً ﴾ [الأعراف = ٥٤/٧] .

ـ ﴿ أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا نَأْتي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطرافِها ﴾ [الرَّعد : ٤١/١٣] .

ـ ﴿ وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ [يس : ٤٠/٣٦] ..

ففي الآية الأُولى ﴿ يَصَّعَّدُ ﴾ في طبقات الجوِّ ، يضيق صدره بسبب نقص كميات الهواء في الطبقات العليا ، ثم تلاشيها ، وفي الآية الثانية : الجبال تمرُّ كما يمر السَّحاب ، دلالة على حركة الأرض ، والآية الثالثة : سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ٢٣٣٣ كيلومتراً في السَّاعة الواحدة ، والآية الرَّابعة : التَّعرية ، حركة مستمرة بطيئة ، والآية الخامسة : الشمس والقمر والكواكب كلُّها سابحة في أفلاكها في هذا الكون الرَّحب الفسيح ..

الإعجاز الغيبي :

١ ـ من أوائل السُّور المنزلة في مكَّة المكرَّمة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ ، ما أَغنى عَنْهُ مَالُهُ ومَا كَسَب ، سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ ..﴾ ، سمع أَبو لهب (عبد العزَّى بن عبد المطلب) السُّورة ، وعاش بعد سماعه إياها عشر سنوات ، لو قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نفاقاً ورياءً بلسانه دون قلبه ، لشكَّك بالوحي وأبطله ، فالوحي لا يخطئ ولو مرة واحدة ، إنَّه معصوم عن الخطأ ، وبشكل مطلق ، فلو وقف أبو لهب في الحرم ، وقال : ياقريش ، مسلمها ووثنيها ، يقول محمد هذا القرآن الَّذي يتلوه علينا وحيٌ من عند ربِّه ، وهو يقول أَيضاً من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنَّة ، اشهدوا عليَّ قولي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأيُّ موقف يسجِّله هنا أَبو لهب !!

لو كان القرآن من عند محمد بن عبد الله ، لما قال أمراً غيبياً لا يدري ما سيكون شأنه في قادمات الأيَّام ، إنه من عند الله قطعاً ، وهو علام الغيوب ، لقد علم أن أَبا لهب لن يقول الشَّهادة ولو رياءً ونفاقاً وكذباً ، ولن يحرج الدَّعوة ورسول الله أبداً .

٢ ـ منذ الأَيام الأولى للإسلام والمسلمين ، كانوا متعاطفين مع أَهل الكتاب ، مثلما كان المشركون متعاطفين مع عبدة النَّار ، لذلك فرح المشركون القرشيون بانتصار الفُرس وهزيمة الرُّوم ، وساء ذلك المسلمين ، وحينما أُظهر المشركون شماتتهم ، نزلت بدايات سورة الرُّوم ، لاحظ ياسيِّد روديغر هذا التكريم لكم ، سورة باسم الرُّوم الَّذين كانوا يمثِّلون أوربة كلَّها آنذاك ، جاء في مطلعها : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ، في أَدْنى الأَرضِ وَهُم مِن بَعْدِ غَلَبِهم سَيَغْلِبُونَ ، في بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئذٍ يَفرَحُ المؤمِنُونَ ، بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [من الآية ٢ وحتى ٥] .

في هذه الآيات دلالة عظيمة لفتح القلوب لدراسة هذه العقيدة ، الَّتي واكبت الأَحداث ، فلا انزواء ولا قوقعة ، والَّتي بشَّرت بنصر قريب للرُّوم في بضع سنين ،

والبضع من ثلاث إلى تسع ، وسيكون النَّصر ﴿ في أدنى الأرض ﴾ ، و (أدنى) لغة : أقرب ، وأخفض أيضاً كما في [اللِّسان] ، وتحقق المعنيان ، أقرب إلى الحجاز وأخفض ، في أرض فلسطين ، أقرب ما يكون لمهد الدَّعوة الإسلامية (الحجاز) ، واخفض بقعة على سطح الأرض (البحر الميِّت ـ ٣٩٤م) .

٣ ـ في [آل عمران : ١٢/٣] : ﴿ قُل للَّذينَ كَفروا سَتُغْلَبُون .. ﴾ ، وقد غُلبُوا .

٤ ـ وفي [الأنفال : ٧/٨] : ﴿ وَإذ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدى الطَّائفتين أنَّها لَكُم .. ﴾ ، وَعْدٌ عجيب بالنَّصر في بدر الكبرى ، والمسلمون قِلَّة من حيث العدد ، وما خرجوا لقتال ، ومع ذلك ذُكر النَّصر قبل المعركة ، وكان كما أخبر رسول الله ، وقد نَسَب الوعد إلى الله تعالى .

٥ ـ ﴿ وَإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلنا عَلَى عَبْدِنا فَأتوا بِسُورَة مِن مِثْلِه وَادْعُوا شُهَداءَكُم من دُونِ الله إن كُنْتُم صَادِقين ، فَإن لم تَفْعَلُوا ـ وَلَنْ تَفْعَلُوا ـ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُها النَّاس والحِجَارَةُ أُعِدَّت لِلكافِرين ﴾ ، [البقرة : ٢٣/٢ و ٢٤] ، ولن تفيد الاستراريَّة في المستقبل ﴿ وَلَن تَفْعلُوا ﴾ ، فما فعلوا في الأمس ، ولن يفعلوا اليوم وغداً .

٦ ـ وفي سورة [القمر : ٤٥/٥٤] ، وهي من السُّور المكِّيَّة : ﴿ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ، على الرَّغْم من الاضطهاد والتَّعذيب والتَّهجير في الفترة المكِّيَّة ، جاءت هذه البُشرى ، وقد كانت محققة في بدر الكبرى .

٧ ـ ﴿ إنَّا نَحْنُ نَزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا لَهُ لَحَافظُونَ ﴾ ، [الحجْر : ٩/١٥] ، وهو محفوظ من التَّحريف والزِّيادة والنُّقصان ..

٨ ـ ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ ذكرٌ للعَالَمينَ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٧/٣٨ و ٨٨] ، وسورة [ص] مكِّيَّة ، وما هي إلاَّ سنوات حتَّى صار للإسلام نبوُءُ العظيم في العالم ، وهو اليوم شاغل العالم من اليابان حتى الولايات المتحدة .

٩ ـ ﴿ وَإِن خِفْتُم عَيْلَةً فَسَوفَ يُغنِيكُمُ اللهُ من فَضْلِهِ ﴾ [التَّوبة : ٢٨/٩] ، وقد أغناهم .

١٠ ـ وأخيراً في [النِّساء : ١٥٧/٤] في معرض الحديث عن السَّيِّد المسيح عليه السَّلام : ﴿ .. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾ ، وفي نهاية الآية ذاتها : ﴿ ومَا قَتَلُوهُ يَقيناً ﴾ ، والأناجيل القبطيَّة المكتشفة في (نجع حمَّادي) تذكر بوضوح أنَّ المسيح لم يُصْلَب ، وإنَّما صُلِبَ شبيه له ، وهذه الأناجيل غيَّرت تاريخ السَّنوات الأولى للمسيحيَّة . لأن بعضها كإنجيل توماس مثلاً يرجع إلى منتصف القرن الميلادي الأوَّل ، أي أنَّهُ يسبق أوَّل الأناجيل المعروفة بعشر سنوات على الأقل .

جاء في أحد هذه الأناجيل المكتشفة ، وهو إنجيل بطرس ، كما قدَّمته منظمة اليونسكو ١٩٧٠م ، وكما قدَّمته لجنة تكوَّنت في الولايات المتحدة لترجمة النُّصوص تحت رعاية (جيمس روبنسون) عالم الدِّراسات اللَّاهوتيَّة الأمريكي ، وتمَّ الانتهاء من التَّرجمة الإنكليزيَّة عام ١٩٧٥م ، ثمَّ تُرجمت بعد ذلك إلى الفرنسيَّة والألمانية ، جاء في أحد هذه الأناجيل حرفياً (وهو إنجيل بطرس) : « يقول المخلِّص : إنَّ الَّذي رأيته سعيداً ويضحك هو يسوع الحيُّ ، لكن مَنْ يدخلون المسامير في يديه وقدميه فهو البديل ، فقد وضعوا العار على الشَّبيه ، انظر إليه ، وانظر لي » .

كما جاء في كتاب آخر يُسمى (كتاب سيت الأكبر) : « كان شخص آخر هو الَّذي شرب المرارة والخَل ، لم أكن أنا ، كان آخر ، سيمون هو الَّذي حمل الصَّليب على كتفه ، كان آخر هو الَّذي وضعوا تاج الشَّوك على رأسه ، وكنت أنا في العلاء أضحك لجهلهم » ، [المجلَّة العدد ٧١٢ ، الجمعة ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣م ، ص ٥٦ ومابعدها] .

✡ ✡ ✡

الإعجاز التَّشريعي :

ونعني به النَّظرة المتناسقة المنسجمة للكون والحياة والإنسان ، في القرآن الكريم ، ناهيك عن التَّشريع المعجز في الفرائض ، وفي المعاملات ، وفي بناء الفرد والأسرة والمجتمع ، وفي العلاقات الدَّوليَّة .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عليها لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلكنَّ أكثَرَ النَّاس لا يعلمون ﴾ [الرُّوم : ٣٠/٣٠] .

﴿ إنَّما أَنتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ﴾ [الرَّعد : ٧/١٣] ، لقد أسلم أُناس من شعوب العالم كلِّها ، ولم يشعر واحد منهم أَنَّ هذا التَّشريع النَّاظم لحياته غريب عنه ، بل يشعر الجميع أن هذا التَّشريع مُنَزَّل إليه ، وهذا أمر طبيعي ، لأنَّه فطرة الله الَّتي فطر الناس عليها ، ولا تبديل لخلق الله .

(ألن بول) الباحثة الإنكليزية الَّتي أشهرت إسلامها ، وتحوَّلت إلى داعية ، أجرت دراسةً ميدانيَّة على عشرين فتاة إنكليزيَّة مسلمة ، خمس منهن اعتنقن الإسلام بسبب المطالعة المتعمِّقة في القرآن الكريم ، والباقيات بسبب زواج من مسلم ، أو التَّأثر بعالم مسلم .

روديغر : ماسمعته خلال الجلستَيْن اليوم والأُسبوع الماضي ، شيء عجيب دون شك ، لم نسمع به من قبل .

فقلت مجيباً : وهل من مصلحة الكنيسة في أُوربة إطلاعكم على هذا الإعجاز ، هذا الإعجاز تسمعه من مسلم دارس باحث فقط ، الكنيسة عندكم مشغولة بالافتراءات والتَّشويه وإثارة الشُّبهات حول الإسلام ونبيِّه الكريم ﷺ .



وممـا يـذكر أنَّ الشَّريطين اللَّـذين ضما تسجيل الإعجـاز اللُّغوي والعـددي والعلمي والتَّشريعي ، أُخذا من السَّيِّـد روديغر ، فجـاءني إلى مكتبي ، وبكلِّ أدب وتلطُّف قـال لي : لا أكتمك ، إن كلَّ شريط تسجيل سجلته كان يأخـذه منِّي رجل دين في الكنيسـة الَّتي أتبعهـا ، وكان يعيـد إليَّ الشَّريـط الَّـذي يـأخـذه في اليـوم التَّـالي ، ولكنـه أخـذ شريطيْ الإعجاز ولم يعدهما إليَّ ، ثم قيل لي : إنه مسافر ولا ندري متى سيعود ، لذلـك أرجو تسجيل الشَّريطَيْن من مجموعتك ، فأنا حريص على إتمام مجموعتي .

سجَّلت للسَّيِّد روديغر الشَّريطَيْن ، وحسَّنت ظنِّي بالَّذي أخذهما منه ولم يعـدهمـا إليه ، وقلت : لعلَّه لم يتلفهما كي لا تنتشر هذه الحقائق من الإعجـاز ، وتمنيَّت أن يكون قد أخذهما لينتفع بها ، وحرصاً عليهما .



اللِّقاء السَّابعُ :

رحبَّت بالسَّيِّد روديغر في بداية اللِّقاء ، وقلت له : سأُنهي إجـابـاتي عن أسئلتـك اليوم ، لأَسمع منك إجاباتك عن أسئلتي في لقائنا القادم إن شاء الله .

١ ـ أعلام الحوار في الوقت الحـاضر ، من قبل المسيحيين (صن مون) وهو مشبـوه له علاقته الوثيقة بالصهيونيَّة . ومن المسلمين الجادِّين الشيخ أحمد حسين ديدات .

٢ ـ مناهج المستشرقين في تناول مصادر المسلمين .

نشـأ الاستشراق وترعرع في أحضـان وزارات المستعمرات ، هـذا أمر معروف ، ورعتـه الكنيسـة ووجَّهتـه ، فقسم كبير تنـاول مصـادرنـا بهـدف إدانتنـا ، وطمس حضارتنا ، وإبراز ما يشوِّهها مع التَّضخيم والتَّهويل .

من المستشرقين المنصفين في تناول مصادرنا ، ضمن المنهج العلمي الموضوعي :
يوهان رايسكه الألماني : [١٧١٦ ـ ١٧٧٤م] الّذي اتُّهم بالزّندقة لمنهجه الإيجابي من الإسلام .

ولورا فيشيا فاغليري الإيطالية ، مؤلّفة كتاب : (دفاع عن الإسلام) .

وسلفستر دي ساسي الفرنسي ، الّذي يرجع إليه الفضل في جعل باريس مركزاً للدّراسات العربيّة .

وتوماس آرنولد البريطاني ، صاحب كتاب : (الدعوة إلى الإسلام) .
وزيغريد هونكه مؤلّفة كتاب : (شمس العرب تسطع على الغرب) .
والدكتورة آنا ماري شمل التي قدّمت لكتاب الدكتور مراد هوفمان : (الإسلام كبديل) .

ومن المستشرقين الّذين ساروا على نهج الطّعن والإدانة ، بكتابات حاقدة موظّفة ، بعيداً عن المنهج العلمي في تناول مصادرنا ، على سبيل المثال : جولدتسيهر (المجري اليهودي) ، وتيودورنولدكه ، وفينسنك ، وميور ، ولوي ماسنيون ، ولامانس ، ودافيدصموئيل مرجليوث ، وهملتن جيب ، ونيكلسون ، وجوزيف شاخت ... منهجهم أقوال وأحكام بلا سند من تاريخ ، أو حجّة من عقل تغني عن البيان والرّدّ ، إنّهم يبيّتون فكرة مسبقة ، ثمّ يلوون أعناق النّصوص إليها ، مع إسقاطات ، ومع ذلك أقول : إنّ الشّاذ والغريب والضّعيف لا يصمد أمام النقد والتّوثيق .

ومع ذلك ، من حقّ الاستشراق أن يقول ولو تخيلاته ، ومن حقنا الطّبيعي تناول أقواله بالدّراسة والنّقد والرّدّ ، لأنّ السّكوت عنها يعني التّسليم الضّمني بها .

٣ ـ إلى أيّ حدّ تؤثّر الحملات الصّليبيّة على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

ذكريات الوحشيّة والعنف في الحروب الصّليبيّة مؤلمة ، يخفف منها اعتذار في عام

١٩٩٥ بمناسبة مرور ٩٠٠ عام على بدء الحروب الصَّليبيَّة ، كما اعتَذر من (غاليلو) .

الحملات الصَّليبيَّة حقد ، ولا يستقيم الحوار مع الحقد ، وهو يستقيم مع السَّماحة والحب .

والحملات الصَّليبيَّة لم تنتهِ بعد ، فتصريحات كبار السَّاسة في أُوربة عند استعمار الجزائر ، وليبيا ، ومصر ، والسُّودان ، وفلسطين ، وسوريَّة ... تفوح بالصَّليبيَّة ، وكأنهم يريدونها صليبيَّة إلى الأبد .

٤ ـ أسماء بعض المستشرقين الَّذين قدَّموا الإسلام عقيدةً بشكل موضوعي ؟

ذكرت أسماء بعضهم قبل قليل ، وأذكر هنا أيضاً : كارادي ڤو ، وكلود إتيان ساڤاري ، وتوماس كارليل ، وتوينبي ، واللورد البريطاني (هيدلي) الَّذي أعلن إسلامه في أواخر حياته .

٥ ـ ما الكتب الَّتي تخدم المسلمين في الاطِّلاع على المسيحيَّة ؟

من الكتب : (قصة الحضارة) لوِل ديورانت ، و (تاريخ العالم) للسير همرتن ، و (تاريخ العصور الوسطى) لفِشر ، و (أُسطورة تجسُّد الإله في السَّيِّد المسيح) الَّذي أشرف على تحريره البروفيسور جون هِكْ ، أُستاذ اللَّاهوت في جامعة برمنجهام .

ويتوِّج كتاب (إظهار الحق) هذه الكتب كلَّها .

ومن الكتب المبسَّطة السَّهلة المتناول (محاضرات في النصرانيَّة) للشَّيخ محمد أبو زهرة .

كتب كثيرة يا سيد روديغر أختمها بكتاب (العقائد الوثنيَّة في العقائد النصرانيَّة) لمحمد طاهر التَّنير ، و (ينابيع المسيحيَّة) لخوجه كمال الدين ، (دراسة الكتب المقدَّسة

في ضوء المعارف الحديثة) للدكتور موريس بوكاي ، (الفصل في الملل والأهواء والنّحل) لابن حزم ..

٦ ـ الحاجز الأكبر بين المسلمين والمسيحيّين ؟

الحاجز الأكبر الحقد الّذي تحمله الكنيسة في أوربة على الإسلام والمسلمين .
وإيمانهم تسليماً ـ لا عقلاً ـ بالتّثليث ، والصّلب ، والفداء .
فلا لقاء بين توحيد خالص نقي لله تعالى ، وبين الثّالوث المقدّس .

٧ ـ ظاهرة التّبشير المسيحي الغربي ، وأثرها على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ؟

لا بُدّ هنا من تمهيد عن مؤتمرات التبّشير التي عقدت في هذا القرن :

من أوّل المؤتمرات (مؤتمر القاهرة) سنة ١٩٠٦م ، الّذي عُقِد في بيت المجاهد المسلم بيت أحمد عرابي ، بباب اللّوق ، الّذي نفاه الإنكليز إلى سيلان ، دعا إليه (صموئيل زويمر) ، وكان هدفه : نشر الإنجيل بين المسلمين .

مؤتمر أدنبره (باسكوتلانده) سنة ١٩١٠م .

مؤتمر لكنو في الهند سنة ١٩١١م برئاسة صموئيل زويمر ، الّذي ضرب ميداليّة على وجهها الأوّل (تذكار لكنو ١٩١١م) ، وعلى وجهها الآخر : (اللّهم يامن يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع ، انظر بشفقة إلى الشّعوب الإسلاميّة ، وألهمها الخلاص بيسوع المسيح » ، وأنا شخصيّاً لا أرى مخلّصاً لأوربة إلا ترك المخلّص ، والاستجابة لنداء التّوحيد ، والعقل ، والإنسانيّة .

مؤتمر بيروت سنة ١٩١١م أيضاً .
مؤتمر القدس سنة ١٩٢٤م .
مؤتمر جاكرتا سنة ١٩٧٥م ، حضره ٣٠٠٠ مبشر .
مؤتمر السّويد سنة ١٩٨١م .

وأخطر المـؤتمرات (مـؤتمر كـولـورادو) ، الَّـذي انعقـد في ١٥ تشرين الأوَّل (أكتوبر) سنة ١٩٧٨م تحت اسم : (مؤتمر أمريكـة الشَّماليَّـة لتنصير المسلمين) ، حضره ١٥٠ مشتركاً يمثِّلون أنشط العنـاصر التَّنصيريَّـة في العـالم ، دامت اجتماعـاتهم أسبـوعَيْن وبشكل مغلـق ، ووضـع (استراتيجيَّـة) بقيت سِّريَّـة لخطـورتهـا ، مع وضـع ميزانيَّـة لخطَّتهم مقدارها مليار دولار ، وجُمع المبلغ وأُودع في مصرف في أمريكة ، وأنشـأ المؤتمر معهـداً بـاسم (معهـد صموئيـل زويمر) ، وذلـك في شمالي كاليفـورنيـا ، واختير (دون ماكري) مديراً له ، والهدف الأوَّل والأخير تنصير كل المسلمين .

ومن فقرات مؤتمر كولورادو الَّتي تسرَّبت : إيجاد أزمات معينـة ، كي يعيش العـالم الإسلامي خارج حالة التَّوازن ، حيث الفقر ، والمرض ، والحروب .

وبناء عشرات المحطَّات الإذاعيَّة لتغطية الوطن العربي ، والعالم الإسلامي .

ومن الكلمـات الَّتي اعترفت بـالعقبـات في وجـه التَّنصير ، والَّتي قيلت في مـؤتمر كولورادو :

- الحقائق العلميَّة صدمت معتقد المسيحي .
- المسلمون يفهمون النَّصرانيَّة على حقيقتها .
- كيف يمكن للعقل السَّليم أن يفهم الأقانيم الثَّلاثة ، الواحد في ثلاثة ، والثلاثـة في واحد ؟
- الإسلام ليس حركة معادية للأديان .
- الإسلام هو أكثر النُّظم الدِّينيَّـة المتنـاسقـة اجتماعيّـاً وسيـاسيّـاً ، مع البسـاطـة والوضوح .

هذا .. وفي مدينة (بـازل) بسويسرة ، عـام ١٨٩٧م ، وصل القس البروتستـانتي (وليـام هشلر) إلى قـاعـة المؤتمر الصُّهيوني بصحبـة (هيرتـزل) ، وخطب في المـؤتمرين مطالباً بـأن « استفيقوا يـاأبنـاء إسرائيل ، فـالرَّبُّ يـدعوكم للعودة إلى وطنكم القـديم في

فلسطين » ، لقد كان القس هشلر من أوائل الدُّعاة للصُّهيونيَّة في الرُّبع الأخير من القرن التَّاسع عشر ، وبعد ٨٨ عاماً ، وفي المدينة ذاتها (بازل) ، وفي القاعة نفسها ، انعقد في أواخر آب (أُغسطس) ١٩٨٥م أوَّل مؤتمر صهيوني مسيحي دولي ، ضمَّ أكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكِّر مسيحي ، وقد هتفوا بحياة (إسرائيل الكبرى) ، وصلُّوا من أجل (عاصمتها الموحَّدة الأبديَّة) القدس .

ثمَّ قرَّروا الانتشار في الأرض ، تنظيماً وحركة وفكراً ، لخدمة المشروع الصَّهيوني وحمايته وتكملته .

والسَّفارة المسيحيَّة الدَّوليَّة الَّتي نظَّمت مؤتمر بازل الأخير ، ولدت في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠م ، وأهدافها :

١ ـ الاهتمام البالغ بالشَّعب اليهودي ، ودولة (إسرائيل) .
٢ ـ تذكير المسيحيِّين والكنائس وتشجيعها للصَّلاة من أجل القدس وأرض (إسرائيل) ، وتحريض المسيحيِّين لممارسة التَّأثير في بلادهم لصالح (إسرائيل) .
٣ ـ إنشاء مشروعات اقتصاديَّة واجتماعيَّة في (إسرائيل) .

ولقد اختصر زعيم هذه السَّفارة أهداف منظَّمته بقوله : « إنَّنا صهاينة أكثر من الإسرائيليِّين أنفسهم » .

وعن نشاطها وأغانيها لصهيون ، هذه صورة لك يا سيِّد روديغر ، عن مقالة الدكتور يوسف الحسن في مجلة (العربي) ١٩٨٦م .

تقول (واشنطن بوست) يوم ١٩٨٥/٨/٣١م على لسان القس (ديفيد لويس) ، أحد أبرز القيادات الصُّهيونيَّة المسيحيَّة الأمريكيَّة : « ستشهد الكنائس العالميَّة في المرحلة القادمة أعظم نقاش شهده العالم المسيحي حول موقف الكنيسة من (إسرائيل) .

ومن إعلان بازل الجديد :

١ ـ الضَّغط باتِّجاه مزيد من الاعتراف الدَّولي (بإسرائيل) كدولة لليهود ، وتكملة المشروع الصُّهيوني الممتد من الفرات إلى النِّيل ، تحقيقاً للنُّبوءات التَّوراتيَّة .

٢ ـ مطالبة جميع الدُّول والمؤسَّسات الدَّوليَّة الحكوميَّة والخاصَّة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيليَّة ، وعلى الدُّول الصَّديقة الانسحاب من هذه التَّجمعات إذا ماطُردت منها (إسرائيل) .

٢ ـ مطالبة جميع الدُّول بالاعتراف بالقدس عاصمة موحَّدة أبديَّة (لإسرائيل) .

٤ ـ المطالبة بالامتناع عن تسليح العرب ، بما فيهم مصر .

٥ ـ إنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي في (امستردام) ، لدعم الصِّناعات والسِّياحة في (إسرائيل) .

فما أثر التَّبشير المسيحي الغربي على الحوار بين المسلمين والمسيحيين ياسيِّد روديغر ؟

وأيُّ حوار والعالم الثَّالث يموت جوعاً ، وأوربة تتلف آلاف الأطنان من المواد الغذائيَّة ، وتتلف أمريكة آلاف آلاف الأطنان من القمح كي لا تنخفض الأسعار ، أين الإنسانيَّة ؟ وأين تعاليم المسيحيَّة ؟

فأية مشاعر نحمل ، والنَّاس يموتون جوعاً في إفريقية ، وجنوب شرقي آسية إن لم يتنصَّروا ؟ حتَّى قيل في أندونسية لمن يقوم بعمل دون قناعة به : تنصَّر من أجل حفنة أرز .

٨ ـ نقطة الانطلاق المناسبة للحوار الإسلامي ـ المسيحي ؟

نقطة الانطلاق المناسبة ، الاعتراف بالإسلام أوَّلاً ديناً سماوياً ، ومع نبذ التَّعصُّب

والحقد والعنف والمؤامرات والمكائد ... نترفَّع عن الشَّتائم ، فكلمة (أُصوليَّة) ترجمة دقيقة لكلمة Fundamentalism الإنكليزيَّة ، وتعني : العودة إلى الماضي ، أو إلى الجذور والتَّشبُّث بها ، خاصة في مجال الفكر ، بل في كلِّ جوانب الحياة ، والأُصوليُّون : فئة تتمسَّك بفكرة أو بمبادئ قديمة ، ويرفضون معه قبول ما يعارضهم من أفكار ومبادئ .

والأُصوليَّة الغربيَّة تعود إلى حركة محافظة من البروتستانت في الولايات المتَّحدة ، ظهرت في أواخر القرن التَّاسع عشر الميلادي ، وقامت مبادئها على أن الإنجيل معصوم من كُلِّ خطأ ، وغير قابل للنَّقد ، وأنَّ المسيح إله مولود من مريم العذراء ولادة عذريَّة ، وأنَّه قد ضحى بحياته تكفيراً عن ذنوب جميع النَّاس ، وأنَّه سيبعث مرَّة أُخرى .

ومن دوافع ظهورها ما ظهر على السَّاحة النَّصرانيَّة من دراسات تاريخيَّة تحليليَّة نقديَّة للإنجيل ، وفي سنة ١٩٠٩م بدأت الحركة الأُصوليَّة بطباعة اثني عشر كتاباً تحت عنوان (الأُصوليَّة) ، وُزِّع منها مع خروج الكتاب الثَّاني عشر ثلاثة ملايين نسخة في الولايات المتَّحدة وخارجها ، وفي هذا الوقت بدأت معاهد الإنجيل في لوس أنجلوس وشيكاغو في تدريس الأُصوليَّة من حيث مبادئها وعقائدها .

وفي ١٩٤٨م شكّلت مجموعة أُصوليَّة دوليَّة مركزها امستردام في هولندة ، اسمها : (المجلس الدَّولي للكنائس النَّصرانية) ، وهي مدعومة من قبل خمس وأربعين طائفة من ثماني عشرة دولة .

الأُصوليَّة : مصطلح كنسي مرادف للتَّزمت والعناد والتَّقوقع والعدوانيَّة ورفض التَّطوُّر ، فضلاً عن أنَّه مغرق في الارتباط بمكان وزمان معيَّن لا ينفك عنهما ، ولا يمكن لهذا المصطلح ، وبهذا المفهوم أن ينطبق على المسلمين ، أو على فئة منهم .

« كونوا معاصرين شرط أن تكونوا أصيلين . فالمعاصرة لا تعني أبداً انقطاع الجذور ، كما أن استيعابها لا يعني التَّفريط بتراثنا الثَّقافي العظيم » .

اكتسب هذا اللّفظ مزيداً من الإيحاءات السّلبيّة عبر ربطه بأحداث وظواهر معينة داخل البلاد الإسلامية توصف بالتّطرّف والغلو والعنف ومصادرة رأي الآخر ، فهو وسيلة للتّهجّم على الإسلام ، ولا يَقوّم من يُطْلِق هذا اللّفظ العمل إسلاميّاً ، أهو محظور أو مرخّص به ، سياسي أم اجتهادي .

أمّا (شعب الله المختار) فادّعاء غير أُصولي .

وتعبئة هواء القدس من قبل اليهود لبيعه في أوربة وأمريكة ليستنشق هناك من عُبوات بلاستيكيّة أنيقة ، ليس أُصوليّة .[1] .

نقطة الانطلاق احترام النّاس ، مع العمل الصّادق في نطاق أُخوّة إنسانيّة .

٩ ـ مستقبل المسيحيّة في المنطقة ؟!

مستقبلها كماضيها ، ما الجديد في أمرها ؟

١٠ ـ الهوّية الإسلاميّة ضمن العروبة ؟

العروبة : جنس ، وعرق .
والإسلام : عقيدة ، وفكر .

أنت يا سيد روديغر جرماني جنساً ، ومسيحي ديناً ومعتقداً ، فهل من تعارض أو تناقض ؟

العروبة علاقة انتماء إلى أُمّة بشطري تكوينها : الشّعب والأرض .

---

(١) وما فعله الطّبيب (باروخ كولد شتاين) ، السّفاح الذي قتل أكثر من خمسين شهيداً في الحرم الإبراهيمي الشّريف في مدينة الخليل ، صباح الجمعة ١٥ رمضان المبارك ١٤١٤ هـ الموافق ٢٥ شباط ١٩٩٤م ، ليس أصولية ، وهو الّذي ادّعى ـ كما كتب لزوجته ـ أنّه فعل فعلته الحقيرة باسم (إله إسرائيل) .

والإسـلام عـلاقـة انتماء إلى دين ، فـلا يقـوم لـدينـا سبب للخلـط بين العروبـة والإسلام .

وللإسلام والأُمّة العربيّة سمة خـاصّـة ، علاقـة متميّزة ، في كنفهـا وُجِـد الإسلام ، وهي التي نشرتـه ، وبلغتهـا نَزَل ، لـذلـك لا يمكن تخيُّـل الأُمـة العربيّـة دون حضـارة الإسلام ، الّذي نمت معه ، واكتملت أُمّة به ، والإسلام حمى الأُمّة العربيّة حين التجـأت إليه .

☆ ☆ ☆

اللّقاء الثّامن :

[يوم الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤١٤هـ ، الموافق ٩ شباط ١٩٩٤م] .

رحبت بالسيد روديغر مع بداية الجلسة ، وقلت له : يسعدنا أن نسمع منـك اليوم إجابات أسئلتي ، آملين أن يكون العلم والمنطق ، وتحكيم العقل والحجّة روّادنـا دومـاً في حواراتنـا ، لأنّ الإسلام دين يمجّـد العقـل ويجعلـه في درجـة رفيعـة ، ويرفض التّسليم دون حجّة من علم ، أو برهان من عقل .

عنـد ذاك أخرج السّيّـد روديغر براون ثمـانين صفحـة من قيـاس صغير ، مكتوب عليها بأحرف لاتينيّة ، فقرأ لنا نصفها تمـامـاً ، ولمـا كان هـذا اللّقـاء قبل شهر رمضـان المبارك بيومين فقط ، فقد أُجّلت اللّقـاءات إلى مـا بعـد العيـد ، ولكن الأعمـال حـالت دون لقاءات جديدة بعد عيد الفطر ، فقدّم لي السيد روديغر قبل سفره إلى ألمانية :

ـ من صفحة ١ إلى صفحة ٤٠ بالعربيّة وبخط يده .

ـ ومن صفحـة ٤٠ إلى صفحـة ٨٠ بحروف لاتينيّـة وبخـط يـده ، ولكنهـا ليست بالألمانيّة ، بل كتب الكلمة العربيّة بحروف لاتينيّة .

ـ وشريط بصوته ينطق بالعربيّة فيه ما في الصّفحات من ٤٠ إلى ٨٠ .

☆ ☆ ☆

روديغر براون : كما هو مكتوب ، مالم ترَ عين ، ولم تسمع أُذن ، ولم يخطر على بال إنسان ماأعدَّه الله للَّذين يحبُّونه ، فأعلنه الله لنا نحن بروحه ، لأن الرُّوح تفحص كلَّ شيء حتى أعماق الله ، لأنَّ مَن مِن النَّاس يعرف أمور الإنسان إلاَّ روح الإنسان الَّذي فيه ، هكذا أيضاً أمور الله ، لا يعرفها أحد إلا روح الله ، ونحن لم نأخذ روح العالم ، بل الرُّوح الَّذي من الله ، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله ، الَّتي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تُعَلِّمها حكمةُ إنسانيَّة ، بل بما يعلّمه الرُّوح القدس قارنين الرُّوحيَّات بالرُّوحيَّات ،] كورنثوس ٩/٢ - ١٣] .

تمهيد : لا نستطيع أن نفصل الثَّالوث الأقدس عن شخصيَّة يسوع المسيح ، هو نفسه الَّذي أوقفنا بكلِّ الجلاء أمام هذه الحقيقة الَّتي تفوق مداركنا المحدودة ، والتي لا تُدْرَك ، ولا بأيِّ طريقة أخرى إلا بالمقابلة الشَّخصيَّة مع يسوع ، المسيح نفسه .

قضيَّة الثَّالوث الأقدس لا تتمتَّع في حياة المؤمن بنفس الأهميَّة مثل الصَّليب ، لأنَّها قضيَّة لاهوتيَّة بحتة ، والمؤمن العادي لا يهتم بشرحها ، لأنَّها تمثِّل له سرَّ إيمانه الَّذي - مع أنَّه - لا يستطيع أن يشرحه ، إلا أنَّه يختبره في حياته مع الله بكلِّ الجلاء ، وبكلِّ البديهيَّة .

محدودية العقل : يتمشَّى إنسان على شاطئ البحر ، ويرى طفلاً يحفر حفرة ، ويستقي ماءً من المحيط لكي يملأ الحفرة في الرِّمال ، يسأل الرَّجل : ماذا تفعل ؟ يقول الطِّفل : أُريد أن أنقل مياه المحيط إلى هذه الحفرة .

الثَّالوث الأقدس ليس سرّاً على المعرفة بشكل تام ، ولكن هو سرٌّ على الإحاطة به ، لذلك لا أُجرِّب أن أُحيط الثَّالوث الأقدس بعقلي المحدود ، بل أُشير إلى بعض المؤشِّرات الَّتي أعطانا الله إياها في الكتاب المقدَّس .

ننطلق من السُّؤال الَّذي طرحه يسوع نفسه [متَّى ١٣/١٦] : « مَنْ يقول النَّاسُ

إنّي أنا ابن الإنسان » ، هذا السُّؤال لابدَّ من الجواب عليه أَوَّلاً استناداً إلى الوثيقتَيْن الأقدم[1] : التوراة والإنجيل .

يسوع نفسه قال [يوحنا ٥/٣٩] : فتِّشوا الكتب لأنَّكم تظنُّون أن لكم فيها حياة أبديَّة ، وهي الَّتي تشهد لي ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة » .

هذا هو الكلام الَّذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنَّه لابُدَّ أن يتمَّ جميع ماهو مكتوب عنِّي في ناموس موسى والأنبياء والمزامير .

آيات كتابيَّة :[2]

[تكوين ١/١ ـ ٣] : « في البدء خلق الله السَّموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمةٌ وروح الله يرفُّ على وجه المياه ، وقال الله ليكن نورٌ فكان نور » .

الله في العبريَّة : Elohim (إلوهيم) في صيغة الجمع ، أُلوهيَّة جامعة .

١ ـ الجمع التنظيمي في العبريَّة غير معروف Pluralis Mayestatis .

٢ ـ لا أحد من الملوك (فرائين) حكام القدماء استعمل في الحديث عن نفسه جمع التَّعظيم [تكوين ٤١/٤١ ، دانيال ٦/٤] .

٣ ـ النَّظريَّة أن الإسرائيليِّين القدماء آمنوا أوَّلاً بآلهة عديدة (إلوهيم) ، وهكذا دخلت هذه العبارة إلى التَّوراة ، لا تؤكَّد من قبل النقد العلمي الجذري (نظريَّة علمانيَّة) .

الآية الثَّانية : روح الله .

الآية الثَّالثة : قال : « كلمة الله » .

---

(١) هذا لفظ السيد روديغر ، وصواب العبارة : استناداً إلى الوثيقتَيْن الْقُدْمَيَيْن : التوراة والإنجيل .

(٢) يعني بها السيد استشهادات من العهد القديم (التَّوراة) ، وسترد (شهادة العهد الجديد) مستقلة بعد صفحات .

الكلمة والروح مشتركان في عمليّة الخلق ، نرى هنا ولو وراء السّتار ، أوّل إشارة إلى ذات الله .

يتكلّم الله في صيغة الجمع « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » ، « هلما ننزل ونبلبل ألسنتهم » ، [برج بابل] .

من نسل يعقوب : « يبرز كوكبٌ من يعقوب ويقوم قضيبٌ .. » [عدد ١٧/٢٤] .

من سبط يهوذا : « لا يزول قضيبٌ من يهوذا ومُشْتَرِعٌ من بين رجليه حتّى يأتي شِيلُونُ وله يكون خضوعُ شعوبٍ » [تكوين ١٠/٤٩] .

من جنس يَسّى : « ويخرج قضيب من جذع يَسّى ويَنْبُتُ غصن من أصوله » [إشعياء ١/١١] .

من بيت داود : « ها أيّامٌ تأتي يقول الرّبُّ وأُقيم لداود غصن برٍّ » [إرْميَا ٥/٢٣] .

مولود في بيت لحم : « أمّا أنتِ يا بيت لحم أَفْراتَةَ وأنتِ صغيرةٌ أن تكوني بين أُلوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الّذي يكون متسلّطاً على إسرائيل ومَخَارجه منذ القديم منذ أيّام الأزل » [ميخا ٢/٥] .

معلن من بشير : « صوتُ صارخٍ في البرّيّة أعدُّوا طريق الرّبّ ، قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا » [إشعياء ٣/٤٠] .

مولود من عذراء : « ولكن يعطيكم السّيّد نفسه آيةً ، هل العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عَمّانوئيل » ـ الّذي تفسيره الله معنا ـ [إشعياء ١٤/٧] .

أُلوهيّة المسيح :

« لأنّ كلّ سلاح المتسلّح في الوغى وكلّ رداءٍ مدحرَجٍ في الدّماء يكون للحريق

مأكلاً للنَّار ، لأنَّه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرِّياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبديّاً رئيس السَّلام » [إشعياء ٥/٩ و ٦] .

بداية في جليل : « ولكن لا يكون ظلامٌ للَّتي عليها ضيق .. طريق البحر عبر الأردن جليل الأُمم ، الشَّعب السَّالك في الظُّلمة أبصَرَ نوراً عظيماً ، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نُورٌ » [إشعياء ١/٩ و ٢] .

ممسوح من الرُّوح القدس : « ويَحُلُّ عليه روح الرَّبِّ روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوَّة روح المعرفة ومخافة الرَّبِّ » [إشعياء ٢/١١] .

مُرَافق من معجزات : « حينئذ تتفتَّح عيون العُمْي وآذان الصُّم تتفتَّح ، حينئذ يقفِزُ الأعرجُ كالأُيَّل ويترنَّم لسانُ الأخرس لأنَّه قد انفجرت في البرِّيَّة مياهٌ وأنهارٌ في القفر » [إشعياء ٥/٣٥] .

[مزامير ٢/٧٨] ، و [متَّى ٣٤/١٣] تكلَّم بأمثال : « قدَّمَ لهم مثلاً آخر قائلاً : يشبه ملكوت السَّموات إنساناً زرع زرعاً جيِّداً في حقله ، وفيما النَّاس نيام جاء عدوُّه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى ، فلما طلع النَّبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزَّوَان أيضاً .. » .

المجيء إلى الهيكل : « هأنذا أُرسل ملاكي فيهيِّئُ الطَّريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السَّيِّد الَّذي تطلبونه[1] وملاك العهد الَّذي تسرُّون به هو ذا يأتي قال ربُّ الجنود » [ملاخي ١/٣] .

سقوط آدم :

« فأخرجه الرَّبُّ الإله من جنَّة عدن ليعمل الأرض الَّتي أُخذَ منها » .

---

(١) هذا هو النص حرفياً ، بينما أورده السَّيِّد روديغر : ويأتي بغتة إلى هيكله السَّيِّد الرَّب .

﴿ فأزلَّهما الشَّيطانُ عَنْها فأخرجَهُمَا مِمَّا كانا فيهِ وَقُلنـا اهبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَـدُوٌّ وَلكُمْ في الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦/٢] .

﴿ قُلْنَـا اهبِطُـوا مِنْهـا جميعـاً ﴾ [البقرة : ٣٨/٢] ، ألا يعني ذلـك الجنس البشري كلّه ؟

﴿ قَالا رَبَّنَـا ظَلَمْنَـا أنفُسَنـا وَإن لم تَغْفِر لَنَـا وَتَرْحَمْنَـا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَـاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣/٧] .

تقرأ في التَّوراة بعـد السُّقوط : « وصنع الرَّبُّ الإلـه لآدم وامرأتـه أقمصـةً من جلـدٍ وألبسهما » ، [تكوين ٢٠/٣] .

نقدَّم الذَّبيحة الأُولى لكي تغطي عار آدم وحواء .
إشارة أن لتصفية الخطيئة وجب أن يُذْبح حيوان بريء .
لماذا لم تقبل ذبيحة كاين ؟ لأنَّه قدَّم ذبيحة غير دمويَّة .
لماذا قُبِلَت ذبيحة هابيل ؟ لأنَّه أدرك أنَّه لا يوجد غفران إلاَّ بالدَّم .

المسيح : مـولـود من نسـل المرأة : « وأَضَـعُ عـداوةً بينـك وبين المرأة وبين نسلـك ونسلها ، هو يَسْحَقُ رأسك وأنتِ تسحقين عَقِبه » [تكوين ١٥/٣] .

« وظهر له الرَّبُّ عند بلُّوطات مَمْرا وهو جالس في بـاب الخيمـة وقت حَرِّ النَّهـار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من بـاب الخيمة وسجد إلى الأرض ، وقال يا سيِّد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجـاوز عبدك » [تكوين ١/١٨ ـ ٤] .

« وقالوا له أين سارة امرأتك ، فقال هاهي في الخيمة ، فقـال إنِّي أرجع إليـك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابنٌ » [تكوين ٩/١٨ و ١٠] .

نرى الثّلاثة والتّوحيد في الوقت نفسه[1] .

الثّلاثـة : « مَنْ صعـد إلى السّموات ونـزل؟ مَنْ جمـع الرّيـح في حفنتيـه ؟ من صَرَّ الميـاه في ثوْبٍ ؟ مَنْ ثبّت جميع أطراف الأرض ؟ مـا اسمـه ؟ واسم ابنـه إن عَرَفْت ؟ » [أمثال ٣٠/٤] .

تنبُّـؤات عن المسيـح : « ويتبـاركُ في نسلـك جميـع أُمم الأرض » [تكـوين ٢٢/١٨] .

من نسل إسحق : « لأنّه بإسحق يُدْعى لكَ نسلٌ » [تكوين ٢١/١٢] .

راكب على حمار : « ابتهجي جدّاً يـا بنـة صهيون اهتُفي يـا بنت أُورشليم ، هو ذا ملكك يأتي إليك هو عـادلٌ ومنصورٌ وديعٌ وراكبٌ على حمـارٍ وعلى جحش ابن أتـان » [زكريا ٩/٩] .

لليهود عثرةٌ : « الحجر الّـذي رفضـه البنّـاؤون قـد صـار رأس الزّاويـة » [مزامير ١١٨/٢٢] .

يتـألّم من أجـل معـاصي البشر : « لكنّ أحـزاننـا حملهـا وأوجـاعنـا تحمّلهـا ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومـذلولاً ، وهو مجروحٌ لأجل معـاصينـا مسحوقٌ لأجل آثامنا ..» [إشعياء ٥٣/٤] .

يُطْعَن أمـام أنظـار النّـاس : « وأُفيض على بيت داود على سكّـان أُورشليم روح النّعمة والتّضرُّعات فينظرون إليَّ الّـذي طعنوه وينوحون عليـه كنـائحٍ على وحيـدٍ لـه ويكونون في مرارةٍ عليه كمن هو في مرارةٍ على بكره » [زكريا ١٢/١٠] .

---

(١) استغربتُ واستغرب الجـالسـون هـذه النّتيجـة ، قـاطعت السيـد روديغر وقلت لـه : لي تعليـق على ماسردت ، وعلى ماستنتجت ، وسأُسجّل في نهاية ماستقدّم كلّ تعليقاتي .

تنبّؤات تمّت في يوم واحد :

- يُخان لثلاثين درهم فضي [زكريا ١٢/١١] .
- يصمت أمام متّهميه [إشعياء ٧/٥٣] .
- ثقوب في يديه ورجليه [مزامير ١٧/٢٢] .
- مصلوب إلى جانب لِصّين [إشعياء ١٢/٥٣] .
- تقسيم ثيابه والاقتراع عليها [مزامير ١٧/٢٢] .
- صرخة الوحشة [مزامير ٢/٢٢] .
- يحفظ جميع عظامه ، واحدٌ منها لا ينكسر [مزامير ٢٠/٣٤] .
- جَنْبُه المطعون [زكريا ١٠/١٢] .
- قلبه المكسور [مزامير ١٤/٢٢ و ١٥] .

شهادة العهد الجديد :

« الّذي كان من البدء الّذي سمعناه الّذي رأيناه بعيوننا الّذي شاهدناهُ ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ، فإنّ الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبديّة الّتي كانت عند الآب وأُظهرت لنا » ، [رسالة يوحنا الرّسول الأولى ١/١ و ٢] .

حسب قول المسيح : « طوبى للعيون الّتي تنظر ماتنظرونه ، لأنّي أقولُ لكم إنّ أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ماأنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ماأنتم تسمعون ولم يسمعوا » [لوقا ٢٣/١٠ و ٢٤] . .

الشّهادة الأُولى : سمعان أمام الهيكل والطّفل يسوع « الآن تُطلق عبدَكَ ياسيّد حسب قولك بسلام ، لأنّ عينَيّ قد أبصرتا خلاصك الّذي أعددته قُدّام وجه جميع الشّعوب » [لوقا ٢٩/٢ و ٣٠ و ٣١][(١)] .

(١) وذكر السيد روديغر أن هذه الفقرة باليونانيّة أوضح ، وكتبها لنا باليونانية ، وتعني : « أبصرتا مخلّصك » .

« أنا أنا الرَّبُّ وليس غيري مُخَلِّصٌ » [إشعياء ١١/٤٣][1] .

« أنا والآبُ واحدٌ » [يوحنا ٣٠/١٠] ، وباليوناني Neutrum (محايد) لا ذكور (!) ، لا يتكلَّم إذن عن شخصٍ واحـدٍ بـل عن ذاتٍ واحـدة ، أو طبيعـةٍ واحـدةٍ (ذكوري ← صيغة) (!)

« أبوكم إبراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح » [يوحنا ٥٦/٨] .

« الحقَّ الحقَّ أقولُ لكمُ قبل أن يكون إبراهيم أنـا كائن » [يوحنـا ٥٨/٨] ، بـاليمين المضاعف ، أو بالقسم الأقوى يطـالب المسيح اسم الله المطلق غير الزَّمني ، واليهود عرفوا تماماً ماذا يقصد هنا ، إنَّه يجعل نفسه الله (إلهاً) .

وبـدلاً من أن يعيـد الأنبيـاء ، وأن يقول الرَّبُّ يقـول ، أو هكـذا يقـول الرَّب ، يقـول يسـوع : « الحـقَّ الحـقَّ أقـول لكم ..» ، أو : « فـإنِّي أقـول لكم إنكم ..» [متَّى ٢٠/٥] .

وهو مشرِّع بقوة[2] : « السَّماءُ والأرض تزولان ولكنَّ كـلامي لا يـزول » [مرقس ٣١/١٣] ، كلامه أزلي أبدي ، فهو بذلك ليس بشراً عاديًّا .

« لا تضطرب قلوبكم ، أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي » [يوحنا ١/١٤] ، يجعل نفسه موضع الإيمان .

ويقبل العبادة والسجود له : « واسجدوا له قائلين بالحقيقـة أنت ابن الله » [متَّى ٣٣/١٤] ، « قـال لهـا يسـوع لا تلمسيني لأنِّي لم أصعـد بعـد إلى أبي ، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إنِّي أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » [يوحنا ١٧/٢٠] ، « قـال لهم

---

(١) عاد السيد روديغر هنا إلى العهد القديم (التَّوراة) .

(٢) في الأصل بخط السيد روديغر : يطالب قوة التَّشريع .

وأنتم من تقولون إنِّي أنا ، فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحيّ » [متّى ١٥/١٦ و ١٦] .. وإلى آخره .

يقول (أبي) لا الله : لم يقل مرّة واحدة : « أبونا » عندما تكلّم مع تلاميذه ، بل قال : أبي أم أبوكم ؟

واليهود أيضاً نادوا الله أباً ، ولكن استعملوا الكلمة Abkinn ، صيغة المخاطبة الّتي تتوجّه إلى إله رحيم رؤوف غفور ، الصّيغة الّتي استعملها يسوع لا تحتوي أي رجاء أو التماس الغفران أو المغفرة ، كلمة لعلاقة وثيقة كل الوثوق مع الأب ، وجدير بالاعتبار : داود لم يقل آب ، بل : كما الآب يترأف [مزامير ١٣/١١٣][1] .

اليهود عرفوا فوراً ماذا يعني أو يقصد [يوحنا ١٨/٥] : « فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنَّه لم ينقضِ السَّبت فقط ، بل قال أيضاً إنَّ الله أبوهُ معادلاً نفسه بالله » .

مطالبات غير مباشرة : [مرقس ٥/٢] : « فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بنيَّ مغفورٌ لك خطاياك » ، و [لوقا ٤٨/٧] : « ثمَّ قال لها مغفورٌ لك خطاياك » .

وفي [يوحنا ٦/١٤] لم يقل أنا أعرف الحياة ، بل أنا الحياة نفسها ، « قال له يسوع أنا هو الطَّريق والحقُّ والحياة ، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي » ، وفي [متّى ٢٧/١١] : « كلُّ شيءٍ قد دُفِعَ إليَّ من أبي[2] وليس أحدٌ يعرف الابن إلاَّ الآب ، ولا أحدٌ يعرف الآب إلاَّ الابن ومن أراد الابن أنْ يُعلنَ لَهُ » .

---

(١) « كما الآب يترأف » ليست في [مزامير ١٣/١١٣] ، فالمزمور ١١٣ ثماني فقرات فقط ، في المزمور ١٣/٩٠ : « راجع يا رب ، حتّى متى ، وترأف على عبيدك » ، وليس في المزامير كلّها (ترأف) إلا هنا ١٣/٩٠ .

(٢) هذه الجملة لم يذكرها السيد روديغر ، أضفتها أثناء ضبط الفقرات وتوثيقها .

وفي الحقيقة إن شهادة المسيح لنفسه ما كانت لتقوَّم لولا أنَّه (إله) ، وليس مجرَّد إنسان ، لأنَّ الله وحده هو الَّذي يشهد لنفسه .

الثَّالوث في العهد الجديد (رموز) :

ـ عند الميلاد : الآب الَّذي أرسل الملاك جبرائيل ، « هذا يكون عظيماً وابن العليّ يُدْعى [ويعطيه الرَّبُّ الإله كرسيَّ داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد][1] ولا يكون لملكه نهاية » [لوقا ١/٣٢] .

الابن المولود ، الرُّوح القدس الفاعل ، « الرُّوح القدس يحلُّ عليك وقوة العلي تظللك » [لوقا ١/٣٥] .

عند المعموديَّة : قال الآب : « هذا هو ابني الحبيب الَّذي به سُرِرْتُ » [متَّى ١٧/٣] .

الابن في ماء الأدرن .

الرُّوح القدس يستقر على رأس الابن مثل حمامة .. [متَّى ١٦/٣ ، ومرقس ١٠/١] .

ويسوع نفسه يقول : « إنْ كنتم تحبُّونني فاحفظوا وصاياي[2] ، وأنا ـ أي الابن[3] ـ أطلب من الآب ـ الأقنوم الآخر[3] ـ ـ فيعطيكم مُعَزِّيا آخر ـ روح الحق ، الأُقنوم الثَّالث[3] ـ ليمكث معكم إلى الأبد » [يوحنا ١٥/١٤ و ١٦] .

« وعمِّدوهم باسم الآب والابن والرُّوح القدس » [متَّى ١٨/٢٨] ، لم يقل (بأسماء) ، بل مفرد (باسم) .

---

(١) ما بين القوسيْن لم يورده السيد روديغر .

(٢) لم يذكر السيد روديغر هذه الجملة « .. فاحفظوا وصاياي » لأنَّها تنصُّ على حفظ وصاياه لا عبادته .

(٣) ما بين معترضتين من إضافات السيد روديغر .

البركة الرَّسوليَّة : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبَّة الله وشركة الرُّوح القدس مع جميعكم » ، [رسالة بولس الرَّسول الثَّانية إلى أهل كورنثوس ١٤/١٣] .

« فإنَّ الَّذين يشهدون في السَّماء هم ثلاثةٌ الآب والكلمة والرُّوح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » [رسالة يوحنا الرَّسول الأُولى ٧/٥] .

الرَّقم ٣ (ثلاثة) :

« انقض هذا الهيكل وفي ثلاثة أيَّام أُقيمه » ، (يسوع) .

طفولة المسيح : « وبعد ثلاثة أيَّام وجدوا في الهيكل في وسط ..» .

بطرس : جحده ثلاث مرَّات .

يسوع : سأله ثلاث مرات : « هل تحبني » .

بلاطس : سأل ثلاث مرَّات « أي شيء عمل هذا ؟ » .

الصَّلب تمَّ في السَّاعة الثَّالثة « وبعد ثلاث ساعات كانت ظلمة على كلِّ الأرض »[1] .

صفات إلهيَّة :

السُّلطان « دُفعَ إليَّ كُلُّ سلطانٍ في السَّماء وعلى الأرضِ »[متَّى ١٨/٢٨] .

والوجود في كلِّ مكان : « وليس أحدٌ صعد إلى السَّماء إلاَّ الَّذي نزل من السَّماء ابن الإنسان الَّذي هو في السَّماء » [يوحنا ١٣/٣] ، « لأنَّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » [متَّى ٢٠/١٨] ، « وها أنا معكم كلَّ الأيَّام إلى انقضاء الدَّهر » [متَّى ٢٠/٢٨] .

---

(١) الرَّقم ٣ (ثلاثة) أورد السيد روديغر فقراتها دون توثيق .

واضع النَّاموس ومكمِّله : « قد سمعتم أنَّه قيل للقدماء لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأمَّا أنا فأقول لكم إن كلَّ من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم .. » [متَّى ٢١/٥] .

عالم بأسرار القلوب : « فشعر يسوع بأفكارهم » [لوقا ٢٢/٥] ، « لكنَّ يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنَّه كان يعرف الجميع » ، [يوحنا ٢٤/٢] .

سلطان على عناصر الطَّبيعة : « فخرَّ العبد وسجد له قائلاً يا سيِّد تمهَّل عليَّ فأوفيك الجميع » [متى ٢٦/١٨][١] .

سلطان على الشَّياطين : « ولما صار المساءُ قدَّموا إليه مجانين كثيرين ، فأخرج الأرواح بكلمة وجميع المرضى شفاهم » [متَّى ١٦/٨] .

سلطان على الموت : « ثمَّ تقدَّم ولمس النَّعش فوقف الحاملون ، فقال : أيُّها الشَّابُّ لك أقول قم » [لوقا ١٤/٧] .

عالم بكل شيء : « الآن نعلم أنَّك عالمٌ بكلِّ شيءٍ ولست تحتاج أن يسألك أحدٌ ، لهذا نؤمن أنَّك من الله خرجت » [يوحنا ٣٠/١٦] .

شهادة القرآن الكريم :

﴿ ورسُولاً إلى بني إسرائيلَ أنِّي قد جئتكُم بِآيةٍ من ربِّكُمْ أنِّي أخلُقُ لكُم مِنَ الطِّينِ كهيئةِ الطَّيرِ فَأنفُخُ فيه فيكونُ طيراً بإذنِ اللهِ وأُبرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوتَى بإذْنِ الله وأُنَبِّئُكُم بما تأكُلُونَ وَمَا تدَّخِرُونَ في بُيُوتكُم[٢] إنَّ في ذلك لآيةً لكُمْ إنْ كُنتُم مُّؤْمِنِين ﴾ [آل عمران : ٤٩/٣] .

---

(١) لا يصلح النَّصُّ الَّذي اقتبسه شاهداً لما قال وأراده .

(٢) وهنا كتب السيد روديغر [بدون إذن الله] ، مع أنها كلّها معطوفة على خلق الطير بإذن الله .

ولكن الأهم (بـدون خطيَّـة) : « مَنْ منكم يُبكِّتني على خَطيَّـةٍ ؟ » [يـوحنـا ٤٦/٨] .

شهادة القرآن الكريم والكتاب المقدّس :

على سبيل المثال : ديدات يرفض الفضائح والخطايا المذكورة في العهد القـديم عن الأنبياء ورجال الله ، وأنا أسأل : هل من الممكن أن نرفض كتـابـاً ككلام الله لمجرَّد أنّـه يُظْهر النَّاس حتَّى أحسن النَّاس في أسوأ حالاتهم ؟

أذكر هنا أن هدف الكتاب المقدّس مجد الله ، وليس المجد الزَّائف للإنسان .

تتساوى جميع القصص الّتي أشار ديدات إليها معاً في شرِّها ، ولكنه اختار بعنـايـة أن لا يذكرها ، لماذا ؟ لأنَّ القرآن أيضاً يذكرها في سورة [ص : ٢٤/٣٨ و ٢٥] : ﴿ وظنَّ داودُ أنَّما فتنَّاهُ فَاستغفرَ ربَّهُ وَخرَّ راكعاً وأناب ، فغفرنا لَهُ ذلـكَ وإنَّ لَـهُ عنـدنـا لَزُلفى وَحُسْنَ مآبٍ ﴾ ، ونسأل هنا : ماهي الفتنة ـ فتنة داود ـ الّتي تاب عنها[1] ؟

لابُـدَّ لنـا من الرُّجوع إلى التَّـوارة [صمـوئيـل الثَّـاني ٧/١٢ ـ ٩] : « .. قـد قتلت أوريَّا الحِثِّيَّ بالسَّيف وأخذتَ امرأته لك امرأةً » ، وبعد أن أناب داود قـال في [مزامير ١٠/٥١ ـ ١٢] : « .. رُدَّ لي بهجة خلاصك » .

شهادة القرآن الكريم واضحة كل الوضوح .

كلُّ الأنبياء خطاة[2] ، لماذا هـذا الخروج من الوضع البشري ، في [آل عمران : ٣٦/٣] ﴿ .. وإنِّي سمَّيتُهـا مريمَ وإنِّي أُعيـذُهـا بـكَ وذُرِّيتهـا مِنَ الشَّيطـان الرَّجيم ﴾ ، تفسير

(١) في التفسير الكبير للإمـام الرازي ١٨٩/٢٦ ، وفي تفسير أبي حيـان الأنـدلسي البحر المحيـط ٣٩٣/٧ ، وفي صفوة التفاسير ٥٥/٣ الفتنة الّتي تاب عنها الظَّنُّ بتسوّري المحراب من غير إذن ، فلما اتَّضح له أنهما جاءا لحكم في قضيَّة استغفر من ذلك الظَّنّ وخرَّ ساجداً لله عزَّ وجلَّ .

(٢) حاشاهم صلاة الله عليهم وسلامه .

الرَّسول محمد : ما من بشرٍ يولد إلا ويمسه الشَّيطان فيستهل صارخاً من مسَّة الشَّيطان إلاَّ المسيح وأمه .

وفي [الأنعام ١١٢/٦] : ﴿ وكذلك جعَلْنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوّاً شَياطينَ الإنسِ والجنِّ يُوحي بَعْضُهُم إلى بَعْضٍ زُخرُفَ القولِ غُروراً .. ﴾ ، وفي [مريم : ١٩/١٩] : ﴿ قَال إنَّما أنا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهبَ لكِ غُلاماً زَكيّاً ﴾ ، وفي [الأنبياء : ٩١/٢١] : ﴿ والَّتي أحصنَتْ فَرْجَهَا فنفخنا فيها مِنْ رُوحِنا وَجَعَلْنَاها وابنَها آيةً للعالمين ﴾ و [مريم : ٢١/١٩] : ﴿ قَالَ كذلكِ قالَ ربُّكِ هُو عليَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ورحمةً مِنَّا وَكانَ أمراً مَقْضِيّاً ﴾ .

هنا أسأل : هل يصطفى بشرٌ بكلِّ هذه الميِّزات بجانب كونه كلمة الله وروحاً منه ، وتكون مهمَّته محصورة فقط ؟ « ولكن يعطيكم السَّيِّدُ نفسُهُ آيةً ، هل العذراءُ تحبلُ وتلدُ ابناً ..» [إشعياء ١٤/٧] .

وفي [آل عمران ٤٥/٣] : ﴿ إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسمُهُ المسيحُ عيسى ابن مريَمَ وَجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ وَمِنَ المُقرَّبينَ ﴾ ، يقول الرازي في التَّفسير الكبير : « معنى كلمة المسيح أنه مُسِح من الأوزار والآثام ، ومنه أنه كان ممسوحاً برحم طاهرٍ مبارك .. صوناً له من مسِّ الشَّيطان » .

وفي البخاري : « كلُّ ابن آدم يطعنه الشَّيطان في جنبه بأصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم » .

﴿ وجيهاً في الدُّنيا ﴾ ، يقول الرَّازي : معناها مبرَّأ من العيوب بسبب كثرة صوابه وعلوِّ درجته عند الله تعالى » ، في الدُّنيا « يُستجاب دُعاؤه ويُحيي الموتى » ، وفي الآخرة « بسبب يجعله شفيع أُمته ويقبل شفاعته (شفاعاته) فيهم » ، كلمة (شفيع) ، من يستطيع أن يشفع إلاَّ الله نفسه ، الله لا يقبل الشَّفاعة من شخصٍ أدنى منه ؟ (هو نفسه) يشفع فينا[١] .

(١) بل الشفاعة لعظيم من دونه ، رجاء العفو منه والمغفرة ، كما أنَّ الشَّفاعة بإذن منه سبحانه وتعالى .

كلمة الله ، روح منه :

لقبان انفرد بهما المسيح[1] عن سائر الأنبياء كلّهم ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ ، هل نستطيع أن نستنتج أنَّ الكلمة إذن موجودة قبل أن تُلقى إلى مريم ؟ لا أحد سيقول إنَّ الله كان أخرس قبل خلق العالم ، حاشا لله ، كان ناطقاً عاقلاً منذ الأزل ، أسأل : هذا النُّطق ، وهذا الرُّوح من ذات الله ؟

إن أجبنا لا ، نستنتج أنَّه يوجد شريكٌ مع الله ، حاشا لله .

وإن كان روح الله وكلمته مخلوقين ، لا أزليين منذ الأزل ، أسأل : ألا يناقض هذا الكلام اعتقادنا أنَّ الله هو الكائن الأزلي الحي الناطق ؟!

استعراض تاريخ الفكر المسيحي :

ما هو جواب آباء الكنيسة عن السُّؤال : من تقولون إنِّي أنا ؟

تمهيد : تعليق على (قصة الحضارة) لوُل ديورانت : يقول : إنَّ طريقتنا المعتادة في كتابة التَّاريخ مجزَّأ أقساماً منفصلة بعضها عن بعض ، وإنَّ التاريخ يجب أن يكتب عن كلِّ هذه الجوانب مجتمعة .

أُقدِّر هدفه تقديراً خاصّاً عندما يقول : « سيدهشنا أن نعلم كم اكتشافاً ضروريّاً لحياتنا اليوميَّة .. وما لنا من فلسفة ودين مردُّه إلى مصر والشَّرق » .

وأقدِّر إنصافه عندما يعلِّق قائلاً : « إنَّ التَّعصُّب الإقليمي .. لم يَعُد مجرَّد غلطة علميَّة ، بل ربَّما كان إخفاقاً ذريعاً في تصوير الواقع ، ونقصاً فاضحاً في ذكائه » .

بالرَّغم من ذلك كلِّه ، أشكُّ أن تأليف هذا الكتاب الذي يسمِّي وُل ديورانت نفسه مغامرة يستطيع أن يلبِّي كلَّ المتطلَّبات العلميَّة الَّتي تُفْرض عادة على مختص بموضوع واحد .

---

(١) كلا ، آدم من روح الله ، ولنا تعليق مفصَّل بعد الانتهاء من تقديم كل ما كتبه أو قاله السيد روديغر .

نحن نعرف أن ول ديورانت استهدف تبسيط التّاريخ والفلسفة[١] ، وأراد أن يؤلّف كتاباً موضوعاً لمستوى مستمعي محاضراته الّتي ألقاها في أمريكة ، والّتي كان معظم مستمعيها من العمال والنّساء[٢] الّذين يطلبون أن تكون المادّة التاريخيّة واضحة كل الوضوح ، في مثل هذه الحال ، لابدّ من الوقوع إلى بعض الأخطاء أو لكي أتكلم بلسان ول ديورانت « إلى الأخطاء الكثيرة الّتي ليس عنها محيص في هذا المشروع » ، خاصة في مجالات معقّدة كتاريخ الفكر المسيحي في القرون الأولى[٣] .

إنّه من اللافت للنّظر أنّنا نجد هذه الأعمال الجبّارة ، مثل قصة الحضارة ، أو قصة الفلسفة في أغلب الوقت بين الأمريكيّين .

مجلّد (المسيح والقيصر) كُتب سنة ١٩٤٤م ، في الوقت الّذي كان فيه ـ خاصّة في أمريكة ـ كثيرون من المفكّرين متأثّرون بمؤلّفات القرن التّاسع عشر اللاّهوتيّة ، مثل : Raimarius ، Venturini ، Schleiermacher ، Baur ، وبشكل خاص Dâniel Friedrich Straub ١٨٣٥م ، و Renan ١٨٤٩م الّذي كتب كتابه عن (حياة المسيح) هنا في سوريّة ، واستناداً إلى أن العلم يتجدّد الآن كل خمس سنوات[٤] ، أراه من المحتمل أنّه توجد مصادر أدق وأكثر علماً في نطاق موضوعنا .

---

(١) إن صحّ هذا ، التّبسيط فإنه لا يعني تقديم الخطأ ، ومجانبة الحقيقة ، ومع ذلك في مقدّمة المجلّد الأول من (قصة الحضارة) أسماء من راجع وصوّب من ذوي الاختصاص ، وجاء حرفيّاً : « سننتهز هذه الفرصة لندخل كلّ ما عساه نتلقّاه من تصحيحات يقدّمها النّقاد والأخصّائيون والقراء » ، ثمّ أورد قولاً نصّه : « لو كنت لأنتظر الكمال لما فرغت من كتابي إلى الأبد » .

(٢) لا ندري من أين جاء بها السيد روديغر ، وعلى الرغم من ذلك من العمال والنساء مثقفون أكثر من كثيرين ممّن يدّعون الثّقافة .

(٣) من أين جاء التّعقيد ؟ من التّحوّل إلى التّثليث في ألغازه وأسراره .

(٤) العلمُ يتجدّد ويتقدّم .. ولكن العقائد في أركانها ثابتة راسخة ، ومع ذلك رفضت الكنيسة الأناجيل المكتشفة حديثاً .

بينما وجَّه الإنجيليُّون متَّى ومرقس ولوقا أناجيلهم إلى اليهود الأميين (Gentrles) والرُّومان ، ووجَّه يوحنا كتابه إلى الأوساط المسيحيَّة نفسها وبدأ يناظر تيَّارات غير كتابيَّة بشكل خاص[1] .

الغنوصيُّون : آمنوا أنَّ الله لا يمكن له أن يأتي إلى المادَّة (أن يصير إنساناً) ، لأن المادَّة شرٌّ .

المسيح إله أصغر .

مناظرة الكنيسة مع اليهود : رأوا في ألوهيَّة المسيح تجديفاً ضد الله ، إلاَّ أنَّ الرُّسل لم يحاولوا أبداً ولا مرَّة واحدة أن يرفعوا يسوع الإنسان إلى درجة الألوهيَّة ، بل أعلنوا أنَّ (يهوا) نفسه ، الله في سلطانه ومجده صار لحماً ودماً (إنساناً) .

الخطر الَّذي كانت الكنيسة تواجهه لم يكن رفض ألوهية المسيح ، بل العكس ، إنَّهم كانوا ـ أي الوثنيُّون ـ قد اعتادوا على عبادة يسوع كواحد من الآلهة الَّذين تعمدوا لهم ، (لم يكن إنساناً حقيقيّاً)[2] .

في ضمن نطاق الكنيسة كان يوجد اتّجاهان :

١ ـ إلى جانب الاتجاه الأُرثوذكسي (ذي رأي مستقيم) .
٢ ـ الاتّجاه الذي رأى في يسوع الإنسان الَّذي اختاره الله ، وأسكن فيه روحه ، وانتصر هذا الإنسان على التَّجارب ، وثبَّته الله بقوَّة ، وجعله سيِّداً وربّاً ، مذهب التَّبنّي (أو المسيح المتبنَّى) .

المشكلة هنا ، الإنسان الَّذي أصبح إلهاً .

---

(١) كلام خطير جداً ، إنَّه اعتراف بأن الأناجيل من متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا (وجَّه كتابه) ، النَّصُّ الإلهي ثابت موجَّه للنَّاس كافة .

(٢) أنا أنقل هنا ما كتبه السَّيِّد روديغر حرفيّاً .

أغناطيوس [٣٥ ـ ١٠٧م] : أُسقف أنطاكية ، الكنيسة الَّتي أَسَّسها بطرس الَّذي علَّم أغناطيوس سبع رسائل أَهمها : (رسالة إلى رومة) ، حيث التَّشديد على حقيقة أن المسيح صار إنساناً حقيقيّاً ، كافح ضد الغنوصيَّة الَّتي أنكرت ناسوت المسيح ، واستطاع أن يتكلَّم عن ناسوت المسيح ولاهوته ، دون أن يمزجها مزيجاً كلِّيّاً .

الاتِّحاد الَّذي تمَّ في المسيح بين اللُّوغوس والسركس Sarx (اللحم) ، قبلاً اللاَّهوت والنَّاسوت كانا متَّحدَيْن ، وعلى صلة مستمرة الواحد مع الآخر ، [رسالة سميرنا ٢/٤] .

« المسيح يعطي المؤمن حياةً جديدة ، فهو يلاشي الحياة القديمة ، ويخلق في الإنسان عالماً جديداً » . [أَفَسُس ٤/٤][1] .

بوليكربس Polycarpe : [٦٩ ـ ١٥٦م] أُسقف أزمير ، تعرَّف على يوحنا وأغناطيوس ، رسالة إلى الفيلبيين : « يسوع المسيح جاء في الجسد » .

غرينايوس[2] Grenaus [١٣٠ ـ ١٩٥م] أُسقف ليون (في فرنسة) ، معروف كرجل المصالحة في الخصومة بين فيكتور من رومة ، والكنيسة في آسية .

كتابان في اللُّغة اللاَّتينيَّة :

١ ـ مشكلة الغنوصيَّة .

٢ ـ شرح التَّعليم الرَّسولي ، تكلَّم فيه عن الثَّالوث ، عن سقوط الإنسان ، عن التَّجسُّد والفداء .

يحتجُّ بشدَّة ضد أُولئك اللاَّهوتيِّين الَّذين يقدِّمون شروحات مطوَّلة ومفصَّلة حول أصل الابن ومصدره ووجوده ، كما لو كانوا حاضرين في يوم ميلاده ، يقول : لا يمكن

---

(١) لم أجد النَّص في [أَفَسُس ٤/٤] .

(٢) هكذا كتبها السَّيِّد روديغر .

وضعها لأنَّهـا تفوق كلَّ وصف ، « لا أحـد يعرف سرَّ ميلاد ابن الله إلاَّ الآب والابن » ، [Adv. Haar 11/28] .

التَّعليم الغنوصي :

أ ـ المسيح هو واحد من العوالم (Eous) أو الآلهة الَّتي خرجت من الإله الأسمى .
ب ـ المسيح هو مجرَّد من الطَّبيعة البشريَّة الخاضعة لقوَّة الطَّبيعة .

أريناوس يقـول : « بـل على العكس في المسيـح ، اللُّـوغـوس[1] صـار مثلنـا لكي يصيِّرنـا مثلـه ، ولكن في صيرورتـه مثلنـا لم يفقـد لاهوتـه ، بل ظلَّ هو نفس المسيـح الواحد » ، [Adv. Haar 19/3] .

« فإنَّ الله الَّذي سكن في الجسد لم يلاشِ ما في الجسد الَّذي سكن فيه من الصِّفـات المختصة به ، كذلك الجسد الَّـذي كان الله فيـه سـاكنـاً لم يلاشِ هـذا اللاَّهوت ، فهنـاك أفعال وتصرُّفات في شخص المسيح لا يمكن أن ننسبها لله » .

جـارتيوس Jartiu الشَّهيـد [١٠٠ ـ ١٦٥م] : من أبوين وثنيِّين ، التحق بمـدرسـة رواقيَّة ، ودرس فلسفـة الأكاديميِّين والفيثوغوريين ، تعمَّـد سنـة ١٣٠م ولم يترك لبـاس الفلاسفة ، وافتتح مدرسة في رومة ، أحد تلاميذه ترتُليان .

ثـلاثـة كتب الأهم[2] : (حـوار مـع طريفـون اليهـودي) ، (ثمَّ في أفسس لمـدة يومين) ، حاول تبرير عبـارة المسيح كإلـه[3] : « هو القنطرة الَّتي أُلقيت على الهـاوية الفاصلة بين الله والإنسـان » ، « انبثـاق الابن من الآب لا يعني أنَّ اللُّوغوس جرَّد الآب

---

(١) اللُّوغوس : Logos : العقل ، المبدأ العقلاني ، المسيح ، كلمة الله ، وهي الكون (في الفلسفـة اليونـانيَّـة القديمة) .
(٢) ننقل ما كتبه السَّيِّد روديغر حرفيّاً .
(٣) كتب السيد روديغر هنا : (الجزء الثَّاني) بشكل هامشي .

من لاهوته أو نزعه عنه » ، « فالكلمة الملفوظة لا تجرِّد الإنسان الّذي نطق بها من جوهره كإنسان كما لا تفقد الشّمس قوّتها من خلال شعاعها ، [حوار ٦١/٢ و ١٢٨/٤] .

« لا يمكن قطع أو فصل الشّمس على الأرض من الشّمس الّتي في السّماء » ، [Grillmeier 131] .

تِرتُليان Tertullian [١٦٠ ـ نحو ٢٢٠م] : ١٩٢م تجدَّد ، ذهب إلى رومة ، محامي مشهور ، له أكثر من ٢٥ عملاً (كتاباً) محفوظاً ، أهمها في موضوعنا : Contre Prateavs ، ضد المودالِيَّة Patrepatronison أو Madalism ، يقول : إن الآب نفسه نزل إلى أحشاء مريم ، الآب نفسه هو المسيح ، ويستعمل في هذا الكتاب للمرّة الأولى المصطلح (الثّالوث الأقدس) سنة ١٩٥م .

« هذه الوحدة مؤسَّسة على التَّمييز وليس على الانقسام ، أي إنه يجب التَّمييز بين الآب والابن والرُّوح القدس دون فصلها الواحد عن الآخر » ، [Adv. Prat] .

تعاليم بركسياس : المسيح هو الله الآب ، فالمسيح ما هو إلاّ مظهر من مظاهر الله » ، « هذا الإله الواحد ظهر في يسوع المسيح في هيئة إنسان » ، « هذا الآب هو الّذي تألّم »[1] ، [Adv. Prat] .

ترتليانس[2] : « هذه الوحدة هي وحدة الأقانيم » ، ويتكلّم عن الأُقنوم : « خروج الابن من الآب يشبه تماماً خروج شعاع الشّمس من الشّمس » كما الفرع هو ابن الجذع ... [Adv. Prat. 8] .

« إنّ الابن من نفس جوهر الآب ، وخارج منه » ، [Apologia 21/2] .

---

(١) الآب أي (الله) تألّم على الصّليب ، استغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) ترتليانس : هو تِرتُليان نفسه .

أكّد بشدّة على الحقيقة أنّ هؤلاء الثّلاثة من جوهر واحد ، « كلٌّ ما يوجد في هـذه الوحدة المثلّثة هو الانسجام والتّوافق والمحبّة » .

يدعو طبيعة العلاقة بين الجسد واللّوغوس (حالـة مزدوجـة) : Double Statuv ، . [Prat. 11] .

وفي هذا الاتحـاد الإلهي البشري ، اللّوغوس يسوع احْتفظت كلٌّ طبيعتـه بمميزاتهـا الخاصّة بها » [Prat. 27] .

« طبيعتان ، طبيعة إلهيّة وطبيعة بشريّة متّحدتـانِ بلا اختلاط كل أو امتزاج » ، . [Adv. Prat. 27] .

« بما أن المسيح كانت له روح مثل أرواحنـا ، وكان يتـألّم مثلنـا ، فقـد صرّح على الصّليب من شدّة ماعاناه في الصّلب » ، [De Resont Carne 40] .

بولس السّمَيْسَاطِي [أسقف أنطاكية ٢٦٠ ـ ٢٧٢ م] : كان كاتباً سيـاسيـاً مـاهراً ، واحتلّ مكانة عالية في مملكة زنوبيا الّتي عُرِفت بميلهـا الخـاص لليهود ، والّتي استهـدفت الانفصال عن رومة ، رأت في بولس أداةً سياسيّة فساعـدتـه بنفوذهـا على ارتقـاء كرسي الأُسقفيّـة في أنطـاكيـة ، وتمتّع بسلطـة روحيّـة وعـالميّـة ، وفي نفس الوقت أشرف على خزينة الملكة زنوبية وكان مستشاراً لها .

تعاليمه بعد ارتقائه [كرسي الأُسقفيّة في أنطاكية] :

اللّوغوس : قوّة غير شخصية ، وليس أُقنوماً ، مميّزاً عن الله .

في يوم المعمـوديّـة اتّحـد الله مـع هـذا اللّـوغـوس بـأيّ شكل مـا !؟ وهكـذا رفـع اللّوغوس كمكافأةٍ له ، وأعطاه اسماً فوق كلّ اسم .

« هذه الأقانيم ماهي إلاّ طرق قد انتحلها الله ليظهر نفسه في العالم » .

مشكلة : هذا يؤدِّي تلقائياً إلى وجود ابنين لله .

بولس لم يشتهر باعتقاده فقط ، بل بسوء السُّلوك أيضاً .

مجمع أنطاكية : ٢٦٨م ، حضره ٧٠ ـ ٨٠ مندوباً ، وطرح عليه (مركيون) أسئلـه واستطاع بذلك أن يبيِّن أخطاءه اللاَّهوتيَّة ، فحُكِم عليه ، إلاَّ أنَّه بقي بدعم من زنوبية على كرسي الأُسقفيَّة إلى موتها ، فأنهى أوريليان Aurelian سلطته .

لوكيانس Luccian : أسس المدرسة الأنطـاكيـة بعـد ٢٦٠م ، ودرَّس فيهـا تعـاليم بولس السُّمَيْساطي تمامـاً ، ولوكيـانس نفسـه المصـدر والينبوع الوحيـد لآريوس ، حتَّى سمَّى آريوس نفسـه : (آريوس اللوكيـانوسي) ، وآريـوس درَّس تعـاليم لـوكيـانس ، إذن : تعـاليم آريـوس ليست من مصر ، بـل وُلِـدَت في أنطـاكيـة ، وظهرت بعـد ذلـك في الإسكندريَّة[1] .

كلام عن تاريخ الفكر المسيحي :

نأتي إلى آريوس ، من ليبيا ، كان خطيباً رائعـاً وشـاعراً مشهوراً ، أَلَّف الكثير من التَّرانيم المسيحيَّة ، وجذب كثيراً من النَّاس إليه بأسلوب وعظه ، درس في أنطاكية عند توتيانوس ، ثمَّ انتقل إلى الإسكندريَّة وكافح هناك ضد تعاليم سيبريوس ، الَّذي كافحت ضده أيضاً كنيسة الإسكندريَّة ، أي الكنيسة المصريَّة الأرثوذكسيَّة ، وجعل بوجه عـام الكثيرين أتباعه في كفاحه القوي ضد سيبريوس ، ولكن بدأ بعـد ذلـك يهـاجم عقيـدة أثريـة الابن وانبثـاق جوهره من الآب ، إذن إن هـذا الاعتقـاد يـؤدِّي إلى (السَّلبيَّـة) تعاليم الطَّبيعة الواحدة .

أوَّلاً : وجود الابن سبق خلق العالم ، مع ذلك فهو ليس أزليّاً .

ثانيـاً : الآب قرَّر بـأن الابن يسلـك في طريق الصُّراخ ، ولهـذا فقـد منحـه مجـداً إلهياً .

---

(١) هنا تنتهي الصفحات التي كتبها السيد روديغر بخط يده بالعربيَّة ، لنبدأ بشريط سجَّله بصوته .

الإسكندر ـ أُسقف الإسكندريَّة ـ ناقش آريوس ، وحينما لم يرد هذا أن يتراجع عن اعتقاده ، عقد الإسكندر مجمعاً في ٣٢٠م ، بحضور مئة أُسقف ، ومن أُولئك الأَساقفة لم يتّبع أحدٌ رأي آريوس إلا الأُسقف تيوباس وزكينوس ، فُصِلَ آريوس من خدمته سنة ٣٢٠م ، وحينما صدر هذا الحكم ، لم يجد آريوس في الإسكندريَّة إلا حفنة من النَّاس الذين اعتنقوا تعاليمه .

شرح آريوس لأُوسيب أُوتيانوس موقفه ، ونصح له أن يقابل أُسقف نيقوميديا ، ويرسل رسائل إلى الأَساقفة ، وأُوسيب نفسه كتب رسائل كثيرة ، ودعا إلى مجمع جديد لتدارس هذا الأمر ، أشرف على هذا المجمع صديق آريوس ، أُسقف نيقوميديا [يوسبيوس] ، وفوق ذلك كانت العلاقات بينه وبين الكنيسة المصريَّة سيئة ، هذان الأَمران لا يُسمح لنا أن نهملها في مسأَلة آريوس .

لعب على كلّ حال الإسكندر والكنيسة المصريَّة دوراً هاماً ، اللَّذان رفضا حكم المجمع [الَّذي أَعاد آريوس إلى الكنيسة] ، ولذلك انفصل آريوس وأَتباعه عن الكنيسة ، ثم استقرَّ آريوس في نيقوميديا وكتب كتاباً ، وهنا تقول : اتَّسعت شقَّة الخلاف ، وحاول كلا الجانبين أن يجذب إليه العدد الأكبر عن طريق الرَّسائل والخطابات أو الشُّروح ، وبعد معركة كريستوبلس ٣٢٣ ـ ٣٢٤م وصلت المملكة الرُّومانية إلى حالة من السَّلام ، وفي مثل هذه الحال بدأت التَّوترات في الكنيسة أَن تهدد وحدة الإمبراطوريَّة ، حيث الأَحزاب تكافح بعضها ضد بعض ، فخاف قسطنطين على وحدة الإمبراطوريَّة ، واستشعر الأُسقف هوستيوس ، واتفق قسطنطين أَن يكتب إلى كلّ واحد من الحزبَيْن رسالة شخصية ، وسافر هوستيوس واجتمع بالحزبَيْن ، وحصل على صورة شاملة ، وفي هذا الحين وُلِد الاقتراح لعقد مجمع مسكوني ، مجمع نيقاوي سنة ٣٢٥م .

أَثناسيوس يقول إن عدد الأَساقفة ٣١٨ ، وهرنك يقول ٢٥٠ ـ ٣٠٠ ، والأَغلبيَّة

من الشَّرق ، ومن الغرب ٤ أو ٥ فقط ، واحد من إسبانية ، وآخر من فرنسة ، واثنان من رومة .

نرى في الجمع النيقاوي ونجد ثلاثة أحزاب ، الحزب المصري وهو أغلبية برئاسة الإسكندر ، ثم الحزب الآريوسي وهو أقلِّيَّة ولكنه متحمِّس ومعه أسقف نيقوميديا ، والحزب الحايد ، يعني حزب أوريغينس .

ناقش المجتمعون تعاليم آريوس ، فاتَّهم المجمع آريوس بالهرطقة ، واقترح القانون الإيماني ، إلاَّ أن المجمع رفض بقرار الإجماع هذا القانون ، قانون الإيمان ، وتغيَّر الوضع في ذلك الحين ، أي رفض المجمع إدانة تعاليم آريوس ، أي المحتوى في ذلك القانون ، وبعضهم يظن أن أثناسيوس لم يحضر ، وأن الأساقفة وحدهم اتخذوا القرارات ، حسب بعض المراجع ، وبعضهم الآخر يقول أثناسيوس لعب دوراً في الخلفية حسب [بونيڤاس ٤٣/٢ ـ ٤٥] .

لقدرة العلم على الانتصار ، انضمَّت أغلبيَّة الحزب الآريوسي إلى الحزب الأوريغيني الحايد .

أوسيب قرَّر أن يتكلَّم الكلمة الأخيرة ، ويطرح قانون الإيمان الَّذي نال قبول كل المشتركين في المجمع تقريباً ، إلاَّ أنَّه ظهرت بعض المناقشة مع الحزب المصري ، حول بعض الأخطاء اللاَّهوتيَّة الَّتي تضمَّنها ذلك القانون ، هنا أتى الحزب المصري وعلى رأسه أثناسيوس ونقَّح هذا القانون ، ولكن لم يقدِّم قانوناً جديداً ، بل قدَّم تنقيحاً لاهوتيَّاً للقانون الَّذي اقترحه أوسيب .

قام الآريوسيون ضد مصطلح أن الابن مساوٍ بالآب في الجوهر ، وزعموا أن لا وجود لهذا المصطلح في الكتاب المقدَّس ، صحيح أنَّه غير موجود في الكتاب المقدس ، بغض النَّظر عن [رسالة بولس إلى أهل فيلبِّي ٦/٢] : « الَّذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله » .

لا نجده لفظيّاً ، ولكنه محتوى معنوياً .

ونصُّ القانون هو من يظن أنَّه كان زمن لم يوجد فيه ابن ، وأنـه لم يكن لـه وجود قبل أن وُلِدَ ، أو ابن الله مخلوق ، أو قابل للتَّغيير أو متغيِّر فهم خارج الكنيسة الجامعـة الأُصولية .

مشتركـو المجمـع وافقـوا على هـذا النَّص ، حتَّى الآريـوسيـون أنفسهم ، بـاستثنـاء اسقفَيْن مصريَّين تينس وسيكـولس ، وحُكِمَ على تعـاليم آريـوس ، وخـوفـاً على وحـدة الامبراطوريَّة الَّتي سعى إليها قسطنطين ، أمر بإحراق أعمال آريوس ، ولكن المشكلة لم تحل بشكل نهائي ، وظلت نبوَّة سمعان الشَّيخ نـافـذة المفعول ، حسب [لوقـا ٢/٣٤] : « وباركهما سمعان وقـال لمريم أمـه إنَّ هـذا قـد وُضِع لسقوط وقيـام كثيرين في إسرائيل ولعلامةٍ تُقَاوَم » .

تعاليم آريوس : رأى آريوس أنَّ الآب عظيمٌ بعيد كل البعد عن البشر ، والله الَّذي أراد الاقتراب من الخَلْق ، خَلَقَ الكلمة يسوع الَّـذي أصبح عن طريق مثـابراتـه وسعيـه نحو الكمـال إلهـاً ، بـدرجـة اللاَّهوت بـالتَّبنِّي ، وآمن آريوس أن الابن في أسمى مكان ، ووصل إلى أعلى درجات الارتفاع ، « لكي تجثو باسْم يسوع كلُّ ركبـة ممَّن في السَّماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كلُّ لسـانٍ أنَّ يسوع المسيح هـو ربٌّ لمجـد الله الآب » ، [رسالة بولس إلى أهل فيلبِّي ٢/١٠ و ١١] ، إلاَّ أنَّ كلَّ هذه مـاهي إلاَّ هبـة أو عطيَّة من الله الآب إلى الابن ، لأنَّه هكذا مسرَّة الله .

ولقد وصل آريوس إلى درجة القول بأنَّه يمكن أن تقول إنَّ الابن هو الله ، أو إله .

ويبدو كأنَّه يوجد تناقض ، في الحقيقة لا يوجد تناقض ، في تعاليم آريوس ، ربمـا هنا تكمن المشكلة ، يمكن أن تقول إنَّ الابن هو الإلـه حسب آريوس ، ولكن ليس لأنَّـه عظيم وسام ، وإلى منذ الأزل ولأنه نفسه مصدر كلِّ سمو ، وعظيم وسلطـان ، لأن الآب الَّذي خلقه وجعله بكْر كل الخليقة قد منحه هذه العظمة والسُّلطـان ، الابن يصير ابنـاً

شرعيّاً ووارثاً له ، ولكنـه يختلف عن الآب في الجوهر ، « سمعتم أنّي قلت لكم أنـا أذهب ثمّ آتي إليكم ، لو كنتم تحبُّونني لكنتم تفرحـون لأنّي قلت أمضي إلى الآب ، لأنّ أبي أعظم منّي » [يوحنا ٢٨/١٤] .

الخطأ الّذي وقع فيه آريوس ، والّذي وقع فيـه الكثيرون هو أنّـه عـدّ الآيـات الّتي تتكلّم عن يسوع الابن ، كما لو كانت تتكلّم عن شخص الابن كلّيّاً وجزئيّاً ، ولقـد غـاب عنـه أن هـذا الإنسـان الّـذي تـألّم هو نفسـه الّـذي يقول عنـه يـوحنـا « في البـدء كان الكلمة » .

الآيات الّتي سُمّي الابن فيها بأسماء الله كثيرة وعديدة ، وذكرنا بعضها .

الطّبيب والمؤرّخ (لوقا) يكتب في كتـابـه [أعمـال الرّسل ٢٨/٢٠] : « احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرّعيّة الّتي أقامكم الرّوح القدس فيهـا أسـاقفـةً لترعوا كنيسـة الله الّتي اقتناها بدمه » .

« وعن الملائكة يقول : الصّانع ملائكته رياحـاً ، وخـدّامـه لهيب نـار ، وأمّـا عن الابن كرسيُّك يا اللهُ إلى دهر الدُّهور » ، [رسالة إلى العبرانيين ٨/١] .

« ونحن في الحقّ في ابنـه يسوع المسيح ، هـذا هو الإلـه الحقّ والحيـاة الأبـديّـة » ، [رسالة يوحنا الأولى ٢٠/٥] .

الله بعدما أن كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلّمنا في هـذه الأيّـام الأخيرة بابنه الّذي جعله وارثاً لكلّ شيء ، والّذي به أيضاً عمل العـالمين الـذي هو بهـاء مجـده ورسم جوهره ، وحـامل كل الأشيـاء بكلمـة قـدرتـه بعـدمـا سمح بنفسـه تكفيراً لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الأعالي .

مما لا شك فيه أنّ ابن الإنسان يسوع المسيح النّاسوت ، محدود العلم ، وينمو ويكبر كما ينمـو أي طفـل آخر حسب [لـوقـا ٥٢/٢] : « وأمّـا يسـوع فكان يتقـدّم في الحكمـة

والقامة ، والنّعمة عند الله والنّاس » ، « وأمّا ذلك اليوم وتلك السّاعة فلا يعلم بها أحدٌ ولا الملائكة الّذين في السّماء ولا الابن إلاّ الأب » [مرقس ٣٢/١٣] .

ولم يكن مجرّد يسوع النّاصري ، بل كان الكلمة المتجسّدة في الوقت نفسه ، الّتي من ذات الله ، والّتي هي الله نفسه ، وهذا هو السّر العظيم الّذي يقاوم كل إدراك ، وهنا يبدأ الإيمان ، وكلّ ما رآه آريوس هو الجسد ، والجسد فقط .

يقول يسوع : « كلُّ شيء قد دفع إليَّ من أبي ، وليس أحدٌ يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » [متى ٢٧/١١] .

« طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إنّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكنّ أبي الّذي في السّموات » [متّى ١٧/١٦] ، وتوجد آية أُخرى لا أعرف مكانها في الكتاب المقدّس : « لا أحد يأتي إن لم يسجنه أو يعذبه الآب »[1] .

وللإيضاح يُزعم أننا ننسب لله ولادة تنازليّة ، وحاشا لله ، ليست هذه النبوّة نبوّة جسدية ، بل نبوّة روحانيّة فعليّة ذاتيّة .

يقال : العقل يلد الأفكار ، فهل معنى هذا أن العقل تزوّج ؟ والولادة من الثّالوث الأقدس لا يوجد فيها انفصال ، الابن يخرج من الآب دون أن ينفصل عنه ، ويخرج منه ويظل فيه ، وكما الفكرة تخرج من العقل ، ومازالت فيه ، كذلك الكلمة ، الكلمة كابن الأصفياء ، ابن الشّفاء ، ويقال أيضاً ابن مصر ، وابن النّيل ، ولكن لا أحد يقول إن معنى هذا أن مصر تزوّجت ، أو أن النّيل تزوّج ، وفي الحديث : « الأغنياء وكلائي ، والفقراء عيالي » ، وهل يقصد الحديث هنا ويعني علاقة جسديّة ، طبعاً لا ، وإنّما قال آريوس الابن مخلوق لأنّه لم يفهم أن الابن المقصود به عقل العقل ، كما

(١) لم نعثر عليها في فهرس الكتاب المقدّس ، في [يوحنا ٥٦/٦] : « قلت لكم إنّه لا يقدر أحدٌ أن يأتي إليّ إن لم يُعْطَ من أبي » .

وصف الغزالي الأُقنوم الثَّاني في كتابه [الرَّدُّ الجميل ٤٣][(١)] : « ذات عاقلة لذاته » ، فإن الله كان فترة من الزَّمن وهو الخالق غير عاقل ، أو دون عقل عاقل ، وحاشا لله ، وروح القدس هو حياة الله ، كيف إذن يكون الله حيّاً قبل خلق هذه الرُّوح ، لا يمكن الفصل بين الشَّمس وبهاء نورها ، وكما يبقى لهب النَّار الَّذي ينوِّر أوَّلاً ، وثانيـاً يعطي حرارة ، يبقى دائماً لهباً واحداً .

أبو بكر محمد بن الطَّيب الباقلاَّني ، قال : إذا انعمنا النَّظر في قول النَّصارى إن الله جوهر واحد في ثلاثة أقانيم ، لا نجد بيننـا وبينهم اختلافـاً كبيراً إلاَّ في اللَّفـظ ، [شمس القواعد ٥][(٢)] .

الشيخ محي الدين بن عربي في [فصوص الحكم ٣٥/٢][(٣)] يقول : « الكلمـة هي الله متجليّـاً ، وهي عين الـذات الإلهيــة لا غيرهـــا » ، وفي سـورة [البقرة : ٢١٥/٢] ذُكر ابن السَّبيل ، الَّذي سُمِّي بهـذا الاسم لمشيـه المستمر غير المنقطع ، وكـذلـك (ابن الله) ملازم الأب بشكل دائم .

والإمام مالك يقول في تفسير الآيـة الخـامسـة من [سورة طـه] : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى ﴾ : الاستواء غير معقول ، والكيف غير معقول ، والسُّؤال عنه بدعة[(٤)] .

---

(١) كتاب الغزالي (الرَّدُّ الجميل على من غيَّر التَّوراة والإنجيل) .

(٢) لم نجد كتاباً للبـاقلاني بهذا العنوان ، لقـد أورد سيـد صقر في مقـدِّمـة تحقيق (إعجـاز القرآن) تسعـة وخمسين كتاباً للقاضي البـاقلاني ، ليس بينهـا هـذا العنوان ، ولم نجـد الكتـاب للبـاقلاني ولا لغيره لا في كشف الظنون ، ولا في الذيل عليه .

(٣) لم يذكر الطبعة للتَّحقُّق من النَّص ، ومع ذلك عدت إلى كتاب (شرح فصوص الحكم) طبعة ١٩٨٥ م ، مطبعـة زيـد بن ثـابت ، دمشـق ، فـوجـدت ص ٢٣٣ : « فهـو كلمـة الله ، وهـو روح الله ، وهـو عبد الله » ، وفي ص ٢٣٤ : « فالموجودات كلُّها كلمات الله الَّتي لا تنفد ، فإنها عن كن ، و (كن) كلمة الله .

(٤) وصواب هذا : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسُّؤال عنه بدعة » ، والضَّمير عائد إلى الكيف .

وكم حريٌّ السُّؤال عن صلاة الله الأُقنوميَّـة في ذاتـه ؟ من يحوِّل الكـلام عن الـذَّات والأَقانيم إلى عمليَّة حسابيَّة لا يفهم شيئاً عن هذا الأَمر ، ولا توجد عمليَّات حسـابيَّـة عن الله ، وفق ذلـك لا تقـول واحـد + واحـد + واحـد ، بـل واحـد في واحـد في واحـد ، ويسوع قال إن فيَّ الأَب ، والأَب فيَّ[1] .

استأنف الحزب الآريوسي نشاطـه من جـديـد ، مستغلاً كل الوسـائل للوصول إلى نشر تعاليه ، ويرجع السَّبب إلى نفوذ (هيلينا) أُم الإمبراطور ، وإلى أُخت قسطنطين وحـاشيتها ، لأَنَّهم كانـوا آريـوسيين ، أَقنعت (هيلينـا) قسطنطين أن آريوس وأَتباعه لا يستحقُّون هذا الحكم القاسي .

كما بدأ أُسقف نيقوميديا يهاجم تعاليم المجمع النيقاوي بشكل غير مباشر ، وكان لديه تأثير قوي على الحاشية الإمبراطوريَّة ، وبدأ يستغل بعض الأَشخاص المهمِّين ، وخاصَّـة أُخت قسطنطين لإثبات براءة آريوس ، وإعادته إلى منصبه ، وأَصـدر بعض الأَسـاقفـة الأَصدقاء نصّاً جديـداً لقـانون الإيمـان ، الَّـذي يـدل ظـاهره على الأَرثوذكسيَّـة ، وأَمر القيصر بإعادة آريوس إلى الكنيسة .

إسكندر ، أُسقف الإسكندريَّة كان قد رحل إلى عالم الأَبديَّـة ، وخلفـه أَثنـاسيوس الَّذي رُسِّم أُسقفاً في سنـة ٣٢٨م ، وكان محبوبـاً عنـد الشَّعب ، ولكنـه وجـد حفنـة من الكهنـة من زمن الإسكنـدر ، الَّـذين لم يوافقوا على رسـالتـه ، وعلى رأسهم ملاتيوس ، ووفق ذلك ، تدخلت عناصر أَجنبيَّة في المقاومة ضد الأَسقف الجديد .

وأُوسيب من نيقوميديا ، رأى في أَثناسيوس خصماً قويّاً يجب التَّخلُّص منه ، وظنَّ أَنَّ ارتقـاء أَثنـاسيوس لعرش أُسقفيَّـة الإسكنـدريَّـة يعني القضـاء العـاجل والمؤكَّـد على

---

(١) لاتوحيد ، ويبقى التثليث ثلاثة : واحد داخل واحد داخل واحد ..

الآريوسيَّة ، لذلك أثار الفتنة ، وكوَّن الأحزاب ، وأشعل النَّار بين أثناسيوس وبين بعض الكهنة المصريِّين عن طريق اتهامات مختلفة ، مثل :

١ ـ فَرْضُ أثناسيوس الضَّرائب على المؤمنين .

٢ ـ وأن أثناسيوس قتل أرسينوس .

ولكنه دُعي إلى القيصر وأظهر براءته ، وهذا يعني فشل هذه المحاولة ، وعُقِد مجمع صور ٣٣٥م ، لدراسة أمر آريوس ، وأتى أثناسيوس بجشمه وبوصفه أُسقفاً ، ولكنه مُنِع من الدُّخول بحجَّة أن الوفد المصري غير مدعوٍّ للاشتراك في أعمال المجمع .

وحرص المجمع في الواقع أن يتَّهم أثناسيوس بقتل أرسينوس ، مع أن أثناسيوس أرسل نفسه إلى المجمع لكي يبرهن على براءته ، ولكن المجمع واصل اختراع الاتِّهامات ضد أثناسيوس ، حتَّى ذهب هذا إلى القيصر ليرفع دعوته إليه ، فاستغل المجمع هذه الفرصة ، وحكم عليه أثناء غيابه ، وأعادوا آريوس إلى منصبه .

طلب القيصر وفداً من صور ، أُوسيب وخمسة آخرين ، وهم الَّذين قالوا إن أثناسيوس هدد بعدم تصدير القمح من الإسكندريَّة إلى القسطنطينيَّة ، الأمر الَّذي أغاظ الإمبراطور ، وفوق ذلك عرف أن هذا الرَّجل يحاول فصل السُّلطة الرُّوحية عن السُّلطة العالميَّة ، ولذلك صدَّق ما قيل ، ووافق قسطنطين على حكم مجمع صور ، وخلع أثناسيوس ونفاه ، وأعاد أتيوس إلى مكانه ، هذا يعني انتصار آريوس والآريوسيَّة ، ونُصِّب ككاهن في القدس ، لأن الكنيسة المصريَّة رفضت القرار ، وهناك بقي إلى موته سنة ٣٣١م ، ومات بمرض (الدِّيزانطاريَّة) ، وبعد خمس سنوات مات قسطنطين أيضاً ، وتولَّى قسطنطين الثَّاني حكم الغرب ، وأصدر القرار بإعادة كلِّ الأساقفة المنفيِّين .

جاء في [إتناس ٢٥] أنَّ قسطنطين الثاني كان صاحب المصادرة ، فأحدث إثارة شغب واضطرابات في الأجزاء الَّتي كان يحكمها إخوة قسطنطينوس في الشَّرق .

وبعد عودة أثناسيوس مباشرة بدأ أوسيب نيقوميديا من جديد في تدبير المؤامرات ضد أثناسيوس ، وعلى رأس المعارضين أوسيب نيقوميديا ، فكتب رسائل إلى الأساقفة ، وإلى رومة ، يدّعي فيها أنّ الشّعب المصري لا يرغب في عودة أثناسيوس مرّة أخرى .

واتّهم أثناسيوس مرّة أخرى بمنع توزيع القمح ، وأساقفة مصريّون اجتمعوا في السّنة نفسها وأظهروا تأييدهم الكامل لأثناسيوس وابتهاجهم بعودته .

كانت ردّة الفعل في رومة ، الدّعوة لعقد مجمع مسكوني في رومة ذاتها ، إلاّ أن الآريوسيّين رفضوا هذا الاقتراح ، وقالوا : إنّ القضيّة قضيّة شرقيّة سبق أن صدر بشأنها حكم من مجمع شرقي ، وفي مثل هذا الشّكل استمرت الخصومة خمس مرات .

كان أثناسيوس في المنفى ، والجريمة الوحيدة الّتي ارتكبها هي دفاعه عن أزليّة الابن ، مثلاً ست سنوات ، من سنة ٣٥٥م إلى ٣٦١م ، في المنفى الرّابع ، ولقد عيّن الإمبراطور أحد موّظفي الماليّة أسقفاً بدل أثناسيوس ، مما سبب هجر الشعب للكنيسة الّتي كان يصلّي فيها الأسقف الجديد ، مما أغاظ الأسقف ، فطلب من الشّرَطَة (البوليس) إحضار الّذين ذهبوا إلى الصّحارى والمقابر للقيام بالصّلاة فيها ، وحاصرت الشّرطة الكنيسة والمقابر ، وقَبَضَت على مئات من النّاس ، وأُلقي بهم في السّجون .

وتؤكّد المصادر أن أثناسيوس أثناء إقامته في الإسكندريّة بين فترات في المنفى ، وفي الصّحراء ، كان دائماً يميل إلى مدّ يد المصالحة إلى الآريوسيين ، وأثناسيوس نفسه لم يَرَ اليوم الّذي عقد فيه المجمع المسكوني في القسطنطينيّة سنة ٣٨١م ، [توفي] قبل ذلك سنة ٣٧٣م ، وهذا المجمع ـ مجمع القسطنطينيّة ـ قبل القانون النيقاوي ، وأضاف بعض الإضافات حول روح القدس ، روح القدس الرّب المنبثق من الآب .

وهذا الاستعراض من التّاريخ الكنسي في القرون الأولى ، يظهر لنا أن القول بأنّ الثّالوث المقدّس مفروض على المسيحيّة قسراً ، بعيد عن الحقائق التّاريخيّة الموجودة في المصادر الموجودة بين أيدينا .

طفولة المسيح :

عن قضيّة طفولة المسيح ، الإنجيليُّون يسدلون ستاراً حول طفولة المسيح ، يكاد يكون ستاراً كثيفاً ، ومتّى لا يتكلّم عن طفولة يسوع ، بل يصف الجوّ الّذي وُلِدَ فيه هذا الطّفل ، ولوقا مثلاً يذكر حادثة الختان وتطهير الأم ، ثم يقول : « وكان الصّبيُّ ينمو ويتقوّى بالرُّوح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه » [لوقا ٢/٤٠] ، وفي [لوقا ٢/٥١ و ٥٢] : « ثمَّ نزل معهما وجاء إلى النّاصرة وكان خاضعاً لهما ، وكانت أُمّه تحفظ جميع هذه الأُمور في قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدّم في الحكمة والقامة والنِّعمة عند الله والنّاس » .

واليهود قالوا عنه : « أليس هذا ابن النّجّار ، أليست أُمّه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا ..» [متّى ١٣/٥٥] ، وفي [الرِّسالة إلى العبرانيّين ٢/١٧] : « مِنْ ثمَّ كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كلِّ شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنةٍ أميناً في ما لله حتّى يكفِّر خطايا الشّعب » .

ولقد اندهش الكثير من الكُتّاب من صمت العهد الجديد عن الإفضاء بمزيد عن حياة يسوع ، ونسأل هنا كيف كان يعمل ويتصرّف ؟ هل كان يذهب إلى المدرسة .. إلخ ؟ ولكن هم الرُّسل والإنجيليين أن يجيبوا عن هذه الأَسئلة والأُمور الّتي تهم علم النّفس والاجتماع .. إلخ ، ولا تشغل عند كُتّاب العهد الجديد إلاّ حيِّزاً صغيراً جداً جداً على الهامش ، بل كان هدفهم أن يشرحوا لنا أن يسوع النّاصري الّذي وُلِدَ من مريم العذراء ، ويسوع المسيح المنتظر الّذي يخلِّص العالم من خطاياه ، وهدف الأَناجيل تبيان حقيقة روحيّة هامّة منذ القرن الثّاني الميلادي إلى القرن الخامس ظهرت عدّة أناجيل ورسائل نسبها المؤلّفون إلى بعض التّلاميذ والرُّسل لكي يسهل توزيعها وانتشارها ، وتسمّى الكتب الأَبكروفيّة ، أو الأَناجيل المزيّفة ، الّتي حاولت من الخيال أن تملأ الفراغ الّذي تركته الأَناجيل .

وهذه القصص أصبحت تسلية المسافرين ، ولأغراض تجاريَّة وسياسيَّة ، وكانوا يقصُّون بعضها في هذه السَّفرات الطَّويلة ، مع قصص تصف لنا طفولة المسيح ، فالمعجزات كانت تصحبه أينما حلَّت أخبار أصدقائه عن الأسرار ، والأساطير تكوِّن أساطير .. إلخ ، وانتشرت وذاعت بين النَّاس ، فالإنجيليون فضَّلوا على العكس ، الصَّمت بشأن هذه القضيَّة الثَّانوية ، وهذه القصص نُسِبَت إلى التَّلاميذ والرُّسل ، حتَّى تستطيع عن طريق هذه العناوين أن تدخل إلى الكنيسة فتُقرأ وتدرس وتقبل كأناجيل قانونية رسوليَّة ، كإنجيل توما ، وإنجيل يعقوب ، وإنجيل المصرِّيين ، وإنجيل يوسف النَّجَّار ، والإنجيل العربي ، وإنجيل بطرس ، وإنجيل يوحنا .. إلخ ، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ تعاليم الغنوصيَّة تسيطر على كثير من هذه الأناجيل ، وكما هو معروف أنَّ تعاليم الغنوسيَّة تنكر ناسوت المسيح ، لذلك فهي لا ترى إنساناً حقيقيّاً ، بل هيئة إنسان كان يأكل ويشرب وينام ، متظاهراً ذات هيئة بشريَّة غير حقيقيَّة ، ولقد شبَّهوا جسد يسوع بالنُّور أو شعاع الشَّمس ، فإنَّ النُّور أو شعاع الشَّمس يمكن لهما أن يخترقا لوحاً من الزُّجاج دون أن يكسر هذه اللَّوحة ، وهذا ما حدث لمريم العذراء الَّتي احتفظت بعذريتها ، وهذا ما حدث ليسوع في حادثة موته ، فالمسيح لا يمكن أن يموت ، لأنه غير قابل في حال من الأحوال للآلام ، فقد رفض الغنوسيُّون المسمون (بالعارفين) عقيدة الصَّلب ، لأنَّها لا تتَّفق مع لاهوت المسيح ، ولكي يفسِّروا هذه القضيَّة يقتبس الكثيرون منهم قصة سمعان القيرواني [لوقا ٢٣/٢٦ و ٢٧] : « ولَّما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانيّاً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصَّليب ليحمله خلف يسوع ، وتبعه جمهور كثير من الشَّعب والنِّساء اللَّواتي كنَّ يلطمن أيضاً وينحن عليه » ، ولكن ليس من الإنجيل بل من الأناجيل المزيَّفة الَّتي تجعل من سمعان القيرواني الشَّخص الَّذي أخذ مظهر يسوع النَّاصري وهيئته .

وتقرأ في إنجيل يوحنا المزيَّف : لست أنا يسوع المعلَّق على الصَّليب ، ولكن

الإنجيليّين كان همهم أن يقدّموا أن يسوع هو المسيح ، هم غير باحثين عن يسوع حسب الجسد كما هو مذكور في الرّسالة الثّانية إلى أهل كورنثوس [١٦/٢٥][1] .

إذن نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد ، وإن كنّا عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن لا نعرفه بعد ، وما سبق أن قلناه لا يعني بأيّ حال من الأحوال عدم البحث والتّنقيب في التّاريخ ، وما في العلوم المختلفة ، عمّا يقوله التّاريخ والعلوم عن يسوع .

وهذه الكتب على الرّغم من أخطائها الكبيرة مفيدة لفهم التّيارات المختلفة الّتي كانت تواجهها الكنيسة في القرون الأُولى .

ولتوضيح مشكلة وصف الطّفولة في الأناجيل ، عندما نجتمع لكي نتكلّم عن أُمور دينيّة أو تاريخيّة لا نتكلّم عن أسعار الخضر والفواكه ، لأنّها لا تهمنا ، وأيضاً الله يتكلم بما ينفعني ، أو بما ينفع النّاس ، ويأخذ الأهم ، هو أظهر لنا في العهد القديم بكل وضوح أن لا أحد طبّق النّاموس الإلهي تطبيقاً كاملاً لأن فطرتنا غير مسلمة ، غرائزنا وشهواتنا تجذبنا ، تسحبنا دوماً إلى الأسفل ، إلى مخالفة النّاموس ، والمسيح صابر ، وقال : « لا تظنّوا أنّي جئتُ لأنقض النّاموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأُكمّل » [متى ١٧/٥] ، يعني ليطبّق النّاموس الإلهي تطبيقاً كاملاً ، يعني من البداية إلى النّهاية ، ولذلك لا يهمّنا ما شرب ، وكيف نام ، بل نسأل الله رسم قانون طبيعي ، وإذا جاء بالجسد ، فمن المفروض عليه أن يلتزم به ، ويهمنا في هذا المجال هل جابه كطفل وقته حسب النّاموس ، وقدّم في الهيكل حسب النّاموس ، ثم كَبُرَ كطفل عادي ، خضع لوالديه ، يعني طبّق النّاموس هنا أيضاً ، ولا نريد أن نعرف أكثر .

---

(١) الإشارة هنا خطأ ، ونظنها : الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس [١٠/٤] : « حاملين في الجسد كلّ حين إماتة الرّبّ يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا ، [١١] لأننا نحن الأحياء نسلّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت » .

ولم يأت ليتظاهر بل جاء ليقوم بمهمّة ، لم تفهم ماريا ، أو لم تدرك ماريا ذلك عندما وجدته في الهيكل ، عندما كان في السّنة الثانية عشرة ، أي الخضوع تحت النّاموس ليكمّله ، ولا نسأل ماذا فعل بين سنة ١٢ وسنة ٣٠ ، يكفينا أنّه اشتغل نجّاراً ، وعمل بيديه حسب النّاموس ، حسب التّوراة : ستأكل خبزك بعمل يديك .

ولا يوجد في الأناجيل أيُّ وصف عن طفولة المسيح وشبابه ، إلا ما يهمنا لخلاصنا ، فعندما أذهب إلى مكتب كي أحصل على إذن للسّفر ، لا يهمني ماذا يفعل الموظّف في وقت فراغه ، أيبيع الخضر أم لا ، بل يهمّني هنا عنده تذكرة أم لا ، إذن أم لا ، وهل يستطيع أن يعطيني إذناً للسّفر أم لا .

وهكذا الإنجيل لا يذكر ثانويات ، بل يطرق إخلاء الذّات ، يسوع قال : « إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » [متى ٢٤/١٦] ، وهو الوحيد الّذي يستطيع أن يطلب منا ذلك ، لأنّه نفسه طبّق ما قاله وأنكر نفسه ، وأخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس ، وإذا وُجِد في الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتّى الموت ، موت الصليب .

وهنا نصل إلى سؤال : ما معنى الآية المذكورة مراراً : « إيلي إيلي لِما شبقتني ، أي إلهي إلهي لماذا تركتني » [متى ٤٦/٢٧] ؟ من المهم أن نكون واعين إلى أنّ عمليّة النّيابة الّتي قام بها المسيح لم تكن عمليّة تمثيليّة ، الغرض من هذا الموت هو أن يأخذ يسوع مكاننا كخطاة أمام الآب ، أي أن يصبح هو نفسه الّذي لم يعرف خطيّة ، لأجلنا رفع على الصّليب ، فأخذ المسيح مركز الإنسان الخاطئ المتمرّد المبتعد عن الله ، وبالتّالي الإنسان المرفوض من الله ، وعندما احتل المسيح مكان هذا الإنسان الخاطئ المرفوض ، وشرب الكأس إلى نهايته ، وذاق مرارته وعلقمه القاسيَيْن ، صرخ بصوت عظيم : « إيلي إيلي لما شبقتني » .

والغرض من الآلام الَّتي اجتازها المسيح هو المصالحة ، أي إنَّ الله كان في المسيح مصالحاً العالم نفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة .

وتحمَّل المسيح آلاماً جسديَّة كالشُّهداء الَّذين تألَّموا بطريقة أكثر وحشيَّة ، وذاقوا العذاب لفترة أطول ، بل تحمل غضب الآب عليه ، فقد كان جواب الآب ليسوع المعلَّق على الصَّليب ، ففي آي الله كما يذكر الكتاب : « المسيح افتدانا من لعنة النَّاموس إذ صار لعنةً لأجلنا لأنَّه مكتوبٌ ملعونٌ كلُّ مَنْ عُلِّق على خشبة » ، [رسالة بولس الرَّسول إلى أهل غلاطيَّة ١٣/٣] ، وبمعنى أصح ، لقد حوَّل الله الآب وجهه عن هذا البديل ، حتَّى يتجرَّع الكأس حتَّى نهايتها ، وبذلك صرخ : « إيلي إيلي لما شبقتني » .

ولا تنسَ أن يسوع صرخ هذه الصَّرخة في السَّاعة التَّاسعة ، ثلاث ساعات بعد أن بدأت ظلمة شديدة تسود على الأرض ، هذه الظلمة ، وهذه الصَّرخة تعلن لنا الحقيقة المُرَّة المظلمة ، وهي غضب الله الَّذي انصبَّ على يسوع كممثِّل للبشريَّة الخاطئة ، المحكوم عليها بالموت ، ولذلك يسلمه للموت حتَّى ينتصر الموت عليه ، ولكن شكراً لله أن القصَّة لم تنتهِ هنا ، كما قال يسوع : « انقضوا هذا الهيكل ، وفي ثلاثة أيَّام أقيمه » [يوحنا ١٩/٢] ، أشار في هذا الكلام إلى موته وإلى قيامته ، وهنا نسأل ما هي الآية الَّتي جاء بها يسوع ليثبت مطالبته ويؤكِّد من خلالها أنَّه هو يسوع المنتظر ؟ الكلمة المتجسِّدة ، كثيراً ما أغاظ اليهود بقيامه بأماله لا تليق إلا بالله ، مثلاً دخوله إلى الهيكل ، وغفران الخطيئة .. إلخ .

وسألوه : أيَّ آية ترينا ؟

ونحن نعرف أن يسوع قام بمعجزات كبيرة حتَّى إحياء الموتى ، وكلُّ هذه العجائب لم تجعلهم يؤمنون به ، لأن أنبياء قبله أيضاً أقاموا الموتى ، مثل (إيليا) ، ونتيجة لهذا الضَّغط من قبل اليهود ، قال لهم : « جيل شرير وفاسق يطلب آيةً ولا تُعطى له آيةٌ إلاَّ آية يُونان النَّبيِّ » [متَّى ٣٩/١٢] ، ما هي هذه الآية الجديدة الَّتي سوف يعطيهم

إياها ليثبت لهم أنَّه أعظم من موسى ، هل هناك عمل خارق يقدر الإنسان أن يقوم بـه أعظم من إقامة ميت وإعادته إلى الحياة ثانية ؟

هنـا احتمال واحـد فقـط ، وهو أن يقيم نفسه بعـد موتـه ، وكما قيـل في [يـوحنـا ١٨/١٠] : « ليس أحدٌ يأخذها[1] منّي بل أضعها أنـا من ذاتي ، لي سلطـانٌ أن أضعهـا ولي سلطانٌ أن آخذها أيضاً ، هذه الوصيَّة قبلتها من أبي » .

وعنـدمـا سُئِل يسوع بعـد دخولـه إلى الهيكل : من خوَّلـك أن تـدخـل هيكل الله الحي وتتصرَّف كأنَّك سيده ؟ أضاف إلى نبوَّته - أي نبوَّة يونـان - شيئـاً جـديـداً ، أنَّـه تحـدَّى اليهود لينقضوا الهيكل ، الهيكل المملوء بمجد الله ، ولكن هنـا يشير إلى نفسـه ، وكأنَّه يقول : انـقضوني ، أنا الَّذي فيَّ يحيي كلُّ الملك [رسـالـة كولوسي ٩/٢] : « فـإنَّـه فيه يَحُل كلُّ مِلءِ اللاَّهوت جسدياً » .

كأنَّه يقول : أميتوني ، وعندما أُقيم نفسي من الموت بعد ثلاثة أيَّـام سـأقـدِّم لكم كلَّ دليل تطلبونه على أنّي ربٌّ هذا الهيكل ، وبقيامته أقرَّ أنَّه فعلاً هو كلمة الله المتجسِّدة ، أو بعبـارة أُخرى انتصر على المـوت ، وهـذا الانتصـار لا يعني انتصـاره هـو فقـط على الموت ، بل انتصـارنـا نحن أيضـاً عليـه ، وحتَّى نقول : أين شوكتـك يـا مـوت ؟ أين غلبتك ياهاوية [الرسالة الأُولى إلى كورنثوس ٥٥/١٥] .

وعلى الرَّغم من الآلام الَّتي اجتازها السَّيِّد ، ومن قيامتـه ، هو المصـالحـة ، « أي إنَّ الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطـايـاهم ، وواضعـاً فينـا كلمـة المصالحة » ، [الرسالة الثانية إلى كورنثوس ١٩/٥] .

والأخ المسلم يسأل أو يتساءل : أين كلمة المصالحة هنا ؟ أين هنا يـد المصـالحـة ؟ وهذه الكلمة صحيح أوَّلاً وأخيراً موجهة إلينا ، وتعني لنا أيضاً أن نعترف بالإسلام دينـاً

(١) أي الحياة ، كما فسَّر السيد روديغر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عالميّاً ، موجّهاً للبشريّة كلّها ، وتخدم دين المسلم وقرآنه الكريم ، وتقول : لـك دين ولي دين ، كما قال الشّاعر خليل جرحس خليل :

دورُ العبـادة مسجـدٌ وكنيسـةٌ ولهـا الهلال مـع الصّليب جُنـودُ
والنّـاسُ إمّـا رافعـون أكُفّهم جمعـاً ، وإمّـا رُكّـعٌ وسجـودُ
ومنـائر بجـوارهـا ومـآذنٌ يعلـو الأذان بهـا ويسمـو الجُـودُ
وأخي أنـا وأنـا أخي قرآنُـه حُسْنٌ وإنجيلي هـدىً وَسُعـودُ
متعـاضـدانِ محبّـة ومـودّة متـآخيـان وعهـدُنـا مَعْهـودُ

والشّاعر الحكيم المصري يقول :

الله يجمعنا ....[1] فـلا يفرّقنـا في الأرض إنسـانُ
غـدا الصّليبُ هلالاً في توحُّـدنـا وجمّـع القـومَ إنجيـلٌ وقرآنُ
أواصر الـدّمِ والتّـاريـخ تجمعنـا فكلنا في رحـاب الحبّ إخوانُ[2]

☆ ☆ ☆
☆ ☆
☆

(١) أثبتنا في البيت ماذكره السّيّد روديغر بلفظه ، وكأنه عنده بيت على حياله ، غير منتبه إلى أن ماذكره لا يقوم له وزن الشّعر .
(٢) انتهى كلُّ ماقدّمه السّيّد روديغر بخطّه وبصوته .

خاتمة

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُر كيفَ نُبَيِّن لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُر أنَّى يُؤفَكُونَ ﴾ .

[المائدة : ٥/٧٥]

وبعد ..

فإنّ من حقّي أن أُقدّم رأيي فيما قدّمه السَّيِّد روديغر براون ، والسَّبب أنَّه سمع منّي أوّلاً ، ثمّ علّق وناقش وردّ ، ثمّ قدّم ما قدّم ـ كتابةً أو صوتاً ـ ولم تُتِحْ لنا ظروفُهُ أن نلتقي لمتابعة الحوار ، فقد كان يستعد للسّفر إلى ألمانية ، وواقعاً غادر السَّيِّد روديغر سورية أواخر نيسان ١٩٩٤م ، وكان على صلة معي في أواخر إقامته ، يزورني في مكتبي ، وأبدى كلّ تقدير واحترام ، ووعد أن نبقى على صلة ، برسائل وإن قلّت .

شكرته على متابعته في تحصيله ، وعلى سعة صدره ، وعلى تقديره واحترامه ، وذكرته بوعده منذ اللّقاء الأول ، بأنْ يقدّم الإسلام للنّاس كما هو عند أبنائه ، لا كما تقدّمه الكنيسة الأُوربيّة مشوّهاً بافتراءاتها وأكاذيبها .

ولن أذكر في تعليقي كلّ شيء ، سأذكر الهام جداً فقط ، وذلك عن قصد ، ألا وهو أن يعقد القارئ مقارنة بين ما قدّمت وبين ما قدّم ، ليصل إلى النتيجة الّتي يراها حسب محاكمته وثقافته ، ولن أفرض رأياً ، فأنا ضد فرض الآراء ـ كما بينت خلال صفحات هذا الكتاب ـ ولكنني مع القناعة المكوّنة من بحث ودراسة موضوعيَّيْن ، بعيداً عن التّعصّب والحقد والمكابرة .

من النقاط البارزة الّتي يمكن التّنبيه إليها ، قول السيد روديغر :

ـ « لأن الرُّوح تفحص كلَّ شيءٍ حتَّى أعماق الله » ، كلام غير صحيح ، وغير مقبول ، فالإنسان لم يعرف أمر روحه الَّتي بين جنبيه ، فكيف يعرف (أعماق الله) ؟!

ـ وركَّز السيد روديغر على أن أمر الثَّالوث الأقدس « تفوق مداركنا المحدودة » ، « لأنَّها تمثِّل له سرَّ إيمانه الَّذي لا يستطيع أن يشرحه » ، « وهو سرٌّ على الإحاطة به ، لذلك لا أُجرِّب أن أُحيط الثَّالوث الأقدس بعقلي المحدود » ..

إنَّ محدودية العقل واردة حينما يريد المرء الحديث عن كنه الذَّات الإلهيَّة ، لا عن وحدانيتها ، وحينما نتكلم عن أبعاد أعماق الكون أو أطرافه ، ومسافاتها بملايين ملايين السِّنين الضَّوئية .. أما في معرفة دينه ، وشرح عقيدته فقِمة الوضوح ، لأن العقل ليس بمعزل عن اعتقادي ، وهذا ماعتبت به السيد روديغر عند انتهاء جلسة الأربعاء ١٩٩٤/٢/٩م ، قلت له : أنا أُحدِّثك عن العقل والفكر وتحكيم المنطق ، وطرح إجاباتي بشكل علمي منطقي ضمن قناة العقل ، حتَّى الإسراء والمعراج إن لم يقبله العقل رفضته ، إن محمداً ﷺ لم يسر بنفسه ، الله هو الَّذي أسرى به ، وجعل الإسراء حادثة أرضية يقوم الدليل والبرهان عليها ، لتثبت المعراج ، وقلت له : ياسيد روديغر ، حفيدي عمره يوم أو يومان ، قام من سريره ، وأخذ مفتاح سيارتي ، وقادها ، وقام بنزهة على قمة جبل قاسيون ، هل تصدِّق كلامي هذا ؟ طبعاً لا ، ولا أنا أُصدِّقه ، ولكن لو قلت لك : أنا أخذت حفيدي من سريره ، وأنا وضعته في السَّيَّارة ، وأنا قدتها متنزِّهاً معه على قمة جبل قاسيون ، ثم عدت به إلى سريره ، هل تصدِّق هذا الكلام ؟ طبعاً نصدِّقه ، فهو عقلاني تماماً ، ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى ، لم يسر محمد ﷺ بنفسه ، بل اللهُ أسرى به ، وجعل الإسراء ـ كحادثة أرضية يمكن البرهان عليها ـ دليلاً على المعراج ، لذلك طلبت قريش وصف بيت المقدس لأنها تعرفه ، وتعرف أن محمداً ماراَه في حياته ، وسألته عن عيرها ، ولم تسأله عن سدرة المنتهى ، لأنَّه من رآها كي يقول : إنَّ الوصف صحيح ، فمن عظمة الحادثة أنها قسِّمت إلى حادثة أرضية قام البرهان العقلي عليها ، وحادثة سماوية سبقتها معجزة إلهية سلَّمت

قريش بها بعد أسئلتها ، وإلا كان المعراج ممكناً من مكة المكرمة مباشرة ، بلا إسراء إلى بيت المقدس .

يا سيد روديغر أنا أُحدثك عن العقل ، وتبدأ إجاباتك بعزل العقل : تفوق مداركنا ، سرٌّ لا يمكن شرحه ، وعقلي محدود ..!

- وقال : « الله في العبرية Elohim إلوهيم في صيغة الجمع ، أُلوهيَّة جامعة » .

قال المختصّون لدى مراجعتهم وسؤالهم عن (إلوهيم) :

إيلوها جمعها إيلوهيم ، صيغة مطوَّلة من (إيل) بالآراميَّة elah ، وبالعربيَّة ilah ، وتظهر التَّسمية (إيلوها) أربعين مرَّة في سفر أيُّوب ، وهي نادراً جدّاً ما تشير إلى إله وثني ، مع ذلك في [الخروج ١٢/١٢] : إن إيلوهيم (آلهة المصريِّين) ، وقد ترد بمعنى إله وثني مفرد [قضاة ٢٤/١١] ، بل يمكن أن نصادف (إيلوهيم) تسمية لآلهة وثنيَّة [١ مل ٥/١١] .

إيلوهيم : تسمية كنعانيَّة الأَصل ، ذات معنى يدل على الجمع ، أَخذها عنهم العبرانيُّون الأَوائل ، واستخدموها بالمعنى الإفرادي ، لقد كان في الشَّرق الأَدنى القديم في النِّصف الثَّاني من الأَلف الثَّانية قبل الميلاد ، اتِّجاه مؤكَّد شبه توحيدي ، وكان يمكن لكلِّ إله أَن ينتحل صفات الإله الآخر ، وهكذا يمكن أن يدعى إله مفرد elohai (آلهتي) ، أو adonai (أَربابي) ، ولم يشعر العبرانيُّون الأَوائل بأَيِّ حرج في الإشارة إلى إلههم الوحيد بهذه الأسماء .

واستخدمت (إيلوهيم) في التَّوراة أيضاً لوصف أشخاص غير إلهيِّين ، وفي [١ صم ١٣/٢٨] تعني إيلوهيم (شبحاً) ، وفي [زكريا ٨/١٢] استخدمت لوصف بيت داود .

يُوَحَّد أحياناً بين (يهڤه) و (إيلوهيم) في صيغة (يهڤه إيلوهيم) ، ويظهر مصطلح (إيلوهيم) ٢٦٠٠ مرَّة تقريباً في التَّوراة ، لكن حتَّى عندما تشير كلمة

(إيلوهيم) إلى إله إسرائيل فإنَّه يمكن التَّعامل معها بصيغة الجمع [تـك ١٣/٢٠] ، لكن الإشـارات بصيغـة الجمع استخـدمهـا الكتبـة التّوراتيّون كأسماء للآلهـة الّتي أدانـوا عبـادة الإسرائيليّين لها ، وهو مـا نجـده في صيغـة (إيلوهيم أحريم) أي آلهـة أُخرى ، [خروج ٣/٢٠ ، تثنية ٧/٥] ، أو (إيلوهيم حدشيم) أي آلهة جديدة ، [قضـاة ٨/٥] ،ونلاحـظ هنـا أنّ الكُتّـاب التّوراتيّين استخـدموا المعنى الفردي لكلمـة (ألوهيم) في تسميـة الآلهـة المحرّمة مثل عشتار ، ملكوم ، كاموش [٢ مل ٥/١١ ، ٣٣/١١] .

ولأنّ (إيلوهيم) مقابلة لِـ (أناشيم) ناس [قضـاة ١٣/٩] ، فهي يمكن أن تتضمّن أيضـاً درجـات بين النّـوعَيْن : الإلهي والبشري ، وبين تلـكَ الـدَّرجـات نجـد الأرواح [١ مل ١٣/٢٨ ، ا ش ١٩/١٨] ؛ والآلهة الصَّغيرة [تك ١٥/٤٨ و ١٦] .

ويمكن استخدام مصطلح (إيلوهيم) في تعـابير وصفيَّـة ، وذلـك بمعنى العظمـة ، والقوّة ومـاشـابـه ذلـك ، مثلاً : روح إيلـوهيم ، أي ريـح عظيـة [تـك ٢/١] ، نسيم إيلوهيم : أمير كبير [تك ٦/٢٣] ، نفتولي إيلوهيم : صراعات عنيفة [تك ٨/٣٠] .

فكيف فهم السَّيِّد روديغر Elohim أُلوهية جامعـة ، ليستـدل بـذلـك على التثليث وتعدد الإله ؟!

ـ ﴿ قُلْنَـا اهبطُـوا مِنْهـا جميعـاً ﴾ [البقرة : ٣٨/٢] ، ألا يعني ذلـك الجنس البشري كلّه ؟

لا ، الخطاب لآدم وحواء وإبليس ، ويوضح ذلك ﴿ بعضكم لبعض عـدو ﴾ ، أي الشيطان عدوٌّ لكم ، [صفوة التفاسير ٥١/١] .

ـ « نرى الثلاثة والتّوحيد في الوقت نفسه » .

وكلُّ ماسبق هذه العبارة من استشهادات لا يدل على صحّة هذه النتيجة مطلقاً .

ـ واستشهد السيد روديغر بتفسير الرّازي لمعنى كلمة (المسيح) ، فأورد قولاً مشوّشاً مبتوراً .

جاء في (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرّازي [٨/٤٩ ـ ٥٠] في تفسير قوله تعالى : ﴿ المسيح عيسى ابن مريم ﴾ ، المسيح هل هو اسم مشتق أو موضوع ؟

الجواب فيه قولان : الأوَّل : قال أبو عبيد اللَّيث : أصله بالعبرانيَّة مشيحا ، فعرَّبته العرب وغيَّروا لفظه .

القول الثَّاني : إنَّه غير مشتق ، وعليه الأكثرون .

قال ابن عبَّاس : إنما سمي عيسى عليه السَّلام مسيحاً ، لأنَّه ما كان يمسح بيده ذا عاهةٍ إلاَّ برئ من مرضه .

قال أحمد بن يحي : سمِّي مسيحاً لأنَّه كان يمسح الأرض أي يقطعها ، ومنه مساحة أقسام الأرض .

إنَّه كان مسيحاً لأنَّه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى .

إنَّه مسح من الأوزار والآثام .

سمِّي مسيحاً لأنَّه ما كان في قدمه خمص ، فكان ممسوح القدمين .

سمِّي مسيحاً لأنَّه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك ، يُمْسَحُ به الأنبياء ، ولا يُمْسَح به غيرهم ، ثم قالوا : وهذا الدُّهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتَّى تعرف الملائكة أنَّ كلّ ما مُسِحَ به وقت الولادة فإنَّه يكون نبيّاً .

سُمِّي مسيحاً لأنَّ جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له من مَسِّ الشَّيطان .

سُمِّي مسيحاً لأنَّه خرج من بطن أُمِّه ممسوحاً بالدُّهن .

قال أبو عمرو بن العلاء : المسيح : الملك .

قال النَّخعي : المسيح الصديق ، والله أعلم .

هـذا مـا أورده الإمـام الفخر الرّازي في تفسيره (التفسير الكبير) حرفيّاً ، لا مـا أورده السيد روديغر

- وقال السيد روديغر : « كلمة الله » ، و « روح منه » ، لقبان انفرد بهما المسيح .

لا ، لم ينفرد بهما السيد المسيح .

لأنَّ (كلمـــة الله) كانت : (كن) ، أي كن من غير واسطـــة أب أو نطفـــة ، و (كن) وردت عدة مرّات في كتاب الله المجيد :

- ﴿ وإذا قضى أمراً فإنَّما يقُولُ لَهُ كُن فيكُونُ ﴾ [البقرة :٢/١١٧] .
- ﴿ إذا اقضى أمراً فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فيكُونُ ﴾ [آل عمران : ٣/٤٧] .
وبشأن آدم عليه السلام : ﴿ خَلَقَهُ من تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَـهُ كُن فيكُونُ ﴾ [آل عمران : ٣/٥٩] .

- ﴿ إنَّما قَوْلُنا لِشَيءٍ إذا أَرَدْناهُ أن تَقُولَ لَهُ كُن فيكُونُ ﴾ [النحل : ١٦/٤٠] .
- ﴿ سُبْحانَهُ إذا قضى أمراً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُن فيكُونُ ﴾ [مريم : ١٩/٣٥] .
- ﴿ إنَّما أَمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئاً أن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٣٦/٧٢] .
- ﴿ فإذا قضى أمراً فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُن فيكون ﴾ [غافر : ٤٠/٦٨] .

إنَّ (كلمة الله) : كن كانت بحق السيـد المسيح ، وبحق آدم ، وبحق : ﴿ إنَّما أمره إذا أرادَ شيئاً ..﴾ .

و ﴿ روح منـه ﴾ أي ذو روح مبتـدأةٍ من الله ، وهـو أثر نفخـة جبريـل عليـه السَّلام في صدر مريم ، حيث حملت بتلك النَّفخة ليعيش .

و (من روح الله) ، و (روحنا) ، و (من روحي) جاءت في آيات عديدةٍ :

﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بَشراً سَوِيّاً ﴾ [مريم : ١٧/١٩] ، أي فأرسلنا إليها جبريل عليه السَّلام .

- ﴿ فَنَفَخْنا فيها مِنْ رُوحِنا ﴾ [الأنبياء ٩١/٢١] ، كناية عن وضع سرٍّ من أسرار الله تعالى في بطنها كان به وُجُود جنينها عيسى وحياته ، ﴿ مِنْ رُوحنا ﴾ ، أي من جهة روحنا جبريل ، الَّذي نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى .

- ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ [التحريم : ١٢/٦٦] ، أي فنفخنا فيه روحاً من خلقنا بلا وساطة أب .

وبحق آدم : ﴿ فإذا سَوَّيتُهُ وَنفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين ﴾ [الحجر ٢٩/١٥] .

وبحق آدم أيضاً : ﴿ فإذا سَوَّيتُهُ ونفختُ فيه من روحي ﴾ [ص ٧٢/٣٨] .

وهكذا (كلمة الله) ، و (روح منه) لقبان لم ينفرد بها المسيح ، ومع ذلك فلنقرأ الآية بشكل كامل : ﴿ يـاأهلَ الكِتَابِ لاتَغْلُوا في دينكُم ولاتَقُولوا عَلَى اللهِ إلا الحقَّ إنَّما المَسيحُ عيسى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بالله وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُم إنَّما اللهُ إلهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا في السَّموات وَمَا في الأَرْضِ وَكَفَى بِالله وَكيلاً ﴾ [النساء : ١٧١/٤] .

فلنتمعن بـ :

١ - ﴿ لاتَغْلُوا ﴾ .. لا تجاوزوا الحدَّ ، ولا تُفْرطوا فيه .

٢ - ﴿ إنَّما المسيحُ عيسى ابن مريم رسولُ الله ﴾ ، رسول الله ، والرُّسل كُثُر ، هو أحدهم .

﴿ فآمِنُوا بالله وَرُسُلِهِ ﴾ ، فآمنوا بالله ، لا بالمسيح ، آمنوا بالله وَرُسُله وهنا المسيح ضمناً في رُسُل الله .

٤ ـ ﴿ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ﴾ ، رفض للتثليث .

٥ ـ ﴿ انتَهُوا خَيْراً لكم إنَّما اللهُ إلهٌ واحِدٌ سبحانَهُ أن يكُونَ له وَلَدٌ لَهُ ما في السَّموات وما في الأرضِ ..﴾ ، فبعد الأمر بالانتهاء عن القول ثلاثة ، تأكيد على التوحيد ، وتذكير بملك الله العظيم .

وهكذا .. الآية ذاتها ناطقة بالتَّوحيد ، مؤكِّدة عليه ، رافضة التَّثليث ، « التأم جُرْحٌ والأُساةُ غُيَّبُ » .

ـ وقال السيد روديغر : « الإنجيليون يسدلون ستاراً كثيفاً » .

ونتساءل : لِمَ هذا الاتِّفاق المسبق ؟ هل هو مصادفة ؟ أم لأسباب أُخرى فرضت هذا السِّتار الكثيف ؟

وقال السيد روديغر : حياة يسوع من ١٢ إلى ٣٠ من عمره « قضيَّة ثانويَّة » .

عجيب غريب أن تكون ١٨ سنة من حياة يسوع « قضية ثانوية » ، فلا تعليق على كون حياة أُقنوم من ثلاثة أقانيم ـ في عقيدة روديغر ـ ثانوية .

ـ وقال السيد روديغر : « عندما نجتمع لأُمور دينيَّة أو تاريخيَّة لا نتكلَّم عن أسعار الخضر والفواكه لأنَّها لا تهمنا » .

صحيح هذا القول ، ولكن عندما نجتمع لبحث أسعار الخضر والفواكه ، العكس صحيح ، لا نتكلَّم عن أُمور دينيَّة أو تاريخيَّة لأنها لا تهمنا .

حياة يسوع ٣٣ سنة ، ضاع منها مع سِنِيِّ الطفولة ثماني عشرة سنة أُخرى ، هذا غير مهم ، « لا يهمنا كيف شرب ونام » ، بل يهمنا لنشرب مثله وننام مثله ، إنَّه القدوة لأتباعه ، « ولا نريد أن نعرف أكثر » ، لماذا ؟ بل نريد أن نعرف كلَّ لحظة في حياته ، وهو الَّذي وُلِد بمعجزة .

- « إيلي إيلي لما شبقتني » ، على الرَّغم من تفسير السيد روديغر ، نتساءل : ألا يعلم السيد المسيح ما يفعل به ، وما الهدف ؟ فلو عرف المعنى الذي قدَّمه السيد روديغر لما سأل .

وإن غاب عنه المعنى ، أين الألوهية !

- ومثال بائع تذكرة السَّفر ، لا تنطبق أيضاً على حياة يسوع ، فأنا - حقّاً - لا تهمني من حياة بائع التذكرة إلا التذكرة ، ولا ألقاه إلاَّ مرات محدودة في كل حياتي ، وذلك عند السَّفر ، ولكن تهمني حياة يسوع كلها وبتفاصيلها الدَّقيقة ، في كلّ ساعة في حياتي لأقتدي بها وأعمل كما عمل ، فهو القدوة والأسوة .

كيف تصرَّف في كلّ موقف ، كي أتصرَّف - في حياتي - كما تصرَّف .

لقد استشهد السَّيِّد روديغر بالتَّوراة والإنجيل ، ولكنه لم يتطرقّ إلى موثوقيتها ، ومتى كتبت ، وأوجه الخلاف والتَّناقض بينها .

وهكذا .. لم يجب عن :

- كيف نفسّر وجود التثليث في العقائد الوثنيّة القديمة ، ووجوده في المسيحيَّة !

- وكيف نفسّر وجود الصَّلب أيضاً في العقائد الوثنيّة القديمة ، ووجوده في المسيحيَّة !

- ولماذا لم يفد خطايا البشريَّة - وهو الرَّب - دون صرخات وآلام ..!

- ولم يتوقف عند دور العقل والعلم قُبالة الرُّموز والأسرار ، وقبولها تسليماً دون حوار ، ممّا سبب انتشار الإلحاد في أوربة ، حتّى لم يبق سوى ٥٪ ممن يزورون الكنائس في الآحاد .

- ولم يتطرَّق إلى مكتشفات مغاور قمران ، مكتشفات البحر الميت ، ولا إلى مكتشفات قِنا (نجع حمادي) .

إن بساطة الإسلام ، ووضوح مبادئه ، جعلته الأقدر على كسب الأتباع ، وهو الأوّل بين عقائد العالم في مخاطبة العقل ، ومواكبة العلم .

وإنّ الّذي قدّمته خاضع للحوار ، ولا أقول هو الإسلام ، بل أقول : إنّ الّذي قدّمت ، ما فهمته أنا من الإسلام ، ولا أُحمّل الإسلام فهمي الخاطئ إن أخطأت أو سهوت .

كما وإنّني لا أقول إنّ ما قدّمه السّيّد روديغر براون هو الرّدُّ المسيحي الكنسي عن أسئلتي ، بل إنّه ما فهمه عن دينه .

لذلك .. وليبقى الحوار دائماً ـ بشروطه وآدابه ـ بين المسلمين ضمن الجماعة الإسلاميّة الواحدة ، وضمن الجماعات فيما بينها ، وبين السُّنّة والشّيعة للتّواصل ووحدة الصّفّ ، وبين المسلمين والعلمانيّين ، وبين المسلمين والمسيحيّين بهدف البحث عن الحقّ لاتّباعه ، والخضوع إليه دون مواربة أو تعصب .

قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمرِ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ ، وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُم يَوْم القِيَامةِ فِيمَا كُنْتُم فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الحج : ٢٢/٦٨ ـ ٦٩] .

والحمد لله ربِّ العالمين أوّلاً وآخراً .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

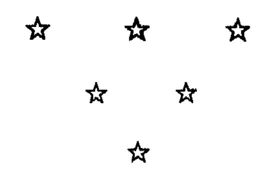


المصادر والمراجع

آفاق المستقبل ، جاك أتاني ، دار العلم للملايين ، الطَّبعة الأُولى ١٩٩١م .
أسرار الفاتيكان (قضية ليدل) ، ليوبولد ليدل ، ترجمة تحسين حجازي ، دار التَّضامن ، الطَّبعة الأُولى ١٩٩٠م .
أُسطورة تجسُّد الإله في السيد المسيح ، أشرف على التَّحرير البروفيسور جون هيك ، تعريب د . نبيل صبحي ، دار القلم ـ الكويت ، الطبعة الأُولى ١٩٨٥م .
الإسلام كبديل ، د . مراد هوفمان ، مؤسَّسة باقاريا للنشر والإعلام والخدمات مع مجلة النُّور الكويتيَّة ، الطَّبعة الأُولى ١٩٩٣م .
إظهار الحق ، رحمة الله خليل الرحمن الكيرنوي الهندي العثماني ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد ، الرياض ١٩٨٩ ، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكَّاوي .
أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزِّية ، مكتبة الكليات الأَزهرية ، القاهرة ١٩٦٨م .
الدَّعوة إلى الإسلام ، السير توماس آرنولد ، مكتبة النهضة المصريَّة ، القاهرة الطَّبعة الثَّانية ، ١٩٥٧م .
أعيان الشَّيعة ، العلامة محسن الأَمين ، دار التَّعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٨٣م .
البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٤م .
البعد الدِّيني في السِّياسة الأَمريكية تجاه الصِّراع العربي الصُّهيوني (دراسة في الحركة المسيحيَّة الأُصوليَّة الأَمريكية) د . يوسف الحسن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠م .

تاريخ أوربة في العصور الوسطى ، هـ . أ . ل فيشر ، دار المعارف بمصر الطَّبعة الثالثة (بلا تاريخ) .
تاريخ الرُّسل والملوك ، ابن جرير الطبري دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ١٩٦٠م .
تاريخ العالم ، السير جون همرتون ، مكتبة النهضة المصرية .
التفسير الكبير ، الفخر الرازي محمد بن عمر التيمي البكري (فخر الدين) ، طبعة دار الفكر بيروت .
تنصير المسلمين (بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التَّنصيري) ، عبد الرزاق دياربكري ، دار النَّفائس الرِّياض .
جواهر الأدب ، أحمد الهاشمي ، مكتبة المعارف بيروت .
الحركة الصَّليبيَّة ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة الطَّبعة الأولى ١٩٦٣م .
حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، دار إحياء التراث العربي ، الطَّبعة الثالثة ١٩٧٩م .
حول الوحدة الإسلامية ، أفكار ودراسات ، إعداد قسم العلاقات الدَّولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
الحَيْدَة ، عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكناني ، دار الفتح للطِّباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة ، د . موريس بوكاي ، جمعية الدَّعوة الإسلاميَّة العالمية ، طرابلس .
رسالة الآدابُ في علم آداب البحث والمناظرة ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التِّجارية الكبرى ، القاهرة الطِّبعة السَّابعة ١٩٥٨م .
صفوة التَّفاسير ، محمد علي الصَّابوني ، دار الرَّشاد (بلا تاريخ) .
الفصل في الملل والأهواء والنِّحلَ ، ابن حزم الظَّاهري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦م .
قصة الحضارة ، وُل دْيُورانت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية القاهرة .

العقائد الوثنيّة في الديانة النّصرانية ، محمد طاهر التّنّير ، بيروت ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م .
مجموعة رسائل في علم التّوحيد ، صحّحه وأشرف على طبعه القاضي عبد الرحمن بن يحيي الإرياني ، وزارة الإعلام والثقافة اليمنيّة ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
محاضرات في النّصرانيّة ، محمد أبو زهرة ، دار الكتاب العربي ، مصر الطّبعة الثّالثة ١٩٦١م .
المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب ، ترجمة د . إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة العدد ١٧٣ ، عدد أيار (مايو) ١٩٩٣م .
مقالات إسلاميّة ، مرتضى المطهّري ، دار التّعارف للمطبوعات بيروت .
موسوعة المستشرقين ، د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين بيروت .
الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، النّدوة العالميّة للشّباب الإسلامي ، الرّياض الطّبعة الثانية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
مناهج المستشرقين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة ، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج . صدر في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري .
نهج البلاغة ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، منشورات دار الهجرة بيروت .
ينابيع المسيحية ، خوجة كمال الدين ، تعريب إسماعيل حلمي البارودي ، لجنة المحققين لندن ١٩٩١م .





المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

إلى الأستاذ الدكتور

شوقي أبو خليل

تعليقات عن قضية

التثليث والصلب.

روديغر براون

Rüdiger Braun

١٢/٤/٩٤



الحوار دائماً للتواصل . وتنفيذاً لأمر اللّه تعالى :
﴿لا إكراهَ في الدِّينِ قد تَبَيَّنَ الرُّشدُ منَ الغَيِّ﴾ [البقرة ٢/ ٢٥٦] ،
والحوار دائماً لتحقيق وحدة الصَّفِّ ، الحوار الذي يفتح الأبواب الموصدة بين الإخوة أنفسهم ، وبينهم وبين الآخرين ، ويزيل ماتوهَّم كلٌّ عن الآخر .
الحوار دائماً بعيداً عن المواقف المتحجِّرة ، الَّتي توصل إلى ضيق الأفق ، والبعد عن الحقيقة .
والحوار ضرورة ، ولكن ضمن (ميزان) هو آداب الحوار وشروطه ، فالحوار الصحيح ـ إن صدقت النِّيَّات ـ لا يصل فيه أحد الطَّرفين إلى قواعد ، أو نتائج : إن محيط نصف الدَّائرة يساوي نصف قطرها لاشتراكهما بكلمة (نصف) ، أو : دائرة مربَّعة ، أو مثلث متوازي الأضلاع . .